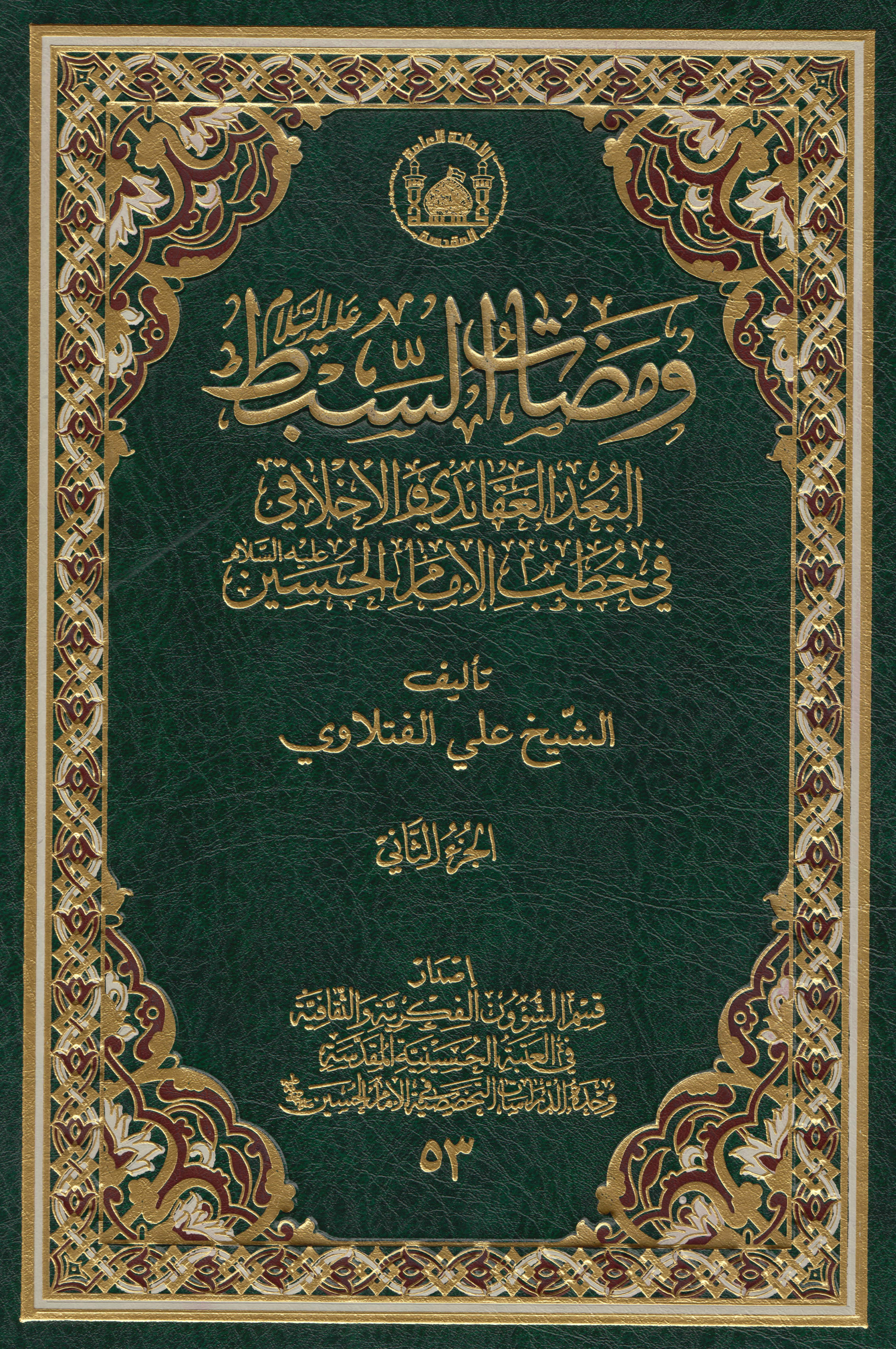
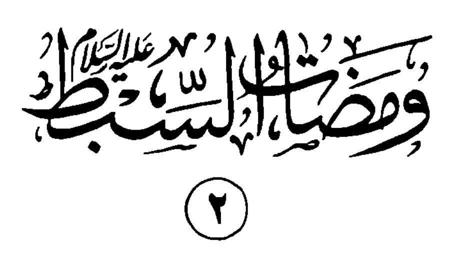


ومضات السبط عليه السلام
البعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام
تأليف
الشيخ علي الفتلاوي
الجزء الثاني
إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام
٥٣


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com


بسم الله الرحمن الرحيم


ومضات السبط عليه السلام
٢



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

لسنة ٢٠١١ _ ١٥٩

BP
٧ / ٤١
٢ ف /
٨ و

الفتلاوي، علي، ١٩٦٠ - م.

ومضات السبط (ع): البعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام / تأليف علي الفتلاوي؛ تقديم نبيل الحسني - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٢ق. = ٢٠١١م.

٢ ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ ٥٣).

المصادر.

١. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - الخطب - دراسة وتعريف. ٢. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. - نظرية في العقائد . ٣. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. نظرية في الأخلاق الإسلامية. ٤. واقعة كربلاء، ٦١ق. - اسباب ونتائج. ٥. أهل البيت (ع) - فضائل. ٦.الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. الخطب - اللغة. ٧. الحسين بن علي (ع)، الإمام الثالث، ٤ - ٦١ق. أصحاب. الف. الحسني، نبيل، ١٩٦٥ - م.، مقدم. ب. العنوان. ج.العنوان: البعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام

BP ٤١ / ٧ / ٢ف و٨

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر



البُعد العقائدي والأخلاقي في خُطب الإمام الحسين عليه السلام

تأليف

الشّيخ علي الفَتْلاوي

الجُزءُ الثّاني

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م



العراق : كربلاء المقدسة ـ العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية ـ هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com



طبع على مطابع

شركة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

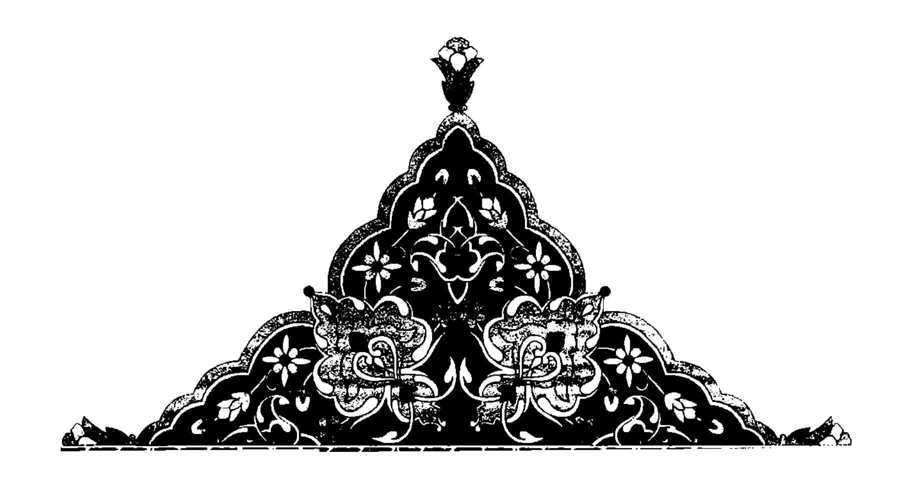
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس: ٤٥٠٤٢٧ / ٠١

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

فرع ثاني: العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة



الخطبة الثامنة

خطبها في مكّة لمّا عزم على الخروج إلى العراق

وفيها ينعى نفسه :

نص الخطبة

(الحَمْدُ للهِ ما شاءَ الله، وَلا قوَّةَ إلاَّ باللهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلى رَسُولِهِ، خُطَّ الْمَوْتُ عَلى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلادَةِ عَلى جيدِ الْفَتاةِ، وَما أوْلَهَني إلى أسْلافي اشْتِياقُ يَعْقُوبَ إلى يُوسُفَ، وَخُيِّرَ لي مَصْرَعٌ أنا لاقيهِ، كَأنّي بِأوْصالي تُقَطِّعُها عُسْلانُ الْفَلَواتِ بَيْنَ النَّواويسِ وَكَرْبَلاءَ، فَيَمْلأنَّ مِنّي أكْراشاً جَوْفاً، وَأجْرِبَةً سَغْبى، لا مَحيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى اللهِ رِضانا أهْلُ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلى بَلائِهِ وَيُوَفِّينا أجْرَ الصّابِرينَ، لَنْ تَشِذَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لُحْمَتُهُ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ في حَظيرَةِ الْقُدْسِ، تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ وَيُنْجِزُ بِهِمْ وَعْدَهُ مَنْ كانَ باذِلاً فينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلى لِقاءِ اللهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنا فإنَّني راحِلٌ مُصْبِحاً إنْ شاءَ اللهُ تَعالى).

المعنى العام

الثناء لله تعالى والشكر كما يريد هو سبحانه، ولا طاقة ولا قدرة إلا بالله تعالى، وترحم الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، رسم علامة أي أن الموت فرض على بني آدم كما ثبت أثر القلادة على عنق الفتاة، إشارة إلى حتمية الموت، وما أشوقني وأشد حنينا إلى آبائي ومن تقدمني منهم، وشوقي هذا شوق وحنين النبي

يعقوب لولده يوسف عليهما السلام، وانتقي لي مقتل أنا لاقيه باختياري، وإني أعلم أن عظامي ومفاصلي وأجزائي تقطعها الذئاب التي تسكن الصحاري المقفرة بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني بطونا خالية وأوعية جائعة تعبه من الجوع، لا فرصة ولا مفر عن يوم كتب بالقلم، قبول الله تعالى متوقف على رضانا أهل البيت عليهم السلام، نتحمل اختبار الله تعالى وامتحانه لنا فيعطينا أجر الصابرين، لن تنفرد ولن تخالف قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي معه في جنة الخلد يفرح بها، ثم يخاطب الناس فيقول من وطن نفسه على أن يجود بنفسه ودمه ليلقى الله تعالى فليأتِ معنا فإنني مسافر في الصباح إن شاء الله.

بحث عقائدي أخلاقي

ـ حتمية الموت ووصفه

قوله عليه السلام:

«خُطَّ الْمَوْتُ عَلى وُلْدِ آدَمَ مَخَطَّ الْقِلادَةِ عَلى جيدِ الْفَتاةِ... الخ».

الموت: هو مفارقة الروح البدن فيبقى الإنسان جثة هامدة وهو أمر حتمي لا مفر منه كما في قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1].

وأكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بأقواله:

«لِكُلِّ حَيٍّ مَوْتٌ»[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) غرر الحكم: ٧٢٨٦. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩٠٦، ح١٩٠٥٣.

وقال عليه السلام:

«المَوْتُ أوّلُ عَدْلِ الآخِرَةِ»[1].

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حديث:

«بِالمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيا»[2].

وعنه عليه السلام:

«المَوْتُ بابُ الآخِرَةِ»[3].

وبعد أن صرحت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة بحقيقة الموت وكونه أمراً لا شك فيه ولا مفر منه لا يسعني إلا أن أعرض المراحل التي يمر بها الإنسان حتى يصل إلى نهاية خروج الروح، فأقول:

ذكرت الآيات الكريمة أن الذي يتوفى الأنفس هو ملك بإذن الله تعالى وأمره كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[4].

وهذه الآية تشير إلى ملك الموت عزرائيل في حين أن هناك آيات أخرى تشير إلى أن الذي يتوفى هم مجموعة من الملائكة كما في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5].

---

(١) غرر الحكم: ١٤٣٥. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩٠٦، ح١٩٠٥٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩٠٦، ح١٩٠٥٥.

(٣) غرر الحكم: ٣١٩. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩٠٦، ح١٩٠٥٦.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٥) سورة النحل، الآية: ٢٨.

وقوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

وسواء كان الذي يتوفى الناس هو ملك الموت أو أعوانه لا يخرج هذا الأمر عن أمر الله تعالى وإذنه بدليل قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

ولكي لا نقع في التباس وشبهة لابد من بيان الأمر التالي:

إن الآيات التي أشارت إلى أن الذي يتوفى الناس هو ملك الموت أو الملائكة الذين هم أعوان لذلك الملك كما يقول الإمام الصادق عليه السلام في بيان الآيات:

«إنَّ اللهَ تبارَكَ وتَعالى جَعَلَ لِمَلَكِ المَوْتِ أعْواناً مِنْ المَلائِكَةِ يَقْبِضونَ الأرْواحَ، بِمَنْزِلَةِ صاحِبِ الشُّرطَةِ لَهُ أعْوانٌ مِنَ الإنْسِ ويَبْعَثهم في حَوائِجِهِ فَتَتَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ، ويَتَوَفّاهُم مَلَكُ المَوْتِ مِنَ المَلائِكَةِ مَعَ ما يَقْبِضُ هُوَ، ويَتَوَفّاها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَلَكِ المَوْتِ»[3].

إنما يقومون بهذا العمل امتثالا لأمر الله سبحانه الذي تنزه عن مباشرة هذا الأمر بنفسه كما جاء ذلك عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج١، ص١٣٦، ح٣٦٨. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩٢٠، ح١٩١٣٤.

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1].

﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[2].

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾[3].

﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾[4].

﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[5].

فَهُوَ تَبارَكَ وَتَعالى أجَلُّ وَأعْظَمُ مِنْ أنْ يَتَوَلّى ذلِكَ بِنَفْسِهِ، وفِعْلُ رُسُلِهِ وَمَلائِكَتِهِ فِعْلُهُ، لأنَّهُم بِأمْرِهِ يَعْمَلونَ... فَمَنْ كانَ مِنْ أهلِ الطّاعَةِ تَوَلَّتْ قَبْضَ رُوحِهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَنْ كانَ مِنْ أهْلِ المَعْصِيَةِ تَوَلَّت قَبْضَ رُوحِهِ مَلائِكَةُ النَّقْمَةِ، ولِمَلَكِ المَوْتِ أعْوانٌ مِنْ مَلائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَالنَّقْمَةِ يَصْدُرونَ عَنْ أمْرِهِ، وفِعْلُهُمْ فِعْلُهُ، وكُلُّ ما يَأتونَهُ مَنْسوبٌ إليهِ، وإذا كانَ فِعْلُهُم فِعْلَ مَلَكِ المَوْتِ، ففِعْلُ مَلَكِ المَوْتِ فِعْلُ الله، لأنَّهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ على يَدِ مَنْ يَشاءُ»[6].

فلذا يتضح مما تقدم أن الذي يتوفى حقيقة هو الله تعالى ولا يشترك معه أحد من خلقه وما يفعله ملك الموت أو الملائكة هو في طول قدرة الله تعالى أي أن الله تعالى هو الذي أقدر ملك الموت وأذن له وأمره بذلك ولا استقلالية لملك الموت أو الملائكة في ذلك.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٢.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦١.

(٤) سورة النحل، الآية: ٣٢.

(٥) سورة النحل، الآية: ٢٨.

(٦) بحار الأنوار: ج٦، ص١٤٠، ح١.

وبعد هذه الإشارة العقائدية نعرّج على بيان صورة ملك الموت وسكرات الموت التي يمر بها المرء فلقد جاء في الروايات أن لملك الموت صورة رهيبة عند قبض روح الفاجر كما ورد ذلك في كتاب السيد عبد الله شبر إذ يقول:

في جامع الأخبار (قال إبراهيم الخليل عليه السلام لملك الموت ـ عليه السلام ـ:

«هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض فيها روح الفاجر؟».

قال ملك الموت ـ عليه السلام ـ:

«لا تطيق ذلك».

قال:

بلى.

قال:

«فأعرض عني».

فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود، قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان، فغشي على إبراهيم ثم أفاق.

فقال:

«لو لم يلق الفاجر عند موته إلا صورة وجهك لكان حسبه»[1].

وهناك صورة من سكرات الموت ونزوله بالإنسان يصورها لنا الإمام العسكري عليه السلام عندما قيل له:

صف لنا الموت، قال عليه السلام:

«للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس بطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد».

---

(١) تسلية الفؤاد، السيد عبد الله شبر: ص٣٩ ـ ٤٠. جامع الأخبار: ص١٩٨.

قيل: فإن قوماً يقولون إنه أشد من نشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض، ورضخ بالأحجار، وتدوير قطب الأرحية على الأحداق؟، قال ـ عليه السلام ـ:

«كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ فذلكم الذي هو أشد من هذا إلا من عذاب الآخرة فإنه أشد من عذاب الدنيا».

قيل: فما بالنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدث ويضحك ويتكلم، وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟، فقال:

«ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه، ليرد الآخرة نقياً نظيفاً مستحقاً لثواب الأبد، لا مانع له من دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفى أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداءُ عذاب الله له بعد نفاد حسناته، وذلك لأن الله عدل لا يجور»)[1].

وهناك وصف آخر يقف له شعر رأس العاقل ويطير لبه ويتلعثم لسانه وهو ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام:

(ورد في نهج البلاغة:

«لا ينزجر من الله بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ، وهو يرى المأخوذين على الغرة حيث لا إقالة ولا رجعة، كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون، فغير

(١) تسلية الفؤاد، السيد عبد الله شبر: ص٤٣. بحار الأنوار: ج٦، ص١٥٢، نقلا عن العيون.

موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيّرت لها ألوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وأنه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه، ويفكر فيم أفنى عمره؟ وفيم أذهب دهره؟ ويتذكر أموالا جمعها أغمض في مطالبها وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون بها، فيكون المهنأ لغيره والعبء على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه بها، يعض يده ندامة على ما اصحر له عند الموت من أمره؛ ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره، ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه، فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم، ثم ازداد الموت التياطاً فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده فصار جيفة بين أهله، قد أوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه، لا يسعد باكياً ولا يجيب داعياً؛ ثم حملوه إلى مخط الأرض وأسلموه فيه إلى عمله؛ وانقطعوا عن زورته حتى إذا بلغ الكتاب أجله»[1].

ـ بحث عقائدي

الإمام عليه السلام مخيّر في قتله

الأجل أو الموت يقين لا شك فيه يطرد الإنسان ويلحقه أينما يحل ولو في بروج مشيدة، قال الله تبارك وتعالى:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[2].

---

(١) تسلية الفؤاد، السيد عبد الله شبر: ص٤٨ ـ ٤٩. نهج البلاغة: ج١، ص٢١١، الخطبة ١٠٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٨.

ومما يطرده الموت الرسول أو الإمام رغم علاقته الوطيدة بالله تعالى بدليل قوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[٢].

فلذا نعتقد أن للرسول أجلاً وللإمام أجلاً لا يخطيه وهذا ما تؤكده الروايات الكثيرة والتي منها وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن إذ يقول:

«اعْلَمْ يا بُنَيَّ أنَّكَ إنّما خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيا، ولِلْفَناءِ لاَ لِلبَقاءِ، ولِلمَوتِ لاَ لِلحَياةِ، وأنَّكَ في قُلْعَةٍ وَدارِ بُلْغَةٍ وَطَرِيقٍ إلَى الآخِرَةِ، وأنَّكَ طَرِيدُ المَوْتِ الّذي لاَ يَنجو مِنْهُ هارِبُهُ، وَلاَ يَفُوتُهُ طالِبُهُ، ولابُدَّ أنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلى حَذَرٍ أنْ يُدْرِكَكَ وَأنْتَ عَلى حالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْها بِالتَّوْبَةِ فَيَحولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذلِكَ، فَإذا أنْتَ قَدْ أهْلَكْتَ نَفْسَكَ»[٣].

وكذلك الإمام الحسين عليه السلام له أجل لابد أن يلاقيه، إلا أننا نعتقد أن الإمام الحسين عليه السلام قد ادخر الله تعالى له درجة عنده لن ينالها إلا بالشهادة وهذا ما ورد عن جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول له:

«بأبي أنت، كأني أراك مرملا بدمك بين عصابة من هذه الأمة، يرجون شفاعتي، ما لهم عند الله من خلاق، يا بني إنك قادم على أبيك وأمك وأخيك، وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة»[٤].

فيظهر من قوله هذا أن له أجلا ولكن قد يكون موتا بالسم أو قد يكون قتلاً في

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٣١. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١١، ح١٩٠٧٩.

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق: ص٢١٦ - ٢١٧.

سبيل الله تعالى فلذا خيّره الله تعالى بين أن يضحى في سبيله فينال درجته التي ادخرها له وبين أن يموت مسموماً بناء على قولهم عليهم السلام:

«ما منّا إلا مسموم أو مقتول»[1].

فاختار المصرع الذي يريده الله تعالى ويحبه، وهذا الاختيار يدفع الشبهة القائلة بأن الإمام لا يعلم موته وكيفيته ومكانه أو زمانه، ولأن الإمام عليه السلام سيد شباب أهل الجنة ومحبوب لله تعالى أخبره الله تعالى على لسان جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه المرتضى عليه السلام أنه سيقتل في كربلاء إذا كان يريد ما يحبه الله تعالى له.

ـ بحث عقائدي

علم الإمام عليه السلام

قال الإمام الحسين عليه السلام:

«كَأنّي بِأوْصالي تُقَطِّعُها عُسْلانُ الْفَلَواتِ بَيْنَ النَّواويسِ وَكَرْبَلاء، فَيَمْلأنَّ مِنّي أكْراشاً جَوْفاً، وَأجْرِبَةً سَغْبى، لا مَحيصَ عَنْ يَوْمٍ خُطَّ بِالْقَلَمِ، رِضَى اللهِ رِضانا أهْلُ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلى بَلائِهِ وَيُوَفّينا أجْرَ الصّابرينَ، لَنْ تَشِذَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لُحْمَتُهُ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ في حَظيرَةِ القُدْسِ، تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ وَيُنْجِزُ بِهِمْ وَعْدَهُ، مَنْ كانَ باذِلاً فينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً عَلى لِقاءِ اللهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنا فَإنَّني راحِلٌ مُصْبِحاً إنْ شاءَ اللهُ تَعالى».

لكي لا نصاب بالدهشة، ولا نقع في المغالاة، ولكي تتضح الحقائق وتعرف المواقع لابد من الإشارة إلى مفهوم الإمامة والوقوف على معناها الحقيقي، ولا يتم هذا إلا من خلال التأمل في أحاديث أهل البيت عليهم السلام الذين عرفونا الإمامة بأحلى صورها وأكمل معانيها وصرحوا بضرورة الإيمان بها.

---

(١) كفاية الأثر، الخزاز القمي: ص٢٢٧. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٢٧، ص٢١٧، ح١٩.

ـ ملاحظة مهمة: تركنا التعرض إلى الروايات التي تتحدث عن رتبة الإمامة، ووجوب معرفة الإمام، ودور الإمام في الأرض، ودعوة كل أمة بإمامهم، وفائدة معرفة الإمام وضرر عدم معرفته، وشرائط الإمامة وخصائص الإمام وغير ذلك ممّا يتضمن الكثير من المواضيع لكي لا يخرج البحث عن عنوانه وهو علم الإمام بالرغم من أن كل هذه المواضيع ذات صلة من بعيد أو قريب بالموضوع الذي نحن بصدده.

١ـ ورد عنهم عليهم السلام ما يوافق العقل إذ يقولون أن من العدل الإلهي أن لا يدع الله تعالى الناس في حيرة من أمرهم بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلابد من هاد يهديهم لما يريد الله تعالى ولابد من عالم يعرف الناس الحق من الباطل ولابد من حجة لله على الناس لكي لا يكون لأحد حجة على الله تعالى ونكون الحجة البالغة له عز وجل، وهذا المعنى نجده في قول الإمام الصادق عليه السلام إذ يقول:

«إنّا لَمّا أثْبَتْنا أنّ لَنا خالِقاً صانِعاً مُتَعالِياً عَنّا وَعَنْ جَميعِ ما خَلَقَ... ثُمَّ ثَبتَ ذلِكَ في كُلِّ دَهْرٍ وَزَمانٍ مِمّا أتَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالأنْبِياءُ مِنَ الدَّلائِلِ وَالبَراهينِ، لِكَيْ لاَ تَخْلُوَ أرضُ اللهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يَدُلُّ عَلى صِدْقِ مَقالَتِهِ وَجَوازِ عَدالَتِهِ»[1].

وعنه عليه السلام:

«إنَّ الأرْضَ لاَ تَخْلُو إلاّ وَفيها إمامٌ، كَيْما إنْ زادَ الْمُؤْمِنونَ شَيْئاً رَدَّهُمْ، وإنْ نَقَصُوا شَيْئاً أتَمَّهُ لَهُمْ»[2].

(١) الكافي: ج١، ص١٦٨، ح١. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥١، ح٨٠٤.

(٢) الكافي: ج١، ص١، ص١٧٨، ح٢. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥١، ح٨٠٥.

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

«إنَّ اللهَ لَمْ يَدَعِ الأرْضَ بِغَيْرِ عالِمٍ، وَلَولا ذلِكَ لَمْ يُعْرَفِ الحَقُّ مِنَ الباطِلِ»[1].

٢ـ وهناك تصريح ورد عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه أن الإمام لابد أن يكون عالما لكي يرجع إليه الناس فيعلم الحلال والحرام دون الوقوع في الخطأ، ولابد أن يكون هذا الإمام العالم مستغنياً عن الناس في هذا الأمر:

«إنَّ الأرْضَ لاَ تُتْرَكُ إلاّ بعالِمٍ يَحْتاجُ النّاسُ إلَيْهِ ولاَ يَحْتاجُ إلى النّاسِ، يَعْلَمُ الحَرامَ وَالحَلالَ»[2].

وهناك الكثير من الروايات التي تشير إلى ضرورة وجود الإمام تطلب من مصادرها.

٣ـ عرف أهل البيت عليهم السلام الإمامة بأنها من تمام الدين كما في قول الإمام الرضا عليه السلام:

«وَأنْزَلَ في حِجَّةِ الوَداعِ وَهِيَ آخِرُ عُمْرِهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾[3].

وَأمْرُ الإمامَةِ مِنْ تَمامِ الدِّينِ»[4].

وهي القاعدة التي يستند عليها الإسلام الحقيقي كما في قوله عليه السلام:

«إنَّ الإمامَةَ أُسُّ الإسْلامِ النّامي وَفَرْعُهُ السّامي»[5].

---

(١) الكافي: ج١، ص١٧٨، ح٥. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥١، ح٨٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٣، ص٥٠، ح١٠٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٤) نور الثقلين: ج١، ص٥٨٩، ح٣٣. ميزان الحكمة: ج١، ص١٤٦، ح٧٨١.

(٥) الدر المنثور: ج٣، ص١٩. ميزان الحكمة: ج١، ص١٤٧، ح٧٨٤.

ولكي نطلع على حقيقة الإمامة لنتأمل حديث الإمام الرضا عليه السلام فيما أراد أن يرحل من نيسابور إلى المأمون اجتمع إليه أصحاب الحديث فقالوا:

(يا بن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث نستفيده منك ـ وكان قد قعد في العمارية فاطلع رأسه ـ وقال:

«سمعت أبي موسى بن جعفر يقول سمعت أبي جعفر بن محمد يقول سمعت أبي محمد بن علي يقول سمعت أبي علي بن الحسين يقول سمعت أبي الحسين بن علي يقول سمعت أبي علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول سمعت جبرئيل يقول سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

فلما مرت الراحلة نادى ـ عليه السلام ـ:

«بشروطها وأنا من شروطها»)[1].

وبعد الوقوف على هذا المعنى الرفيع للإمامة الذي صوره الإمام الرضا عليه السلام لنا نستطيع أن نقول: يجب أن يكون الإمام ذا علم واسع لا يعلو عليه إلا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بدليل قول الإمام الرضا عليه السلام:

«إنَّ العَبْدَ إذا اختارَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لأمورِ عِبادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذلِكَ، وأوْدَعَ قَلْبَهُ يَنابيعَ الحِكْمَةِ، وأَلْهَمَهُ العِلْمَ إلهاماً، فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَهُ بِجَوابٍ ولاَ يَحيرُ فيهِ عَنِ الصَّوابِ»[2].

وهذه باقة من الروايات التي تتحدث عن علم الإمام وسعته وهي مما يوافق العقل والحكمة:

عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج١، ص١٤٤، ح٤.

(٢) الكافي: ج١، ص٢٠٢، ح١. ميزان الحكمة: ج١، ص١٧٧، ح٩٤٨.

«لاَ يَحْمِلُ هذا الأَمْرَ إلاّ أهْلُ الصَّبْرِ والبَصَرِ وَالعِلْمِ بِمَواقِعِ الأمْرِ»[١].

وقال الإمام الرضا عليه السلام في صِفَةِ الإمام:

«مَضْطَلِعٌ بالإمامَةِ، عالِمٌ بالسِّياسَةِ»[٢].

وجاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«يَحْتاجُ الإمامُ إلى قَلبٍ عَقُولٍ، وَلِسانٍ قَوُولٍ، وجَنانٍ عَلى إقامَةِ الحَقِّ صَؤولٍ»[٣].

وعنه عليه السلام أيضا في وَصْفِ الأئِمَةِ:

«عَقَلوا الدِّينَ عَقْلَ وِعايَةٍ وَرِعايَةٍ، لاَ عَقْلَ سَماعٍ وَرِوايَةٍ، فَإنَّ رُواةَ العِلْمِ كَثيرٌ وَرُعاتَهُ قَليلٌ»[٤].

وجاء عنه عليه السلام أيضا:

«إنَّ أوْلى النّاسِ بِأمْرِ هذِهِ الأُمَّةِ قَديماً وَحَديثاً أقْرَبُها مِنَ الرَّسولِ وَأعْلَمُها بِالكِتابِ وأفْقَهُها في الدِّينِ، أوَّلُها إسلاماً وَأفْضَلُها جِهاداً وأشَدُّها بِما تَحْمِلُهُ الأئِمَّةُ مِنْ أمْرِ الأُمَّةِ اضْطِلاعاً»[٥].

وعن الإمام الحسين عليه السلام في كتابه إلى أهلِ الكوفة قال:

«فَلَعَمْري، ما الإمامُ إلاّ الحاكِمُ بِالكِتابِ، القائِمُ بِالقِسْطِ، الدائِنُ بِدينِ الحَقِّ، الحابِسُ نَفْسَهُ عَلى ذاتِ اللهِ»[٦].

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧، ص٣٦. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٧، ص٨٤٦.

(٢) الكافي: ج١، ص٢٠٢، ح١. ميزان الحكمة: ج١، ص١، ص١٥٧، ح٨٤٧.

(٣) غرر الحكم: ١١٠١٠. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٧، ح٨٤٨.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٣، ص٣١٧. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٧، ح٨٤٩.

(٥) نهج البلاغة: ج٣، ص٢١٠. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨، ح٨٥٤.

(٦) الإرشاد: ج٢، ص٣٩. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨، ح٨٥٦.

«للإمامِ عَلاماتٌ: (أنْ) يَكونَ أعْلَمَ النّاسِ، وأحْكَمَ النّاسِ، وَأتْقى النّاسِ، وأحْلَمَ النّاسِ، وأشْجَعَ النّاسِ، وأسْخى النّاسِ، وأعْبَدَ النّاسِ»[١].

وجاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّ أحقَّ النّاسِ بِهذا الأمْرِ أقْواهُمْ عَلَيْهِ وَأعْلَمُهُمْ بِأمرِ اللهِ فيهِ، فَإنْ شَغَبَ شاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإنْ أبى قُوتِلَ»[٢].

وعنه عليه السلام:

«الإمامُ المُسْتَحِقُّ لِلإمامَةِ لَهُ عَلاماتٌ، فَمِنْها: أنْ يُعْلَمَ أنَّهُ مَعْصومٌ مِنَ الذُنوبِ كُلِّها صَغيرِها وكَبيرِها، لاَ يَزِلُّ في الفُتْيا ولا يُخْطِئُ في الجَوابِ، وَلاَ يَسْهو ولا يَنْسى، ولاَ يَلْهو بِشَيءٍ مِنْ أمْرِ الدُّنْيا.

والثّاني: أنْ يَكُونَ أعْلَمَ النّاسِ بِحَلالِ اللهِ وَحَرامِهِ وضُرُوبِ أحْكامِهِ وأمْرِهِ ونَهْيِهِ وَجَميعِ ما يَحْتاجُ إلَيهِ النّاسُ، (فَيَحْتاجُ النّاسُ إلَيْهِ) وَيَسْتَغْني عَنْهُمْ»[٣].

وجاء عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«كِبارُ حُدودِ وَلاَيَةِ الإمامِ المَفْروضِ الطّاعَةِ أنْ يُعْلَمَ أنَّهُ مَعْصومٌ مِنَ الخَطأِ والزَّلَلِ والعَمْدِ، ومِنَ الذُّنوبِ كُلِّها صَغيرِها وكَبيرِها، لا يَزِلُّ ولا يُخْطِئُ، ولاَ يَلْهو بِشَيءٍ مِنَ الأمورِ المُوبِقَةِ للدِّينِ، ولا بِشَيءٍ مِنَ المَلاهي، وأنَّهُ أعْلَمُ النّاسِ بِحَلالِ اللهِ وَحَرامِهِ، وفَرائِضِهِ وسُنَنِهِ وأحْكامِهِ، مُسْتَغْنٍ عَنْ جَميعِ العالَمِ، وغَيْرُهُ مُحْتاجٌ إلَيْهِ، وأنَّهُ أسْخى النّاسِ وأشْجَعُ النّاسِ»[٤].

---

(١) معاني الأخبار: ص١٠٢، ح٤. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨، ح٨٥٧.

(٢) نهج البلاغة: ج٩، ص٣٢٨. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨، ح٨٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٥، ص١٦٤. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨ ـ ١٥٩، ح٨٦١.

(٤) بحار الأنوار: ج٦٨، ص٣٨٩، ح٣٩. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٩، ح٨٦٢.

سؤال مهم

السؤال: سلمنا أن الإمام يجب أن يكون ذا علم واسع ولكن ما دليلكم على انطباق ذلك على أهل البيت بما فيهم الإمام الحسين عليه السلام؟

الجواب: يتلخص الجواب فيما يلي:

١ـ الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق أهل البيت عليهم السلام كحديث الثقلين وحديث السفينة وغيرها من الأحاديث فراجع.

٢ـ ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل البيت عليهم السلام هم العدل وبهم يقام العدل وتؤلف القلوب إذ يقول وهو يصفُ لعليٍّ عليه السلام أهل الفِتْنَةِ:

يَعْمَهونَ فيْهَا إلى أن يُدْرِكَهُمُ العَدْلُ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، العدلُ مِنّا أمْ مِنْ غَيْرِنا؟ فَقالَ: بَلْ مِنّا، بِنا يَفْتَحُ اللهُ، وَبِنا يَخْتِمُ، وَبِنا ألَّفَ اللهُ بَيْنَ القُلوبِ بَعْدَ الشِّرْكِ»[1].

٣ـ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يدل على أن علياً هو الحجة لله تعالى على الناس وهذا لا يتم إلا لمن كان ذا علم ومعرفة وحكمة، ولكي نطلع على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلنستمع إليه:

ألف: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إنّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَهِدَ إليَّ في عَليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام عَهْداً، قُلْتُ: يا رَبِّ بَيِّنْهُ لي.

قالَ: اسْمَعْ، قُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ، قالَ: إنّ عَلِيّاً رايَةُ الهُدى وإمامُ أوليائي ونورُ مَنْ

(١) أمالي المفيد: ص٢٨٩، ح٧. ميزان الحكمة: ج١، ص١٧٥، ح٩٣٥.

أطاعَني، وهُوَ الكَلِمَةُ الّتي أَلزَمْتُها المُتَّقينَ، مَنْ أحَبَّهُ أحَبَّني، ومَنْ أطاعَهُ أطاعَني»[١].

في هذا الحديث يشير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن عليا يهدي غيره وهذا لا يكون إلا لمن كان ذا علم ومعرفة.

باء: **لا يصح من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل له خليفة جاهلاً** بأمور الدين والدنيا، وحيث إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم معصوم من الزلل جعل عليا خليفة من بعده لعلمه أن عليا ذو علم ومعرفة واسعة ويصلح لأن يكون خليفته ووزيره ووصيه كما ورد ذلك عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ أخي وَوَصِيِّ وَوَزيري وخليفَتي في أهْلي عَليُّ بنُ أبي طالبٍ، يَقْضي دَيْني، وَيُنْجِزُ مَوْعِدي يا بني هاشِمٍ»[٢].

جيم: ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عليا عليه السلام حائز على علم نبوي لا يضاهيه أحد في ذلك كما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول:

«أنا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أرادَ العِلْمَ فَلْيَأْتِ البابَ»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم مشيراً إلى عليٍّ عليه السلام:

«أنا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيٌّ بابُها، فَمَنْ أرادَ العِلْمَ فَلْيَأْتِهِ مِنْ بابِهِ»[٤].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا دارُ الحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بابُها»[٥].

---

(١) نور الثقلين: ج٥، ص٧٣، ح٧٤. ميزان الحكمة: ج١، ص١٨١، ح٩٦١.

(٢) أمالي الطوسي: ص٦٠٢. ح١٢٤٤. ميزان الحكمة: ج١، ص١٨١، ح٩٦٣.

(٣) كنز العمال: ٣٢٨٩٠. ميزان الحكمة: ج١، ص١٨٥، ح٩٨٤.

(٤) كنز العمال: ٣٢٩٧٩. ميزان الحكمة: ج١، ص١٨٥، ح٩٨٥.

(٥) كنز العمال: ٣٢٨٨٩. ميزان الحكمة: ج١، ص١٨٥، ح٩٨٧.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«عَليٌّ بابُ عِلْمي، وَمُبَيِّنٌ لأمَّتي ما أُرْسِلْتُ بِهِ، مِنْ بَعْدي»[١].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أعْلَمُ أُمَّتي مِنْ بَعْدي عَليُّ بنُ أبي طالبٍ»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا عليُّ أنتَ..... وارثُ عِلْمي»[٣].

٤ـ إن أمير المؤمنين عليه السلام ذا العلم الأكثر والحكمة التي لا يقاس بها أحد أوصى إلى ولده الإمام الحسن عليه السلام ليقوم مقامه وأوصى الإمام الحسن عليه السلام إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام ليقوم مقامه في هداية الأمة وتعريف الحق من الباطل وتعليمها الحلال والحرام، وما يدل على هذا أولا: الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه آله وسلم إذ يقول:

«ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[٤].

ثانيا: ما ورد في وصية أمير المؤمنين عليه السلام في الكافي عن سُليم بنِ قيس قال:

«شَهِدْتُ وَصِيّةَ أميرِ المؤمِنينَ عليه السلام حينَ أوصى إلى ابْنِهِ الحسنِ عليه السلام وأشْهَدَ عَلى وَصِيّتِهِ الحسينَ عليه السلام ومُحَمَّداً وَجَميعَ وُلْدِهِ وَرُؤساءَ شيعَتِهِ وأهْلَ بيتِهِ، ثُمَّ دَفَعَ إلَيْهِ الكِتابَ والسِّلاحَ»[٥].

---

(١) كنز العمال: ٣٢٩٨١. ميزان الحكمة: ج١، ص١٨٥، ح٩٨٨.

(٢) كنز العمال: ٣٢٩٧٧. ميزان الحكمة: ج١، ص١٨٦، ح٩٨٩.

(٣) ينابيع المودّة: ج١، ص٣٩٧، ح١٧. ميزان الحكمة: ج١، ص١٨٦، ح٩٩٢.

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٣١.

(٥) الكافي: ج١، ص٢٩٧، ح١. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٠٦، ح١١١٩.

ثالثا: ما ورد في وصية الإمام الحسن عليه السلام إلى الإمام الحسين عليه السلام:

«إنَّ الحُسَيْنَ بنَ عَليٍّ عليه السلام، بَعْدَ وَفاةِ نَفْسي وَمُفارَقَةِ رُوحي جِسْمي، إمامٌ مِنْ بَعْدي، وعِنْدَ اللهِ جلَّ اسْمُهُ في الكِتابِ، وِراثة مِنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أضافَها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ في وِراثَةِ أبيهِ وأمِّهِ، فَعَلِمَ اللهُ أنَّكُمْ خِيَرةُ خَلْقِهِ، فاصْطَفى مِنْكُمْ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم، واختارَ مُحَمَّدٌ عَلِيّاً عليه السلام، واختارَني عليٌّ عليه السلام بالإمامَةِ، واخْتَرْتُ أنا الحُسَيْنَ عليه السلام»[1].

فورث الإمام الحسين عليه السلام علمه عن جده وأبيه لكي يمارس دور حجة الله تعالى على الناس، وهو يعلم مقتله ومقتل أهل بيته بل يعلم الزمان والمكان لهذا القتل إذ يقول: (ولم تكد أمّ سلمة أن تنتظر نبوءة السماء تخبرها بقتل الحسين عليه السلام، ولم تصطبر أن يأتيها عزمه على السفر الطويل الذي لا لقاء بعده، حتّى أجهشت بالبكاء، وتوسّلت إليه بالعدول قائلةً:

لا تحزني بخروجك إلى العراق، فإنّي سمعت جدّك رسول الله يقول: يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء، وعندي تربتك في قارورة دفعها إليّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحسين عليه السلام:

«يا أمّاه، وأنا أعلم أنّي مقتول مذبوح ظلماً وعدواناً، وقد شاء عزّ وجلّ أن يرى حرمي ورهطي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مأسورين مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً».

قالت أمّ سلمة: واعجباً، فأنّى تذهب وأنت مقتول؟!. قال عليه السلام:

---

(١) الكافي: ج١، ص٣٠١، ح٢. ميزان الحكمة: ج١، ص٢١٠، ح١١٢٦.

«يا أمّاه، إن لم أذهب اليوم ذهبت غداً، وإن لم أذهب في غد ذهبت بعد غد، وما من الموت ـ والله ـ بدّ، وانّي لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، والساعة التي أقتل فيها، والحفرة التي أدفن فيها، كما أعرفك، وأنظر إليها كما أنظر إليك، وإن أحببت يا أمّاه أن أريك مضجعي ومكان أصحابي».

فطلبت منه ذلك، فأراها تربة أصحابه، ثمّ أعطاها من تلك التربة، وأمرها أن تحتفظ بها في قارورة، فإذا رأتها تفور دماً تيقّنت قتله! وفي اليوم العاشر بعد الظهر نظرت إلى القارورة فإذا هي تفور دماً)[1].

ـ صفات الأنصار

(مَنْ كانَ باذِلاً فينا مُهْجَتَهُ، وَمُوَطِّناً على لِقاءِ اللهِ نَفْسَهُ، فَلْيَرْحَلْ مَعَنا فإنَّني راحِلٌ مُصْبِحاً إنْ شاءَ اللهُ تَعالى).

الحديث عن أنصار الإمام الحسين عليه السلام هو حديث عن أفضل الأنصار رتبة وأسماهم مقاماً لا لأنهم قتلوا في سبيل الله تعالى بل لأنهم قتلوا في مقطع زمني قل فيه الناصر وتهافت فيه الناس على الدنيا ولأنهم كانوا غرباء لا يخالطهم أحد ولا يوافقهم على نهجهم من ذلك الجمع فرد يخاف الله تعالى، ولقد امتاز أنصار الإمام الحسين عليه السلام دون غيرهم من الأنصار بأنهم كانوا يعلمون بشهادتهم ومتيقنين من عدم بقائهم في الحياة ومع ذلك ذهبوا مع إمامهم موطنين أنفسهم على لقاء الله تعالى، متدرعين بالقلوب فوق الدروع مستبشرين بما ادخر الله تعالى لهم يتسابقون على الشهادة، ويوصي بعضهم بعضا بإمامهم عليه السلام يتمنون لو أن لهم أكثر من جسد وروح ليبذلوا ذلك في سبيل الدفاع عن إمام صادق اليقين وعن دين سفكت من أجله الدماء وبذلت المهج وسهرت العيون وتعبت الأجساد.

(١) أنصار الحسين عليه السلام الثورة والثوار، السيد محمد علي الحلو: ص٤٣.

ولكي تتضح صورة هؤلاء الأبطال نستشهد بقول الإمام الحسين عليه السلام في حقهم إذ يقول:

«والله ما رأيت أصحابا كأصحابي».

يقسم الإمام بالله تعالى وهو لا يقول كذبا ولا يقسم باطلاً ولا ينطق عاطفة ولا يلقي الكلام جزافا لكونه الإمام المعصوم الذي جعله الله تعالى حجة على الناس بعد أبيه وأخيه، فبيّن الإمام الحسين عليه السلام رتبة هؤلاء الأصحاب رغم علمه بأصحاب جده المصطفى وأبيه المرتضى وأخيه المجتبى، وما قال ما قال إلا لأنه رأى أصحابا باعوا الدنيا بشراء الآخرة، وبذلوا المهج لنجاة الدين، وفارقوا الأحبة من الأهل والولد لنيل رضا المحبوب الحقيقي، وعانقوا الرمال كعناقهم للحور العين، وتوضأوا بالدماء لأداء الصلاة، وصافحوا السيوف بوجوه مستبشرة، وجاهوا السهام بنحور مشرقة وأرواح ثابتة وأقدام راسخة.

أنصار الإمام الحسين عليه السلام يعني الشهامة والعلو والرفعة والسمو، ونفوس طاهرة وأجساد مطهرة وقلوب خاشعة وعيون دامعة، وضمائر حيّة وأفكار سليمة وإيمان قوي وجأش رابط وثبات دائم وعزيمة قوية وفروسية وصدق وإخلاص ووفاء وإيثار وسخاء وموالاة وبراءة، وبصر وبصيرة، وتواضع وشرف وزهد وعبادة، فهم السابقون السابقون، أنصار الإمام الحسين عليه السلام وصفهم العدو قبل الصديق (بأنهم أهل البصائر وفرسان المصر).

فيقول: (صاح عمرو بن الحجّاج بأصحابه: أتدرون مَن تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحد منكم إلاّ قتلوه على قِلّتهم، والله! لو لم ترموهم إلاّ بالحجارة لقتلتموهم)[1].

(١) أنصار الحسين عليه السلام الثورة والثوّار، السيد محمد علي الحلو: ص٤٨.

ووصفهم الإمام المعصوم بأنهم أصحاب الأقدام الثابتة على الصدق والإخلاص بقوله:

«اللهم ثبت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام»[1].

فهم الأبرار الأخيار الذين جاء وصفهم على لسان إمامهم الحسين عليه السلام إذ يقول:

«فإني لا أعلم أصحابا أوفى ولا خيرا من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي».

فهو بهذا الوصف ينفي أن يكون مثل أصحابه أصحاب لا في الماضي أو الحاضر ولا حتى في المستقبل.

أنصار الإمام الحسين عليه السلام ضربوا مثلا في الشجاعة لا يرقى إليه أحد فلذا يقول أحد الأعداء: (عضضتَ بالجندل، أنّك لو شهدتَ ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها على مقابض سيوفها، كالأسود الضارية، تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، تُلقي نفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب بالمال، ولا يحول حائل بينها وبين المنية أو الاستيلاء على الملك، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنّا فاعلين، لا أمّ لك)[2].

وكان، كما قال إمامهم الحسين عليه السلام بأنهم وطنوا أنفسهم على بذل المهج وقتل الأنفس ويظهر هذا من خلال خطبهم التي أدلوا بها بين يدي سيد الشهداء عليه السلام وهي كالآتي:

---

(١) زيارة عاشورا: ذكر السجدة بعد الزيارة.

(٢) أنصار الحسين عليه السلام الثورة والثوّار، السيد محمد علي الحلو: ص٥٠ ـ ٥١.

١ـ العباس عليه السلام

قال العبّاس ـ عليه السلام ـ ممثّلاً آل عليّ من إخوته وبني أخيه:

(لِمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟! لا أرانا الله ذلك أبداً).

ويلتفت الحسين عليه السلام إلى بني عقيل قائلاً:

«حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنتُ لكم».

فقالوا:

فَماذا يَقولُ النّاسُ لَنا، وَماذا نَقولُ لَهُم؟ إنّا تَرَكْنا شَيْخَنا وَكَبيرَنا وَسَيِّدَنا وامامَنا وابْنَ بِنْتِ نَبِيِّنا، لَمْ نَرْمِ مَعَهُ بِسَهْمٍ، وَلَمْ نَطْعَنْ مَعَهُ بِرُمْحٍ، وَلَمْ نَضْرِبْ مَعَهُ بِسَيْفٍ، لاَ وَاللهِ يا بْنَ رَسُولِ اللهِ لاَ نُفارِقُكَ أبداً، وَلكِنّا نَقيكَ بِأنْفُسِنا حَتّى نُقْتَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ، ونَرِدَ مَوْرِدَكَ. فَقَبَحَ اللهُ الْعَيْشَ بَعْدَكَ)[1].

٢ـ سعيد بن عبد الله الحنفي ـ رضي الله عنه ـ

قال سعيد بن عبد الله الحنفي: (لا نُخلّيك حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك، والله! لو علمت أنّي أُقتل، ثمّ أحيا، ثمّ أُحرق، ثمّ أُذرى، يفعل بي ذلك سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً)[2].

٣ـ زهير بن القين ـ رضي الله عنه ـ

ويجيبه زهير بن القين بمثل ذلك قائلاً: (والله! لوددت أنّي قُتلت، ثُمّ نُشرت، ثمّ قُتلت حتّى أُقتل على هذه ألف مرّة، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

---

(١) المصدر السابق: ص٥٥ ـ ٥٦.

(٢) المصدر السابق: ص٥٥.

وقام زهير يسمعه جميع أصحابه، ومَن حضر من أهل بيت الحسين عليه السلام فقال:

لَقَدْ سَمِعْنا يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ مَقالَتَكَ، وَلَو كانَتِ الدُّنْيا باقِيَةً وَكُنّا فِيها مُخَلَّدِينَ لآثَرْنَا النُّهوضَ مَعَكَ عَلَى الإقامَةِ فِيها)[1].

٤ـ برير ـ رضي الله عنه ـ

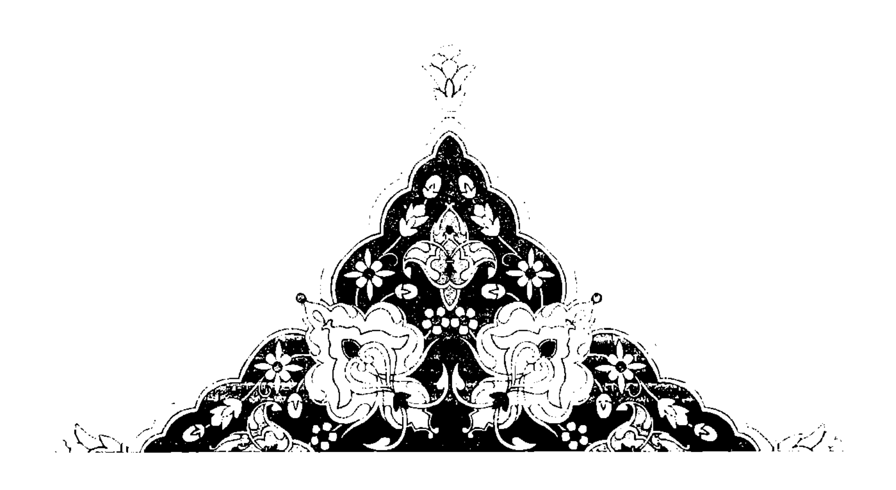
وشيخ قرّاء الكوفة وفقيهها ينبري هاتفاً على بصيرةٍ من أمره وأمر أصحابه:

(يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ، لَقَدْ مَنَّ اللهُ بِكَ عَلَيْنا أنْ نُقاتِلَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَتُقَطَّعَ فِيكَ أعْضاؤُنا، ثُمَّ يَكُونَ جَدُّكَ شَفِيعَنا يَوْمَ الْقِيامَةِ)[2].

---

(١) المصدر السابق: ص٥٧.

(٢) أنصار الحسين عليه السلام الثورة والثوّار، السيد محمد علي الحلو: ص٥٧ ـ ٥٨.



الخطبة التاسعة

خطبها عند مسيره إلى كربلاء

وفيها يذمّ الدنيا ويحذر منها

نص الخطبة

(إنَّ هذِهِ الدُّنيا قَد تَغَيَّرَت وَتَنَكَّرَتْ وأدْبَرَ مَعرُوفُها، فَلَمْ يَبْقَ مِنْها الأَصُبابَةُ كَصُبابَةِ الإناءِ، وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالمَرعَى الوَبِيلِ، ألا تَرَوْنَ أنَّ الحَقَّ لا يُعْمَلُ بِهِ، وَأنَّ الباطِلَ لا يُتناهى عَنهُ، لِيَرْغَبُ المُؤْمِنُ في لِقاءِ اللهِ مُحِقّاً فَإنِّي لا أرَى المَوتَ إلاَّ سَعادَةً، وَلاَ الحَياةَ مَعَ الظَّالِمينَ إلاّ بَرَماً.

إنَّ النّاسَ عَبِيدُ الدُّنيا وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلى ألسِنَتِهِم، يَحُوطُونَهُ ما دَرَّت مَعايِشُهُم، فَإذا مُحِّصُوا بِالبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ).

المعنى العام

يشير الإمام عليه السلام إلى الدنيا بأنها لم تبقَ على حالها السابق من تعظيم وتقدير واحترام أهل البيت عليه السلام أو من آداب وسلوك أهلها فيما بينهم، فإنها تبدلت وتغير حالها السابق وظهرت بمظهر آخر، وذهب خيرها ومعروفها، فلم يبق إلا قليلا كما يبقى في إناء الماء، وقليل تافه كالمرعى الوخيم، ألا ترون أن الحق لا يفعل به وأن المخالف والمغاير للصحيح لا يترك ولا ينهى فاعله، ليحب المؤمن لقاء الله وهو على صواب وحسن فعل وإيمان قلب، فإني لا أرى الموت إلا راحة وسروراً، ولا الحياة مع الظالمين إلا ضجراً وسئماً.

(إنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنيا وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلى ألسِنَتِهِم، يَحُوطُونَهُ ما دَرَّت مَعايِشُهُم، فَإذا مُحِّصُوا بِالبَلاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ).

يؤكد الإمام عليه السلام أن غير المؤمنين من الناس يعبدون الدنيا بما فيها من مال ونساء وجاه وهوى وشهوات وأمّا الدين والإيمان ليس إلا لحسة على الألسن ليس لها قرار ودوام يحفظونها ما كثرت وتيسرت أرزاقهم فإذا امتحنوا بالامتحان ترك الدين وتهافت من تلبس به.

ـ سبب خروج الإمام عليه السلام

لا يشك عاقل في أن خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق هو وفق الموازين الشرعية وضمن الإطار الإنساني والديني، ولا يحكم منصف بأن حركة الإمام عليه السلام تاركاً موطنه ومرابع طفولته من أجل الدنيا وإصابة المناصب والاستيلاء على الحكم، وعند تصفحنا لسيرة الإمام عليه السلام وقراءة التاريخ بعين مجردة من التعصب والحقد والنفس الطائفي نلمس بوضوح دوافع خروج الإمام عليه السلام ونقف على سببه الجوهري.

ولكي يطلع القارئ الكريم على السبب الرئيسي لخروج الإمام عليه السلام لابد من قراءة النصوص التاريخية التي ذكرت الأحداث في المدينة بعد وفاة معاوية، والاطلاع على الأجواء السياسية التي أحاطت بالإمام عليه السلام، والتأمل في خطبته الشريفة كرد وحوار تحاور به الإمام عليه السلام مع الصور السياسية المختلفة : ـ

١ـ في الفتوح: ج٢، ص٧٧ ـ ٧٨ : (وأقبل عبدالله بن الزبير على الحسين بن علي، فقلا : يا أبا عبد الله، إن هذه ساعة لم يكن الوليد بن عتبة يجلس فيها للنّاس، وإني قد أنكرت ذلك، وبعثه في هذه الساعة إلينا، ودعاءه إيانا بمثل هذا الوقت، أترى في أي أمر طلبنا؟

فقال له الحسين:

«إذن أخبرك أبا بكر، إني أظن بأن معاوية قد مات، وذلك أني رأيت البارحة في منامي كأن منبر معاوية منكوس، ورأيتُ داره تشتعل ناراً، فأولتُ ذلك في نفسه أنه مات».

فقال له ابن الزبير: فاعلم يا بن علي أن ذلك كذلك، فما ترى أن تصنع إن دعيت إلى بيعة يزيد أبا عبد الله؟

قال:

«أصنع، أني لا أبايع أبداً، لأن الأمر إنما كان لي من بعد أخي الحسن، فصنع معاوية ما صنع، وحلف لأخي الحسن أنه لا يجعل الخلافة لأحد من بعده من ولده، وأن يردها إليّ إن كنت حياً، فإن كان معاوية قد خرج من دنياه، ولم يف لي، ولا لأخي الحسن بما كان ضمِنْ، فقد والله أتانا ما لا قوام لنا به، أنظر أبا بكر أني أبايع ليزيد، يزيد رجل فاسق معلن بالفسق، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والفهود، ويبغض بقية آل الرسول؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً»)[1].

٢- وفي رواية أخرى: أقبل الحسين على الوليد بن عتبة وقال:

«أيّها الأمير، إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة، وبنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع لمثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالخلافة والبيعة»[2].

---

(١) النهضة الحسينية للسيد محمد حسن ترحيني العاملي: ص١٣٧، برقم ٢.

(٢) النهضة الحسينية للترحيني: ص١٤٤.

٣- وفي رواية أخرى:

في الفتوح: ج٢، ص٨٤ - ٨٥: (فخرج الحسني بن علي من منزله ذات ليلة، وأتى إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

«السلام عليك يا رسول الله، أنا الحسين بن فاطمة، أنا فرخك وسبطاً في الخلف الذي خلفت على أمتّك . كذا في المصدر، وفي مقتل الحسين للخوارزمي: ج١، ص١٨٦؛ وسبطك والثّقل الذي خلّفته في أمتّك . فاشهد عليهم يا نبي الله، إنهم قد خذلوني وضيّعوني، وانهم لم يحفظوني، وهذه شكواي إليك، حتى ألقاك صلى الله عليك وسلم».

ثم وَثَبَ قائماً، وصفّ قدميه، ولم يزل راكعاً وساجداً.

وأرسل الوليد بن عتبة إلى منزل الحسين لينظر هل خرج من المدينة أم لا، فلم يصبه في منزله، فقال: الحمد لله الذي لم يطالبني الله عزّ وجل بدمه، وظنّ أنه خرج من المدينة.

ورجع الحسين إلى منزله مع الصبح، فلما كانت اللّيلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً فصلّى ركعتين، فلما فرغ من صلاته جعل يقول:

«أللّهم إنّ هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت محمد، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، أللّهم واني أحب المعروفة وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلالة والإكرام بحق هذا القبر ومَنْ فيه إلا ما اخترت من أمري هذا ما هو لك رضاً».

ثم جعل الحسين يبكي، حتى إذا كان في بياض الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى ساعة، فرأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أقبل في كبكبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، حتى ضمّ الحسين إلى صدره، وقبّل بين

عينيه، وقال:

«يا بُنيّ، يا حسين، كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبوحاً بأرض كربٍ وبلاء من عصابةٍ من أمتي، وأنت في ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم في ذلك يرجون شفاعتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، فما لهم عند الله من خلاق، حبيبي . يا حسين . إن أباك وأمك قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، وإن لك في الجنة درجات لن تنالها إلا بالشهادة».

فجعل الحسين ينظر في منامه إلى جده صلى الله عليه وآله وسلم، ويسمع كلامه وهو يقول:

«يا جداه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا أبداً، فخذني إليك، واجعلني معك إلى منزلتك».

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا حسين، إنّه لابد لك من الرجوع إلى الدّنيا، حتى ترزق الشهادة، وما كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فأنت وأبوك وأخوك وعمك، وعم أبيك، تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة».

فانتبه الحسين من نوعه فَزِعاً مذعوراً، فقصّ على أهل بيته، وبني عبد المطلب، فلم يكن ذلك اليوم في شرقٍ ولا غربٍ أشدّ غماً من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أكثر منه باكياً وباكية)[1].

٤ـ وفي رواية أخرى: (ثم دعا الحسين بدواة وبيضاء، وكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب لأخيه محمد، المعروفة بابن الحنفية، ولد علي بن أبي طالب.

---

(١) النهضة الحسينية للترحيني: ص١٦٢ ـ ١٦٣.

إن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنّة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. سورة الحج آية: ٧ . وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب النّجاح والصّلاح في أمّة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرة أبي علي بن أبي طالب، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، ويحكم بيني وبينهم، وهو خير الحاكمين»)[1].

٥- وجاء في رواية أخرى :

(وفي مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ج٢، ص٢٧٤ - ٢٨٥، عن ثاقب المناقب عن الباقر عليه السلام:

«لما أراد الحسين عليه السلام الخروج إلى العراق بعثت إليه أم سلمة، وهي كانت تربيه، وكان أحب النّاس إليها، وكان أرق الناس لها، وكانت تربة الحسين عندها في قارورة، دفعها إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: يا بنيّ إلى أين تريد أن تخرج؟ فقال لها: يا أمّاه، أريد أن أخرج إلى العراق، ثم قال: ولِمَ ذاك يا أمّاه؟

قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يقتل الحسين بالعراق، وعندي تربتك في قارورة مختومة، ودفعها إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: يا أمّاه . والله . إني لمقتول، وإني لا أفرّ من القدر المقدور، والقضاء لله المحتوم،

(١) النهضة الحسينية للترحيني: ص١٧١ - ١٧٢.

والأمر الواجب من الله تعالى»)[1].

بعد التأمل في هذه الروايات التاريخية يظهر السبب الجوهري لخروج الإمام الحسين عليه السلام وهو ما يلي:

١ــ سبب خروجه بحسب الظاهر هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح في أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ورفض الظلم والظالمين وهذا ما يظهر من الروايتين الأولى والثانية، ومن وصيته لأخيه محمد بن الحنفية، وهذا السبب مدخل للسبب الثاني.

٢ـ السبب الجوهري هو الامتثال لما يريد الله تعالى له من المنزلة الرفيعة والدرجة العالية والتي لا تحصل إلاّ بخروجه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر والشهادة في سبيل ذلك بدليل أن الإمام عليه السلام قد أخبر عن اختياره في موته وأنه مخير في مقتله فاختار ما أراده الله تعالى له.

ـ وصف أهل الدنيا

تقدم الحديث عن الدنيا وأنواعها وعن التحذير منها والافتتان بزبارجها والانبهار بزخرفها، وتعرضنا إلى آثار حبها وخطر التعلق بها وغير ذلك من الأبحاث، إلا أننا لم نتعرض إلى ذكر صفات عبيدها وأهلها، ولكي نؤكد صحة تسمية أهلها بعبيدها لابد من التأمل في أحاديث أهل بيت العصمة لنرى وصفهم عليهم السلام لأهلها ونعتهم لمحبيها:

١ـ يرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن من يحب المال لذاته هو عبد محض للدنيا كما في قوله عليه السلام:

«مَنْ أحَبَّ الدِّينارَ وَالدِّرْهَمَ فَهُوَ عَبْدُ الدُّنْيا»[2].

---

(١) النهضة الحسينية للترحيني: ص١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) الخصال: ص١١٣، ح٩١. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢٢٠، ح٥٩٢٦.

٢ــ ويرى الإمام الحسين عليه السلام أن الإنسان محب للدنيا ولا خير في ذلك إذا فاق حبه للدنيا حبه للدين فهذا مما لا يرضاه الله تعالى ورسوله والأئمة الطاهرون، كما أنه يرى أن المرء المحب للدنيا إذا تعرض للاختبار والابتلاء ينسى دينه ويبقى حريصا على دنياه فيتنازل عن شعارته ومدعياته الدينية ويقع فريسة الحرص على الدنيا كما ورد ذلك في قوله عليه السلام:

«إنَّ النّاسَ عَبيدُ الدُّنْيا والدِّينُ لَعِقٌ عَلى اَلْسِنَتِهِمْ يَحوطُونَهُ ما دَرَّتْ مَعائشُهُم، فَإذا مُحِّصُوا بِالبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ»[1].

ومن هذه الروايات الشريفة نستشف مدى تعلق الإنسان ذي الإيمان الضعيف فضلا عن الكافر بهذه الدنيا الدنية فيصل بتعلقه هذا إلى درجة أن يكون عبدا للدنيا ومؤثرا لها على دينه.

وهناك روايات أخرى توصف لنا هؤلاء العبيد لكي لا نقع فيما وقعوا ولا نصل إلى ما وصلوا إليه، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يصف لنا عبد الدنيا بأنه فاقد العقل ميت القلب، ولهان حيران أسرته شهواته واستخفته ملذاته فيقول:

«قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَواتُ عَقْلَهُ، وأماتَتِ الدُّنْيا قَلْبَهُ، ووَلَهَتْ عَلَيْها نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَها، ولِمَنْ في يَدَيْهِ شَيءٌ مِنْها، حَيْثُما زالَتْ زالَ إلَيْها، وَحَيْثُما أقْبَلَتْ أقْبَلَ عَلَيْها»[2].

وجاء عن حديث المعراج أن الإنسان الذي يخرج عن التوازن في أكله ونومه ولهوه هو من عبيد الدنيا، والإنسان الذي لا حلم له ولا قناعة لديه فهو من أولادها وعبيدها، والإنسان الذي يتصف بالجرأة الوقحة والاعتداء على الناس دون أن يشعر بالخجل من ذلك هو من سجنائها، والإنسان الذي يتصف باللؤم وعدم النشاط في

---

(١) تحف العقول: ص٢٤٥. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٩، ح٥٩٢٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٩. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢٢٠، ح٥٩٢٩.

طاعة الله تعالى هو ممن تلبس بحبها، ولكي لا نكرر ما جاء في الحديث نعرض لكم حديث المعراج بنصه الواضح لتطلعوا على صفات عبيد الدنيا وأهلها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أهْلُ الدُنْيا مَنْ كَثُرَ أكْلُهُ وَضِحْكُهُ وَنَوْمُهُ وَغَضَبُهُ، قَليلُ الرِضا، لاَ يَعْتَذِرُ إلى مَنْ أساءَ إلَيْهِ، وَلاَ يَقْبَلُ مَعْذِرَةَ مَنِ اعْتَذَرَ إلَيْهِ، كَسْلانٌ عِنْدَ الطاعَةِ، شُجاعٌ عِنْدَ المَعْصِيَةِ، أمَلُهُ بَعيدٌ، وأجَلُهُ قَريبٌ، لاَ يُحاسِبُ نَفْسَهُ، قَليلُ المَنْفَعَةِ، كَثيرُ الكَلامِ، قَليلُ الخَوْفِ، كَثيرُ الفَرَحِ عِنْدَ الطَعامِ.

وإنَّ أهْلَ الدُنْيا لاَ يَشْكُرونَ عِنْدَ الرَخاءِ، وَلاَ يَصْبِرُونَ عِنْدَ البَلاءِ، كَثيرُ النّاسِ عِنْدَهُمْ قَليلٌ، يَحْمَدُونَ أنْفُسَهُمْ بِما لاَ يَفْعَلونَ، وَيَدَّعُونَ بِما لَيْسَ لَهُمْ، وَيَتَكَلَّمونَ بِما يَتَمَنَّوْنَ، وَيَذْكُرونَ مساوئ النّاسِ وَيُخْفُونَ حَسَناتِهِمْ.

قالَ: يا رَبِّ، هَلْ يَكُونُ سِوى هذا العَيْبِ في أهْلِ الدُّنْيا؟ قالَ: يا أحْمَدُ، إنَّ عَيْبَ أهْلِ الدُنْيا كَثيرٌ فيهِمُ الجَهْلُ والحُمْقُ، لاَ يَتَواضَعونَ لِمَنْ يَتَعَلَّمونَ مِنْهُ، وَهُمْ عِنْدَ أنْفُسِهِمْ عُقَلاءُ، وَعِنْدَ العارِفينَ حُمَقاءُ»[1].

ـ سعادة في الموت

(فَإنِّي لا أرَى الْمَوتَ إلاّ سَعادَةً، وَلاَ الحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إلاّ بَرَماً).

قد يندهش المرء لأول وهلة من عنواننا هذا ويستفهم كيف تتواجد السعادة في الموت الذي يفر منه أغلب الناس؟ وكيف يكون الموت الذي هو من وسائل الرعب وسيلة للسعادة؟ وكيف يصير ما هو مرحلوا؟ ولكي يتضح الجواب على هذه الأسئلة وغيرها لابد من التعرض إلى ذكر روايات وأحاديث أهل العصمة والطهارة في هذا الأمر لنتعرف على نظرهم الشريف في تفسير الموت بالسعادة.

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٢٣، ح٦. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢٢٠ ـ ١٢٢١، ح٥٩٣٠.

إلا أننا قبل التعرض إلى ذكر هذه الروايات والأحاديث نقول:

إن اليقين بأن الموت أمر حتمي يقود إلى الاستعداد له والتهيأ لما يليه، وأن تفسير الموت بأنه انتقال من دار فانية إلى دار باقية يدفعنا إلى التزود بالزاد الذي نحتاج إليه في تلك الدار، وأن تفسيرنا للموت بأنه اغتسال وتنظف من قذارة هذه الدنيا، وتحرر من قيود شهواتها، وإخراج من سجنها يشعرنا بالتوق إليه والانتظار لمجيئه بقلب مطمئن ونفس مستقرة.

وأن معرفتنا للموت بأنه لقاء الله تعالى ورسله وأنبيائه والأئمة الطاهرين، تجعلنا نشتاق إلى ذلك اللقاء وننتظره بلهفة.

ففي هذا تكمن السعادة، والآن لابد أن نستعرض الروايات والأحاديث الشريفة التي تشير إلى تفسير الموت، وكونه في نفع المؤمن:

ـ الروايات التي تفسر الموت

١ـ قال الإمام عليه السلام وقد سُئِلَ عَنْ تَفْسيرِ المَوْتِ:

«عَلَى الخَبيرِ سَقَطْتُمْ هُوَ أحَدُ ثَلاثَةِ أُمورٍ يَرِدُ عَلَيْهِ: إمّا بِشارةُ بِنَعيمِ الأبَدْ، وإما بشارة بعذاب الأبد، وإمّا تَحْزينُ وَتَهْويلُ وأمره مُبْهَمُ، لاَ يَدْري مِنْ أيِّ الفِرَقِ هُوَ...»[1].

٢ـ عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال:

«أعْظَمُ سُرورٍ يَرِدُ عَلى الْمُؤْمِنينَ إذْ نُقِلوا عنْ دارِ النَّكَدِ إلى نَعيمِ الأبَدِ، وَأعْظَمُ ثُبورٍ يَرِدُ عَلى الكافِرينَ إذْ نُقِلوا عَنْ جَنَّتِهِمْ إلى نارٍ لاَ تَبيدُ وَلاَ تَنْفَدُ»[2].

(١) معاني الأخبار: ص٢٨٨، ح٢. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٣، ح١٩١٠٤.

(٢) معاني الأخبار: ص٢٨٨، ح٣. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٣، ح١٩١٠٥.

٣ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام لّما سُئِلَ عَنِ المَوْتِ:

«لِلْمُؤْمِنِ كَنَزْعِ ثِيابٍ وَسِخَةٍ قَمِلَةٍ، وَفَكِّ قُيودٍ وأغْلالٍ ثَقيلَةٍ، والاسْتِبْدالِ بِأفْخَرِ الثِّيابِ وأطْيَبِها رَوائِحَ، وَأوْطَأِ المَراكِبِ، وآنَسِ المَنازِلِ؛ ولِلْكافِرِ كَخَلْعِ ثِيابٍ فاخِرَةٍ وَالنَّقْلِ عَنْ مَنازِلَ أنيسَةٍ، والاستِبْدالِ بِأوْسَخِ الثِّيابِ وَأخْشَنِها، وأوْحَشِ المَنازِلِ، وأعْظَمِ العَذابِ»[1].

٤ـ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لِلْمُؤْمِنِ كَأطْيَبِ ريحٍ يَشمُّهُ فَيَنْعَسُ لِطيبِهِ وَيَنْقَطِعُ التَّعَبُ وَالألَمُ كُلُّهُ عَنْهُ، ولِلْكافِرِ كَلَسْعِ الأفاعي ولَدْغِ العَقارِبِ أو أشَدّ!»[2].

قيلَ: فَإنّ قَوْماً يَقولونَ: إنَّهُ أشَدُّ مِنْ نَشْرٍ بِالمَناشيرِ، وَقَرْضٍ بِالمَقاريضِ، ورَضخٍ بِالأحْجارِ، وتَدْويرِ قُطْبِ الأرحِيَةِ عَلى الأحْداقِ! قالَ عليه السلام:

«كَذلِكَ هُوَ عَلى بَعْضِ الكافِرينَ والفاجِرينَ...»[3].

٥ـ عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في عِيادَةِ رجُلٍ من أصحابه قال:

«كَيفَ تَجِدُكَ؟».

قال: لَقيتُ المَوْتَ بَعْدَكَ! ـ يُريدُ ما لَقِيَهُ مِنْ شِدَّةِ مَرَضِهِ ـ فقالَ عليه السلام:

«كَيْفَ لَقيتَهُ؟».

فقال: أليماً شديداً، فقالَ عليه السلام:

«ما لَقيتَهُ، إنّما لَقيتَ ما يُنْذِرُكَ بِهِ وَيُعرِّفُكَ بَعْضَ حالِهِ...»[4].

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٨٩، ح٤. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٤، ح١٩١٠٧.

(٢) معاني الأخبار: ص٢٨٧.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١، ص٢٧٤، ح٩. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٤، ح١٩١٠٩.

(٤) معاني الأخبار: ص٢٨٩، ح٧. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٥، ح١٩١١١.

٦ـ قال الإمام الجواد عليه السلام لّما سُئلَ عن عِلّةِ كَراهةِ المَوتِ:

«لأنَّهُمْ جَهِلوهُ فَكَرِهُوهُ، وَلَوْ عَرَفُوهُ وَكانوا مِنْ أوْلِياءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لأحَبُّوهُ، وَلَعَلِموا أنَّ الآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيا».

ثُمّ قالَ عليه السلام:

«يا أبا عَبْدِ اللهِ، ما بالُ الصَّبيِّ وَالَمجْنونِ يَمْتَنِعُ مِنْ الدَّواءِ المُنقّي لِبَدَنِهِ والنّافي للألَمِ عَنْهُ؟».

قال: لِجَهْلِهِمْ بِنَفْعِ الدَّواءِ. قال عليه السلام:

وَالّذي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالحَقِّ نَبِيّاً إنَّ مَنِ اسْتَعَدَّ لِلْمَوْتِ حَقَّ الاسْتِعْدادِ فَهُوَ أنْفَعُ لَهُ مِنْ هذا الدَّواءِ لِهذا المُتعالِج، أما إنَّهُمْ لَوْ عَرَفُوا ما يُؤدّي إلَيهِ المَوْتُ مِنَ النَّعيمِ لاسْتَدْعَوْهُ وَأحَبُّوهُ أشَدَّ ما يَسْتَدعي العاقِلُ الحازِمُ لِدَفْعِ الآفاتِ واجْتِلابِ السَّلاماتِ»[1].

ـ الروايات التي تصف موت المؤمن

١ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ أشَدَّ شيعَتِنا لَنا حُبّاً يَكونُ خُروجُ نَفْسِهِ كَشُرْبِ أحَدِكُمْ في يَوْمِ الصَّيْفِ الماءَ البارِدَ الّذي تَنتَقِعُ بِهِ القُلوبُ، وإنَّ سائِرَهُمْ لَيَموتُ كَما يُغبَطُ أحَدُكُمْ عَلى فِراشِهِ كَأقَرِّ ما كانَتْ عَيْنُهُ بِمَوْتِه»[2].

٢ـ جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المعراج:

«وإذا كانَ العَبْدُ في حالَةِ المَوْتِ يَقومُ على رَأسِهِ مَلائِكَةٌ، بِيَدِ كُلِّ مَلَكٍ كَأسٌ مِنْ ماءِ الكَوثَرِ وكَأسٌ مِنْ الخَمْرِ يَسْقُونَ رُوحَهُ حَتّى تَذْهَبَ

---

(١) معاني الأخبار: ص٢٩٠، ح٨. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٥، ح١٩١١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٦، ص١٦٢، ح٣٠. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٧، ح١٩١١٩.

سَكْرَتُهُ وَمَرارَتُهُ، ويُبَشِّرونَهُ بِالبِشارَةِ العُظمى وَيَقولونَ لَهُ: طِبْتَ وطابَ مَثْواكَ، إنَّكَ تَقدمُ عَلى العَزيزِ الحَكيمِ الحَبيبِ القَريبِ»(١).

٣ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«أوَّلُ ما يُبَشَّرُ بِهِ المُؤْمِنُ: رَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعيمٍ، وَأوَّلُ ما يُبَشَّرُ بِهِ المُؤْمِنُ أنْ يُقالَ لَهُ: ابْشِرْ وَلِيَّ اللهِ بِرِضاهُ وَالجَنَّةِ! قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ، قَدْ غَفَرَ اللهُ لِمَنْ شَيَّعَكَ، واستَجابَ لِمَنْ استَغْفَرَ لَكَ، وقَبِلَ مَنْ شَهِدَ لَكَ»(٢).

٤ـ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«المَوْتُ رَيْحانَةُ المُؤْمِنِ»(٣).

٥ـ وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«تُحْفَةُ المُؤْمِنِ المَوْتُ»(٤).

بعد هذه الباقة العطرة من الروايات والأحاديث الشريفة اتضح لنا أن سعادة المؤمن في الموت، وأن روحه وريحانه وأمنه وأمانه، واستقراره واطمئنانه في الموت.

ـ المتظاهرون بالدين

(إنَّ النّاسَ عَبيدُ الدُّنْيا وَالدِّينُ لَعِقٌ عَلى ألسِنَتِهم، يَحُوطُونَهُ ما دَرَّت مَعائِشُهُم، فَإذا مُحِّصُوا بِالبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانُونَ).

هذا المقطع الشريف من خطبة الإمام الحسين عليه السلام يصور لنا الفريق الذي يتظاهر بالدين ويطلق الشعارات وينادي بالاستقامة والانقياد لله تعالى، فإذا تعرض

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٢٧، ح٦، أنظر تمام الحديث. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٧، ح١٩١٢٠.

(٢) كنز العمال: ٤٢٣٥٥. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٧، ح١٩١٢١.

(٣) كنز العمال: ٤٢١٣٦. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٧، ح١٩١٢٢.

(٤) كنز العمال: ٤٢١١٠. ميزان الحكمة: ج٩، ص٣٩١٧، ح١٩١٢٣.

للاختبار في طاعة ما نراه يتكاسل أو يتهرب مبررا ذلك بتبريرات كثيرة، وإذا فتن بمعصية ما سرعان ما يسقط فيها متناسيا الورع والتقوى، يخالف قوله عمله ويأمر الناس بالبر وينسى نفسه.

وقد حذّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس من التلبس بالدين لتحصيل الدنيا، فيظهرون بصورة المؤمنين الخائفين الذين إذا تكلموا أحبهم الناس فيقول:

«وَيْلٌ لِلّذينَ يَجْتَلِبُونَ الدُّنْيا بِالدِّينِ، يَلْبَسُونَ لِلنّاسِ جُلودَ الضَّأْنِ مِنْ لِينِ أَلْسِنَتِهِمْ، كَلامُهُمْ أحْلى مِنَ العَسَلِ وَقُلوبُهُمْ قُلوبُ الذِّئابِ، يَقولُ اللهُ تعالى: أبي يَغْتَرُّونَ؟!»[1].

كما صرّح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بكلام يفضح هؤلاء المرائين فيقول:

«وَمِنْهُمْ - أيْ مِنَ النّاسِ - مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلاَ يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيا، قَدْ طامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلأمانَةِ واتَّخَذَ سِتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً إلى المَعْصِيَةِ»[2].

ولذا حثّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس على الحفاظ على الدين وأمرهم أن يقووه بأموالهم وأنفسهم كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنْ عَرَضَ لَكَ بَلاءٌ فاجْعَل مالَكَ دونَ دَمِكَ، فَإنْ تَجاوَزَكَ البَلاءُ فاجْعَلْ مالَكَ وَدَمَكَ دونَ دِينِكَ، فَإنَّ المَسْلوبَ مَنْ سُلِبَ دِينُهُ، والمَخْروبَ مَنْ خَرِبَ دِينُهُ»[3].

(١) أعلام الدين: ص٢٩٢. ميزان الحكمة: ج٤، ص١٣٧١، ح٦٧٧٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣٢. ميزان الحكمة: ج٤، ص١٣٧١، ح٦٧٧٧.

(٣) كنز العمال: ٤٣٦٠١. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢٧٢، ح٦٢٤٣.

ويظهر من الآيات الكريمة الأحاديث والروايات الشريفة أن الذين يؤثرون الدنيا على الدين ستكون عاقبتهم وخيمة كما ورد ذلك في قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[1].

وقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إيّاكُمْ وَالتَّهاوُنَ بِأمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإنَّهُ مَنْ تَهاوَنَ بِأمْرِ اللهِ أهانَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ»[2].

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٢٧، ح٣.



الخطبة العاشرة

وفيها يعظ الناس، ويهديهم من ضلالتهم، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويصف فيها السلطان الجائر، خطبها بالبيضة، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

نص الخطبة

«أيُّها الناسُ، إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: مَنْ رَأى سُلْطاناً جائِراً مُسْتَحِلاً لِحُرَمِ اللهِ، ناكِثاً لِعَهْدِ اللهِ، مُخالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، يَعْمَلُ فِي عِبادِ اللهِ بالإثْمِ والعُدوان. فَلَمْ يُغيِّرْ عَلَيْهِ بِفعْلٍ ولا قَوْلٍ، كان حَقّاً على اللهِ أنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ.

ألاَ وإنَّ هؤلاءِ قَدْ لزمُوا طاعَةَ الشَّيطانِ، وَتَرَكُوا طاعَةَ الرَّحْمنِ، وَأظْهَرُوا الفَسادَ، وَعَطَّلُوا الحُدُودَ، واسْتَأثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأحَلُّوا حَرامَ اللهِ، وَحَرَّمُوا حَلالَهُ، وَأنا أحقُّ مَنْ غيري لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد أتَتْنِي كُتُبُكُمْ، وقَدِمَتْ عليَّ رُسُلُكُمْ بِبَيْعَتِكُمْ؛ أنَّكُمْ لا تُسْلِمُونِي ولا تَخْذُلُونِي، فَإنْ تَمَمْتُمْ على بَيْعَتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ.

فأنا الحسينُ بنُ عليٍّ، وابنُ فاطمةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَفْسِي مع أنْفُسِكُمْ، وَأهْلِي مَعَ أهْلِكُمْ، فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ. وَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ، وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أعْناقِكُمْ، فَلَعَمْرِي مَا هِيَ لَكُمْ بِنُكْرٍ، لقد فَعَلْتُمُوها بِأبِي وَأخِي وابْنِ عَمِّي مُسْلِمٍ، والمَغْرُورُ مَنْ اغْتَرَّ بِكُمْ، فَحَظَّكُمْ أخْطَأتُمْ، وَنَصِيبَكُمْ ضَيَّعْتُمْ، وَمَنْ نَكَثَ فَإنَّما يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ، وَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ».

المعنى العام

(أيُّها الناسُ، إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: مَنْ رَأى سُلْطاناً جائِراً مُسْتَحِلاً لِحُرَمِ اللهِ، ناكِثاً لِعَهْدِ اللهِ، مُخالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ، يَعْمَلُ فِي عِبادِ اللهِ بالإثْمِ والعُدوانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفعْلٍ ولا قَوْلٍ، كانَ حَقّاً على اللهِ أنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ).

يتعرض الإمام عليه السلام لبيان التزامه بنهج جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وذلك من خلال الاحتجاج بحديثه الشريف حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم من رأى حاكماً ظالما أجاز ارتكاب الحرام وانتهاك الحرمات والمقدسات، وناقضا ونابذا لميثاق الله تعالى ومعاكسا لشريعة رسول الله، ويتعامل مع عباد الله تعالى بما حرم الله تعالى، ومن لم يتصدَ له بقول أو فعل ويمنعه من ذلك ليتحول إلى المعروف استحق أن يكون معه يوم القيامة.

(ألاَ وَإنَّ هؤلاءِ قَدْ لزِمُوا طاعَةَ الشَيطانِ، وَتَرَكُوا طاعَةَ الرَحْمنِ، وَأظْهَرُوا الفَسادَ، وَعَطَّلُوا الحُدُودَ، واسْتَأثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأحَلُّوا حَرامَ اللهِ، وَحَرَّمُوا حَلالَهُ، وَأنا أحقُّ مَنْ غيري لقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد أتَتْنِي كُتُبُكُمْ، وقَدِمَتْ عليّ رُسُلُكُمْ بِبَيْعَتِكُمْ؛ أنَّكُمْ لا تُسْلِمُوني ولا تَخْذُلُوني، فَإنْ تَمَمْتُمْ عَلى بَيْعَتِكُمْ تُصِيبُوا رُشْدَكُمْ).

ويشير الإمام عليه السلام إلى بني أمية ومن لف لفهم أنهم من عبدة الشيطان فانقادوا له وتركوا عبادة الله تعالى ذي الرحمة الواسعة، وأعلنوا ما هو نتن وقذر وتركوا العمل بحدود الله تعالى، واختصوا بالغنيمة والخراج، وأجازوا كل ما هو ممنوع من قبل الشريعة، ومنعوا كل ما هو مباح ومرخص، وأنا أول من ردع هؤلاء وحولهم إلى ما هو صواب، قد جاءتني رسائلكم، ودخلت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تدفعوني منقادا ولا تتركون نصرتي وعوني، فإن أنجزتم بيعتكم نلتم وأدركتم هداكم وتوفيقكم.

(فأنا الحسينُ بنُ عليّ، وابنُ فاطمةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَفْسِي مع أنْفُسِكُمْ، وَأهْلِي مَعَ أهْلِكُمْ، فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ، وَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ، وَخلَعْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أعْنَاقِكُمْ، فَلَعَمْرِي مَا هِيَ لَكُمْ بِنُكْرٍ، لقد فَعَلتُموها بِأبِي وَأخِي وابْنِ عَمِّي مُسْلِمٍ، والمَغْرُور مَنْ اغْتَرَّ بِكُمْ، فَحَظَّكُمْ أخْطَأتُمْ، وَنَصيبَكُمْ ضَيَّعْتُمْ. وَمَنْ نَكَثَ فَإنَّمَا يَنْكُثُ عَلى نَفْسِهِ، وَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ، وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ).

يعرّف الإمام عليه السلام نفسه ونسبه لكي يلقي الحجة عليهم، ويؤكد أنه لا يمتاز عليهم ولا يتركهم ويواسيهم بنفسه وأهله، ويقول لهم إني لكم قدوة ومثل، وإن لم تعلموا هذا ونكثتم ميثاقكم، ونزعتم بيعتي من رقابكم، فلعمري للقسم ما هذه الفعلة بجديدة عليكم أو بأمر مجهول حيث لكم في ذلك سابقة، إذ فعلتم هذا النكث بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبي وبالحسن بن علي أخي وبمسلم بن عقيل ابن عمي، والجاهل أو المخدوع من انخدع بكم أو غفل عنكم، فنصيبكم أخطأتم وحصتكم أذهبتم، ومن نقض فإنما ينقض على نفسه حيث سيأخذ به يوم القيامة، وسيعوضني الله تعالى بغيركم ويرفع حاجتي إليكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ـ الجهاد في سبيل الله تعالى

الجهاد: كلمة مأخوذة من (الجهد) أي التعب والمشقة أو من (الجُهد) أي بذل الوسع والطاقة، ومن خلال مزج المعنيين يكون المعنى التام للجهاد: بذل الوسع والطاقة وتحمل التعب والمشقة في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى وحفظ راية الإسلام والدفاع عن الحق والعدل.

لقد حثت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة على التمسك بهذا الفرض الكريم

الذي يعد من الأسس التي بني عليها الإسلام كما في الآيات الكريمة التالية:

١ــ قال الله عزّ وجل:

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[١].

٢ــ قال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[٢].

٣ــ قال الله سبحانه وتعالى:

﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا (٧٤) وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[٣].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ٧٤ و٧٥.

٤ـ قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[2].

وما ورد من الحث على الجهاد في الروايات والأحاديث نذكر منها:

١ـ قال الإمام علي عليه السلام:

«إنَّ الجِهادَ بابٌ مِنْ أبْوابِ الجَنَّةِ فَتَحَهُ اللهُ لِخاصَّةِ أوْلِيائِهِ، وَهُوَ لِباسُ التَّقْوى، ودِرْعُ اللهِ الحَصينَةُ، وَجُنَّتُهُ الوَثيقَةُ»[3].

٢ـ وعنه عليه السلام قال:

«الجِهادُ عِمادُ الدِّينِ، وَمِنْهاجُ السُّعَداءِ»[4].

٣ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«الجِهَادُ أفْضَلُ الأشْياءِ بَعْدَ الفَرائِضِ»[5].

٤ـ قال الإمام علي عليه السلام:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٧. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٨٤، ح٢٦٦٥.

(٤) غرر الحكم: ١٣٤٦. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٨٤، ح٢٦٦٦.

(٥) مشكاة الأنوار: ١٥٤. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٨٤، ح٢٦٦٨.

«إنَّ اللهَ فَرَضَ الجِهادَ وَعَظَّمَهُ وَجَعَلَهُ نَصْرَهُ وناصِرَهُ، وَاللهِ، ما صَلُحَتْ دُنْيا وَلاَ دِينٌ إلاّ بِهِ»[1].

٥ـ وعنه عليه السلام:

«إنَّ الجِهادَ أشْرَفُ الأعْمالِ بَعْدَ الإسْلامِ، وهُوَ قِوامُ الدِّينِ، والأجْرُ فيهِ عَظيمٌ مَعَ العِزَّةِ والمَنْعَةِ، وَهُوَ الكَرَّةُ فِيهِ الحَسَناتُ وَالبُشْرى بِالجَنَّةِ بَعْدَ الشَّهادَةِ»[2].

٦ـ جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

«الجِهادُ واجِبٌ مَعَ إمامٍ عادِلٍ»[3].

ومن خلال بعض الآيات الكريمة وبعض الروايات الشريفة يظهر أن للجهاد أنواعاً متعددة وهي كما يلي:

الأول: جهاد النفس

وهو محاربة وقتال الهوى والاستيلاء والسيطرة على الشهوات والرغبات وجعلها تصب في مضمار الحق والرخص التي رخص بها الله تعالى لعباده لكي يصل بنفسه إلى القرب الإلهي.

ولهذا أرشدتنا الآيات الكريمة كما في قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[4].

إلى ضرورة الالتزام بالطاعة ونبذ المعصية ومصارعة الهوى، كما أكدت الروايات الشريفة على هذا المعنى وورد في الأحاديث الشريفة التالية:

---

(١) وسائل الشيعة: ج١١، ص٩، ح١٥. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٨٤، ح٢٦٧١.

(٢) نور الثقلين: ج١، ص٤٠٨، ح٤٢٩. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٨٥، ح٢٦٧٥.

(٣) وسائل الشيعة: ج١١، ص٣٥، ح٩. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٨٥، ح٢٦٧٨.

(٤) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ و٤١.

١ـ قال الإمام علي عليه السلام:

«إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ سَرِيَّةً، فَلَمَّا رَجَعوا قالَ: مَرْحَباً بِقَوْمٍ قضوا الجِهادَ الأصْغَرَ وَبَقِيَ عَلَيْهِمُ الجِهادُ الأكْبَرُ.

قيلَ: (يا رَسُولَ اللهِ، وما الجِهادُ الأكْبَرُ؟ قالَ:

جِهادُ النَّفْس»)[1].

٢ـ وقال عليه السلام:

«أَفْضَلُ الجِهادِ مَن جاهَدَ نَفْسَهُ الَّتي بَيْنَ جَنْبَيْهِ»[2].

٣ـ ورد في مستدرك الوسائل عن فقه الرضا عليه السلام قال:

نَرْوِي أنَّ سَيِّدَنا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم رأى بَعْضَ أصْحابِهِ مُنْصَرِفاً مِنْ بَعْثٍ كانَ بَعَثَهُ، فيه وَقَدِ انْصَرَفَ بِشَعْثِهِ وغُبارِ سَفَرِهِ، وسِلاحُهُ (عَلَيْهِ) يُرِيدُ مَنْزِلَهُ، فقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

انصرفتَ مِن الجِهادِ الأصغرِ إلى الجهادِ الأكبرِ.

فقيلَ له: أوَجِهادٌ فوقَ الجهاد بالسَّيفِ؟

قال:

نعم، جهاد المرء نفسه»)[3].

٤ـ عن الإمام علي عليه السلام:

«أَفْضَلُ الجِهادِ جِهادُ النَّفْسِ عَنِ الهَوى، وفِطامُها عَنْ لَذّاتِ الدُّنْيا»[4].

---

(١) معاني الأخبار: ص١٦٠، ح١. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٩٦، ح٢٧٤٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١١، ص١٤٠، ح١٢٦٥١. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٩٦، ح٢٧٤٣.

(٤) غرر الحكم: ٣٢٣٢. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٩٦، ح٢٧٤٤.

٥ـ وعنه عليه السلام:

«غايَةُ المُجاهَدَةِ أنْ يُجاهِدَ المَرْءُ نَفْسَهُ»[1].

ومن بعد التأمل في هذه الروايات الشريفة يظهر لنا:

ألف: أن سقوط الألم على البدن عند الاشتباك مع العدو أخف وطأة من الألم الناتج عن محاربة الهوى.

باء: أن محاربة الهوى وقتال النفس الأمارة بالسوء حالة مستمرة لا نهاية لها إلا بالخروج من رتبة النفس الأمارة إلى رتبة النفس المطمئنة فلذا يعيش صاحبها ألماً دائماً وهذا ما يؤكده حديث المعراج الشريف في صفةِ أهلِ الخيْرِ وَأهْلِ الآخِرَةِ:

«يَمُوتُ النّاسُ مَرَّةً وَيَموتُ أحَدُهُمْ في كُلِّ يومٍ سَبْعينَ مَرَّةً مِنْ مُجاهَدَةِ أنْفُسِهِم وَمُخالَفَةِ هَواهُمْ والشَّيْطانِ الّذي يَجْري في عُروقِهِمْ»[2].

فهذا الحديث يشير أيضا إلى أن الموت والقتال مع النفس متكرر لا ينتهي بمرة واحد فيرتاح صاحبها بعدها بل هو في ألم وصراع دائم.

جيم: أن ثواب وأجر مجاهد النفس أكثر من ثواب وأجر المجاهد في ميدان المعركة وهذا ما أكدته الروايات السابقة في المقاطع (فقيل له: أو جهاد فوق الجهاد بالسيف؟ قال:

«نَعَمْ، جِهَادُ المَرْءِ نفْسَهُ».

وقول أمير المؤمنين عليه السلام في الرواية السابقة:

«أفْضَلُ الجِهَادِ جِهَادُ النفْسِ عَنِ الهَوى...».

---

(١) غرر الحكم: ٦٣٧٠. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٩٦، ح٢٧٤٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٢٤، ح٦. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٩٨، ح٢٧٥٦.

الثاني: جهاد وقتال الكفار المشركين

مجاهدة ومحاربة عبدة الأوثان الذين يشركون مع الله إلها آخراً، والملحدين الذين لا يؤمنون بوجود الله تعالى لكي تكون كلمة الله تعالى هي العليا ولكي لا يعبد إلا هو سبحانه حقيقة العبادة، وهذا ما أكدته الآيات الكريمة حيث قال تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(1).

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(2).

ولكن قبل أن يقع السيف بين هؤلاء وبين المسلمين لابد من توجيه الدعوة لهم للدخول في الإسلام الذي يكفل لهم ولغيرهم سعادة الدنيا والآخرة بالحكمة والموعظة الحسنة وإفحامهم بالحجة البالغة حتى يصلوا إلى معرفة الحق، فإن أبوا بعد ذلك إلا جحوداً وجب قتالهم وجهادهم حتى يسلموا أو يستسلموا فيرى الإمام العادل والحاكم الشرعي وولي الأمر رأيه فيهم حسب ما تقتضيه المصلحة الإسلامية وهذا متروك الخوض فيه إلى كتب الفقه.

الثالث: جهاد وقتال أهل الكتاب

يطلق على اليهود والنصارى والمجوس والصابئة بأنهم أهل الكتاب، ولا يجب قتالهم ومجاهدتهم إلا إذا حاربوا الإسلام والمسلمين أو الذين لا يلتزمون بذمة وعهد مع المسلمين الذين يعيشون معهم وهذا ما تشير إليه الآية الشريفة:

---

(1) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

(2) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[١].

فيلزم من هذا الحكم الإلهي مقاتلة هؤلاء إلى أن يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية لدولة الإسلام ويلتزموا مع المسلمين بعهد وذمة، وهذا الأمر يترك تفصيله إلى كتب الفقه أيضا لضيق المقام ولخروجه عن البحث.

الرابع: الجهاد دفاعاً عن الإسلام والمسلمين

وهذا هو الجهاد الدفاعي الذي يختلف عما سبق من الأنواع أو أنه يجب على كافة المسلمين الذين تتعرض بلادهم لعدوان من قبل الكفار أو المرتدين الذين يريدون النيل من بيضة الإسلام وطمس أصول الدين وانتهاك فروعه ومنع شعائره وطقوسه وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«... وإنْ خافَ عَلى بَيضَةِ الإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ قَاتَلَ، فَيَكونُ قِتالُهُ لِنفسِهِ لَيْسَ لِلسّلْطانِ لأنّ في دُروسِ الإسلامِ دُروسِ ذِكرِ محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[٢].

الخامس: جهاد وقتال أهل البغي

وهؤلاء الذين يجب جهادهم هم الذين يخرجون على نظام الحكم الإسلامي الصحيح ويحاربون الحاكم الإسلامي العادل للإطاحة به لتحقيق أغراضهم الشخصية وأهدافهم الدنيوية، أو لفرض اجتهاداتهم وآرائهم الخاصة على الحاكم.

ولكي يتضح الأمر جليا سنتعرض لبيان من يجب جهادهم وقتالهم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج١١، ص٢٠، ح٢.

الفئات الباغية التي يجب جهادها

الفئة الأولى

يجب جهاد وقتال كل من يبغي على الحاكم الإسلامي العادل الذي يحكم بما أنزل الله سبحانه، والذين يعملون ضد نظام الحكم الإسلامي الصحيح لأغراض شخصية وأهداف دنيوية كما حصل ذلك مع أمير المؤمنين عليه السلام عندما خرج عليه طلحة والزبير وعائشة في معركة الجمل، ومعاوية في صفين والخوارج في النهروان.

الفئة الثانية

هي الفئة التي تأبى الصلح والالتزام بالحكم الشرعي، ويكون ذلك في حالة اقتتال فئتين من المسلمين بسبب الخلافات فيتدخل الحاكم الشرعي أو المسلمون للإصلاح فتأبى إحدى الفئتين ذلك، فتستخدم القوة لفرض موقفها أو رأيها.

الفئة الثالثة

بغي الحاكم على الأمة والاستبداد برأيه وفرض الباطل والمنكر عليها بالقوة والقهر، فيجب مقاتلة هذا الباغي ومنعه من الظلم والعدوان والفسق والفجور وهذا ما قام به الإمام الحسين عليه السلام مع يزيد الفاسق في واقعة كربلاء.

وبعد هذا العرض الموجز اتضح لنا مدى أهمية هذا الفرض الإسلامي ودوره في رفع كلمة الله تعالى وجعلها العليا ودحض كلمة الباطل وجعلها السفلى.

ـ صفات أتباع الشيطان

منذ أن خلق الله تعالى الخليقة حذر من الاغترار بمخادع الشيطان ومكره وبيّن عداوة الشيطان وحسده للإنسان، وتكبره عليه وهذا ما توضحه الآيات الكريمة التي تسرد لنا أسباب تكبر إبليس وحسده وانتقامه من الإنسان وإيقاعه في المعاصي كما في

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[1].

إلا أن هذا التحذير لم يلق الأذن الصاغية عند كثير من البشر فلذا نجدهم سقطوا في براثن الشيطان ومكائده وتلوثوا بالمعاصي والذنوب وهذا ما أكدته الآيات الكريمة التالية:

١ـ آية تشير إلى وقوع البشر في الزلل كما في قوله تعالى:

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ١١ إلى ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

٢ـ آية تشير إلى اغترار البشر بتسويل الشيطان فوقعوا في الردة كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾[1].

٣ـ آية تشير إلى تزيين الشيطان للإنسان أعماله السيئة فابتعد بسبب ذلك عن الطريق الصحيح كما في قوله تعالى:

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[2].

٤ـ آية تشير إلى سيطرة الشيطان على عقول بعض الناس إلى درجة أنهم نسوا ربهم الذي خلقهم وأنهم عليهم كما في قوله تعالى:

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3].

فصار هؤلاء من حزب الشيطان وأتباعه الذين اتصفوا بصفات قبيحة ذكرها القرآن الكريم وأهل بيت العصمة عليهم السلام في أحاديثهم الشريفة نذكر منها:

١ ـ اتصف هؤلاء بأنهم شركاء الشيطان في أفعاله القبيحة إذ قاموا بتطبيق ما أمرهم به من سلوكيات قذرة وأقوال بذيئة فاحشة ونظرات خائفة، فلذا يذمهم أمير المؤمنين عليه السلام فيقول:

«اتَّخَذُوا الشَّيْطانَ لأَمْرِهِمْ مِلاكاً، واتَّخَذَهُمْ لَهُ أشْراكاً، فَباضَ وَفَرَّخَ في

(١) سورة محمد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٤.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

صُدُورِهِمْ، ودَبَّ ودَرَجَ في حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأعْيُنِهِمْ، ونَطَقَ بِألْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطَلَ، فِعْلَ، مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيطانُ في سُلْطانِهِ، وَنَطَقَ بِالباطِلِ عَلى لِسانِهِ!»[1].

٢ـ اتصف أتباع الشيطان بالترف الباطل المذموم الذي يبعد صاحبه عن الله تعالى وهو لا يشعر بقباحة ما يفعل لما أصابه من الشيطان بل تحول هذا المترف إلى شيطان من شياطين الإنس كما أكد ذلك قول الإمام علي عليه السلام في كتابه إلى معاوية إذ يقول:

«فَإنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أخَذَ الشَّيْطانُ مِنْكَ مَأخَذَهُ، وَبَلَغَ فيكَ أمَلَهُ، وَجَرى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ»[2].

٣ـ اتصف أتباع الشيطان باتباع الهوى والابتعاد عن العقل والبصيرة والانكباب على الدنيا ونسيان ذكر الله تعالى وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إنّما بَدءُ وُقُوعِ الفِتَنِ أهْواءٌ تُتَّبَعُ... فَهُنالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطانُ عَلى أوْلِيائِهِ، وَيَنْجُو الذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الحُسْنَى»[3].

٤ـ اتصف أتباع الشيطان بأنهم يجادلون بجهل ومكابرة كما في قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾[4].

٥ـ اتصف أتباع الشيطان بأنهم يروجون للفحشاء ويأمرون بالمنكر كما في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٧. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٢، ح٩٣٨١.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ١٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٢، ح٩٣٨٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٥٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٩، ح٩٤٠٦.

(٤) سورة الحج، الآية: ٣.

﴿بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

ولكي نجمع صفاتهم فنقول: أتباع الشيطان هم أهل الرذائل والمنكرات.

ـ لماذا يعرّف الإمام عليه السلام نفسه؟

قوله عليه السلام:

(فأنا الحسينُ بنُ عليّ، وابنُ فاطمةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم نَفْسِي مع أَنْفُسِكُمْ، وَأهْلِي مَعَ أهْلِكُمْ، فَلَكُمْ فِيَّ أُسْوَةٌ).

لم يكن الإمام الحسين عليه السلام مجهولاً عند سامعيه، ولم يكن بحاجة إلى أن يذكر أباه وأمه عند تعريفه نفسه إنما فعل ذلك لحكمة هو أدرى بها، ولكننا نستطيع أن نفهم من تعريفه هذا ما يلي:

١ـ ذكر الإمام عليه السلام اسمه الشريف لما له من منزلة في الأمة الإسلامية أسسها جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بأقواله الشريفة:

«حسين مني وأنا من حسين».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

وغيرها من الأحاديث الشريفة التي ركزت مقام ورتبة الإمام عليه السلام في نفوس المسلمين، ولعله أراد تذكير الأمة بمنزلته وإلقاء الحجة عليها لكي لا تجرأ على

---

(١) سورة النور، الآية: ٢١.

التعدي عليه أو لكي لا تخذله عند مجابهة الظالمين.

٢ـ عرّف الإمام نفسه بأنه ابن علي وفاطمة عليهما السلام ليكون ذلك دافع يدفع الأمة لنصرته، ويمنعها من خذلانه أو حربه، إذ إن لعلي عليه السلام حقاً على الأمة الإسلامية التي اهتدت بدين المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والذي صرح بدوره بأن أحد أسباب قيام هذا الدين هو سيف علي عليه السلام وجهاده وصبره بدليل القول المشهور الذي نودي به في معركة أحد: (لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار).

كما أن لعلي عليه السلام أدواراً كثيرة في الدفاع عن الدين فكريا وعمليا ولهذا ينبغي بالأمة أن ترد هذا الجميل من خلال حفظ المرء في ولده، وهذا أيضا يجري في سبب ذكر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بأنها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي بلّغ وأخبر الأمة بأن أجره على الرسالة هو مودة القربى واحترام وتوقير علي وفاطمة عليهما السلام، وإدخال السرور عليهما بنصرة الإمام الحسين عليه السلام هو جزء من المودة المطلوبة.

٣ـ أراد الإمام الحسين عليه السلام بتعريفه هذا أن يبين للأمة أن منزلتي هذه ورتبتي ومقامي فداء للإسلام فلا يجوز للأمة أن تتردد في الدفاع عن الإسلام من خلال نصرتي ومعاونتي على مجاهدة الحاكم الجائر الباغي عليهم.

٤ـ أراد الإمام الحسين عليه السلام بقوله: (نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم...)، أن يقول إنني لم أطلب تعريض نفسي وأهلي إلى الضرر المحتمل، لأن هذا مخالف للشرع إلا إذا كان في سبيل الله تعالى، إذ إن طالب الدنيا يحرص على سلامته وسلامة أهله لكي يتمتع بمتاعها، وهذا ليس هو هدف الإمام عليه السلام.

٥ـ وقوله عليه السلام (فلكم فيّ أسوة...)، تأكيد على مراد الإمام عليه السلام

الذي هو إقامة الحق وبسط العدل، وهذا لا يتم إلا بالتضحية بالغالي والنفيس ولا يدعو لهذا إلاّ من وطّن نفسه على التضحية وبادر إليها قبل غيره بناء على القاعدة الأخلاقية التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام:

«من أراد أن يكون معلما للناس فليبدأ بتعليم نفسه قبل غيره».

ـ نقض العهد

(وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ فَلَعَمْرِي مَا هِيَ لَكُمْ بِنُكْرٍ لقد فَعَلْتُموها بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي مُسْلِمٍ والمَغْرُورِ مِنْ اغْتَرَّ بِكُمْ فَحَظَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ وَنَصِيبَكُمْ ضَيَّعْتُمْ وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَسَيُغْنِي اللهُ عَنْكُمْ والسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ).

ورد ذكر الوفاء بالعهد في القرآن الكريم وجاء بعنوان صفة لعباد الله تعالى الصالحين كما في قوله تعالى:

﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ﴾[1].

كما ذكرت آيات أخرى العهد بمفردات تدل معناها عليه كما في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[2].

أو قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١.

مِن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

ولقد أكد ذلك الإمام الصادق عليه السلام (لَمّا سُئِلَ عَنْ قولِهِ تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾[2].

بقوله: «العهود»)[3].

ووردت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة تحثّ على وجوب الالتزام بالعهد كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لاَ دِينَ لِمَن لاَ عَهْدَ لَهُ»[4].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر:

«حُسْنُ العَهْدِ مِنَ الايمانِ»[5].

وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى الالتزام بالعهد والوفاء به فهو مما يقرب العبد إلى ربه ومما يُنجي يوم القيامة، وأمّا نقض العهد فيؤدي إلى عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة كما في قوله عليه السلام:

«إنَّ العُهودَ قَلائِدُ في الأعْناقِ إلى يَومِ القِيامَةِ، فَمَنْ وَصَلَها وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ نَقَضَها خَذَلَهُ اللهُ، وَمَنْ استَخَفَّ بِها خاصَمَتهُ إلى الّذي أكَّدَها وأخَذَ خَلْقَهُ بِحِفْظِها»[6].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١.

(٣) تفسير العياشي: ج١، ص٢٨٩، ح٥. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٤٨، ح١٤٤١٠.

(٤) نوادر الراونديّ: ص٥. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٥٠، ح١٤٤٢٤.

(٥) كنز العمال: ١٠٩٣٧. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٥٠، ح١٤٤٢٥.

(٦) غرر الحكم: ٣٦٥٠. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٤٨، ح١٤٤١٧.

وعهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى العامل على مصر مالك الأشتر مشهور ولا ينسى، فلقد ذكر فيه وجوب الوفاء بقوله: (فُحطْ عهدك بالوفاء.... الخ)، وحيث إن العهد يتجسد في العقد والذمة بين شخص وآخر نجد أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد على ذلك بقوله:

«وإنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالوَفاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأمانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دونَ ما أعْطَيْتَ؛ فَإنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرائِضِ اللهِ شَيْءٌ النّاسُ أشَدُّ عَلَيْهِ اجتِماعاً - مَعَ تَفَرُّقِ أهْوائِهِم، وَتَشَتُّتِ آرائِهِمْ - مِنْ تَعْظيمِ الوَفاءِ بِالعُهودِ.

وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ المُشْرِكُونَ فيما بَيْنَهُمْ دونَ المُسْلِمينَ لِما اسْتَوْبَلوا مِنْ عَواقِبِ الغَدْرِ، فَلا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ»[1].

فإن لنقض العهد عواقب سيئة في الدنيا وهي السقوط في الذلة والخسران أمام الأعداء كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا نَقَضوا العَهْدَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ»[2].

وعواقب وخيمة في الآخرة وهي أن يكون خصماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة فيخصم كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ألاَ مَنْ ظَلَمَ مُعاهَداً، أوِ انْتَقَصَهُ، أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طاقَتِهِ، أو أخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بِغَيْرِ طيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فأنا حَجيجُه يَوْمَ القِيامَةِ»[3].

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٧، ص١٠٦. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٤٩، ح١٤٤١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٤٦، ح٣. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٤٩، ح١٤٤٢٠.

(٣) كنز العمال: ١٠٩٢٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٤٩، ح١٤٤٢٢.

وعهد الله تعالى أولى بالوفاء وأولى بالصيانة من أي شيء آخر فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ذمٌّ لمن لم يصن عهد الله تعالى ولم يف به كما في قوله عليه السلام:

«ما أيْقَنَ بِاللهِ مَنْ لَمْ يَرْعَ عُهودَهُ وَذِمَّتَهُ»[1].

وكذلك جاء على لسان أمير المؤمنين عليه السلام مدحٌ لمن وفى بعهده أو أن هذا الوفاء من الخصال الجيدة والفضائل الرشيدة كما صرح به في قوله:

«واعِياً لِوَحْيِكَ، حافِظاً لِعَهْدِكَ، ماضِياً عَلى نَفاذِ أمْرِكَ»[2].

ولأن الوفاء بالعهد من القيم الأخلاقية العالية والفضائل العظيمة صار لابد من الدفاع عنها وإلاّ استحق من لم يدافع عنها اللوم والذم كما استحقه بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما في قوله عليه السلام:

«وَقَدْ تَرَوْنَ عُهودَ اللهِ مَنْقُوضَةً، فَلا تَغْضَبونَ، وَأنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبائِكُمْ تَأنَفُونَ!»[3].

وفي هذا الحديث حث على الوفاء بالعهد حتى لغير المسلمين بل حتى لمن كان عاصياً فاجراً.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

«ثَلاثٌ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لأحَدٍ فيهِنَّ رُخْصَةً: أداءُ الأمانَةِ إلَى البَرِّ وَالفاجِرِ، والوَفاءُ بِالعَهْدِ لِلبَرِّ وَالفاجِرِ، وبِرُّ الوالِدَيْنِ بَرَّيْنِ كانا أو فاجِرَيْنِ»[4].

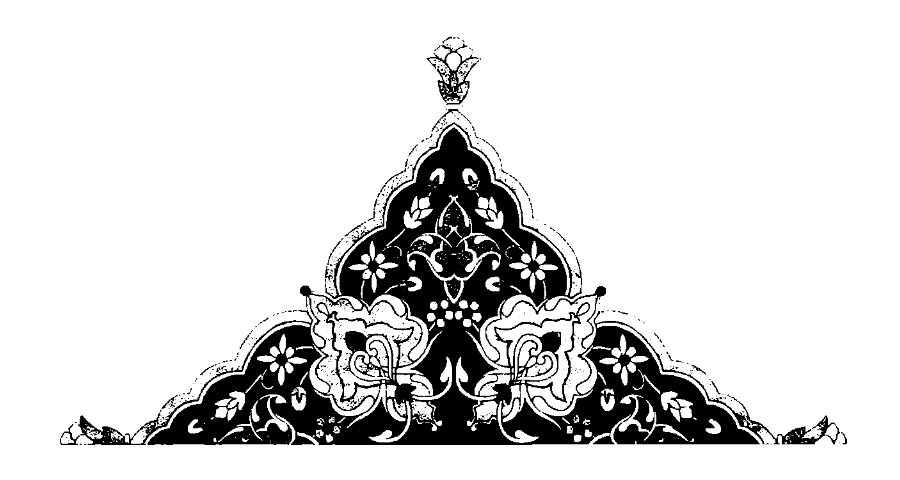
---

(١) غرر الحكم: ٩٥٧٧. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٥٠، ح١٤٤٢٨. في مستدرك الوسائل (وذِمَمَهُ): ج١١، ص٢٠١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٧٢. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٥٠، ح١٤٤٢٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٦. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٨٥١، ح١٤٤٣١.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٤، ص٥٦، ح١٥. ميزان الحكمة: ج١١، ص٤٨٨٥، ح٢٢٦٨٢.



الخطبة الحادية عشرة

وفيها يصف فضائل أهل البيت، ويذكر حقّهم، ويذمّ بني أميّة

لّما كان وقت العصر أمر الحسين بن علي عليهما السلام أن يتهيَّؤوا للرحيل ففعلوا، ثم أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام، فاستقام الحسين عليه السلام فصلّى بالقوم ثم سلّم وانصرف إليهم بوجهه، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال:

نص الخطبة

(أمَّا بَعْدُ، أيُها الناسُ، فَإنَّكُمْ إنْ تَتَّقُوا اللهَ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لأهْلِهِ يَكُنْ أرْضَى للهِ عَنْكُمْ، وَنَحْنُ أهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، وَأوْلى بِوِلايَةِ هذا الأمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هؤلاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ، وَالسَّائِرِينَ فِيكُمْ بِالجَوْرِ وَالعُدْوانِ؛ وَإنْ أبَيْتُمْ إلاَّ كَرَاهِيَّةً لَنا وَالجَهلَ بِحَقِّنا، فَكانَ رَأيُكُم الآنَ غَيْرَ ما أتَتْنِي بِهِ كُتُبُكُمْ وَقَدِمَتْ بِهِ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ، انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ).

المعنى العام

أيها الناس إن تخافوا الله وتخشوه وتفهموا أن الحق لنا يكن هذا الفعل منكم مرضيا لله تعالى، فنحن أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحق من يملك هذا الأمر ويقوم به من هؤلاء الظالمين لحق غيرهم، والحاكمين فيكم بالظلم والتجاوز، وإن رفضتم إلا كرهنا وترك حقنا عمدا، فكان رأيكم الآن غير ما جاءت به رسائلكم ورسلكم، ذهبت عنكم.

ولاية أهل البيت عليهم السلام

قوله عليه السلام:

(وَنَحْنُ أهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، وَأوْلى بِوِلايَةِ هذا الأمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هؤلاءِ الْمُدَعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ...).

ولاية أهل البيت عليهم السلام ركن من أركان الإسلام الخمسة بل هي أهم الأركان وأعظمها لما فيها من طاعةٍ لله تعالى وامتثالٍ لأوامر رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فلذا جاء في القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة بيان منزلة أولي الأمر وبيان رتبة طاعتهم وضرورة الحاجة إليهم، فمن أراد طاعة الله تعالى ورسوله فعليه بطاعة أولي الأمر الذين عصمهم الله تعالى من الزلل وطهرهم من الدنس وسما بهم عن سفاسف الأمور وجعلهم الأمناء على وصيه والحافظين لدينه والسائرين بنهجه والمقيمين لسننه والعاملين بشرعه، وليس لهذا الوصف مصداق إلا محمد وآل محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وهذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما سأله الصحابي الجليل جابر الأنصاري:

فقد ورد في تفسير نور الثقلين (عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه:

لَمَّا أنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ على نَبيِّهِ مُحَمَّد صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، عَرَفْنا اللهَ وَرَسُولَهُ، فَمَنْ أُولو الأمْرِ الّذينَ قَرَنَ اللهُ طاعَتَهُمْ بِطاعَتِكَ؟

فَقالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«هُمْ خُلَفاني يا جابِرُ، وأئِمَّةُ المُسْلِمينَ مِنْ بَعْدي، أوَّلُهُمْ عليُّ بنُ أبي طالِبٍ، ثُمَّ الحَسَنُ، ثُمَّ الحُسَيْنُ، ثُمَّ عَليُّ بنُ الحُسَيْنِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ المَعْروفُ في التَوْراةِ بِالباقِرِ، وسَتُدْرِكُهُ يا جابِرُ فَإذا لَقِيتَهُ فَأقْرِئْهُ مِنّي السَّلامَ، ثُمَّ الصّادِقُ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ موسَى بنُ جَعْفَرٍ، ثُمَّ عَليُّ بنُ مُوسَى، ثُمَّ مُحَمَّدُ بن عَليّ، ثُمَّ عَليُّ بنُ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ الحَسَنُ بنُ عليٍّ، ثُمَّ سَمِيِّي وكَنِيِّي حُجَّةُ اللهِ في أرْضِهِ وَبَقِيَّتُهُ في عِبادِهِ ابنُ الحَسَنِ بنِ عليٍّ، ذاكَ الّذي يَفْتَحُ اللهُ ـ تعالى ذِكْرُهُ ـ عَلى يَدَيْهِ مَشارِقَ الأرْضِ وَمَغارِبَها، ذاكَ الّذي يَغيبُ عَنْ شِيعَتِهِ وَأوْلِيائِهِ غَيْبَةً لا يَثْبُتُ فيها عَلَى القَوْلِ بإمامَتِهِ إلاّ مَنِ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ للإيمانِ».

قالَ جابِرٌ: فقلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، فَهَلْ يَنْتَفِعُ الشّيعَةُ بِهِ في غَيْبَتِهِ؟ فقالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«إي والّذي بَعَثَني بِالنُّبوَّةِ، إنَّهُمْ يَنْتَفِعونَ بِهِ وَيَسْتَضيئونَ بِنُورِ وَلايَتِهِ في غَيْبَتِهِ كانْتِفاعِ النّاسِ بالشَّمْسِ وإنْ تَجَلاّها السَّحابُ، يا جابِرُ، هذا مِنْ مَكْنُونِ سِرِّ اللهِ وَمَخْزونِ عِلْمِهِ فاكْتُمْهُ إلاّ عَنْ أهْلِهِ»[1].

وللإحاطة بهذا الموضوع أي (ولاية أهل البيت عليهم السلام) لابد أن يصاغ على صيغة الأسئلة والأجوبة لكي يسهل على القارئ الكريم الإلمام به وسنتعرض إلى هذا الموضوع كالآتي:

السؤال الأول: ما هو مفهوم الولاية؟

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج١، ص٤٩٩، ح٣٣١. ميزان الحكمة: ج١١، ص٤٨٩٨ ـ ٤٨٩٩، ح٢٢٧٦٧.

الجواب: الولاية لغة: الولاية بالكسر: السلطان، والولاية: النُصرة، يقال: هم على ولاية أي مجتمعون في النصرة[1]، هذه الهيمنة والسلطة والحاكمية، وللتوسع راجع مصادر اللغة.

الولاية اصطلاحا: هي أن تكون للمعصوم السلطة والحاكمية على من يتولى عليه، وله حق الطاعة على أتباعه.

السؤال الثاني: ما هو مفهوم الولاية التشريعية والولاية التكوينية؟

الجواب: الولاية التشريعية هي حق التشريع وتقنين الأحكام كما أرادها الله تعالى لعباده.

الولاية التكوينية: قدرة الولي على تسخير الممكنات والتصرف فيها بإذن الله تعالى بما تحتاجه حجية الولي على غيره.

ـ صفات الحاكم النموذجي

إن للحاكم النموذجي صفاتٍ ينبغي الاتصاف بها لكي يستطيع أن يسوس البلاد ويقود العباد ذكرها أهل الاختصاص في محلها سنعرض لها لاحقا، إلا أننا لابد أن نشير إلى أمر مهم في شخصية الحاكم ألا وهو تقوى الحاكم وزهده في الرئاسة وابتعاده عن طلب العلوّ والرفعة وحرصه على عمارة الآخرة وصلاحها وهذا ما يؤكده قوله تعالى:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

فكل حاكم يطلب الرئاسة لغرض الدنيا لا يكون أمينا ولا صادقا وهو ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) الصحاح للجوهري: ج٦، ص٢٥٣٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٨٣.

«إنَّ شِرارَكُمْ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوطَأَ عَقِبُهُ، إنَّهُ لابُدَّ مِنْ كَذَّابٍ أَوْ عاجِزِ الرَّأْيِ»[1].

كما صرح في حديث آخر فقال: (ولا للملوك وفاء) كما ورد في قوله عليه السلام:

«خَمْسٌ هُنَّ كَما أَقُولُ: لَيْسَتْ لِبَخِيلٍ راحَةٌ، ولاَ لِحَسُودٍ لَذَّةٌ، ولاَ لِمُلُوكٍ وَفاءٌ، ولاَ لِكَذّابٍ مُرُوءَةٌ، وَلاَ يَسُودُ سَفِيهٌ»[2].

إذن يظهر مما تقدم أن طالب الرئاسة للدنيا لا يصلح أن يقود العباد إلى ما فيه صلاحهم ولا يستطيع أن يسوس البلاد بما ينفع الناس، وذلك لحرصه على مصالحه الخاصة ومصالح حاشيته التي تحمي منصبه من الطامعين أد المعارضين، فيلجأ إلى الظلم والاعتداء على من يعارضه، ويحارب من يرفضه ويبغضه، ولذا قال الإمام الحسين عليه السلام: (والسائرين فيكم بالجور والعدوان).

فإذن لابد للناس من حاكم مؤمن يتصف بصفات القيادة والحكومة الناجحة.

ـ الدين والحكومة

إذا كان تعريف الدين: هو نظام أو قانون شرعه الله تعالى ليكفل للناس سعادة الدنيا والآخرة، لابد حينئذ أن تسير الحياة وفق القانون الذي شرعه الله تعالى وللأسباب التالية:

١ـ إن المشرع هو خالق الخلق والعالم بما ينفعهم وما يضرهم.

٢ـ إن المشرع معصوم من الخطأ فلا يحتمل في تشريعه خلل أو نقص أو اضطراب أو تناقض أو جهل بالمصالح والمفاسد.

---

(١) الخصال: ص٣٣٠، ح٢٧. ميزان الحكمة: ج٤، ص١٣٥٩، ح٦٧١٦.

(٢) الخصال: ص٢٧١، ح١٠. ميزان الحكمة: ج٤، ص١٣٦٠، ح٦٧٢٩.

٣ـ إن المشرع حكيم مطلق وعالم مطلق وقادر مطلق وجواد مطلق، فلابد أن يكون عادلاً ومحسناً ورحيما بخلْقه الذين شرع لهم شرعه.

٤ـ إن المشرع غني مطلق لا يحتاج من وراء حكمه حاجة تسد نقصاً أو تزيده كمالاً.

٥ـ إن المشرع له الصفات العليا والأسماء الحسنى.

فإذا عرفنا صفات المشرع لابد لنا من التسليم لشرعه الذي شرعه لنا والالتزام بقانونه وحكمه لكي نصل إلى سعادة الدنيا والآخرة، وهذا لا يتم إلا من خلال تطبيق شرعه ودينه الذي ارتضاه لنا.

وفي خلاف ذلك سنقع في ظلم وعدوان واضطراب وفوضى ونكون مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢].

وقوله تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[٣].

فتبين مما تقدم أن الحاكم النموذجي هو الذي يحكم بما أنزل الله تعالى لكي يصل بالناس إلى سعادة الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

ـ المعصوم هو الحاكم النموذجي

خلق الله تعالى الناس لغاية عالية ألا وهي القرب الإلهي الذي تعبر عنه الآية الكريمة بالعبادة كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١].

وبما أن هذه الكلمة (العبادة) تعني الإيمان والعمل الصالح، أي المعرفة والتطبيق أو العقل النظري والعقل العملي كما يسمونها أهل الحكمة، صار لازما في العدل الإلهي أن يخلق الله تعالى إنساناً له القدرة على قيادة الناس إلى هذا الكمال وهذا ما نراه متجسداً في بعث الأنبياء وإرسال الرسل الذين يمارسون دور الخلافة الإلهية ودور القدوة والأسوة كما تشير إليه الآيات الكريمة:

قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]. ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[٣]. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٤]. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٥].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

ويتبين من الآيات السابقة أن هذا الخليفة هو خليفة لله تعالى في الأرض ولا يمكن أن يكون خليفة إلهيا دون أن يكون معصوماً لعدم انطباق العنوان على المعنون إذن لابد من عصمته واتصافه بصفات كمالية لا يرتقي إليها مخلوق ولا يقاس بصاحبها أحد، ولكي يستطيع هذا الخليفة أن يحكم بين الناس بالعدل وأن يمارس دور الأسوة والقدوة ويقود الناس إلى القرب الإلهي لابد أن يكون معصوماً من الخطأ والاشتباه والسهو والنسيان وإلا لوقعت الكثير من المفاسد ولحصل التناقض والاضطراب وشاع الخلل والظلم والطغيان، فتحصّل مما تقدم ضرورة أن يكون الحاكم معصوماً أو تحت إشراف معصوم يرعاه ويسدده ويدله ويعضده ويؤيده ويكون شاهدا عليه وحجة فوقه.

ولذلك أشار الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

(أيُّها النـاسُ، فـإنَّكُمْ إنْ تَتَّقُوا اللهَ وَتَعْرِفُوا الْحَقَّ لأهْلِهِ يَكُنْ أرْضَى للهِ عَنْكُمْ، وَنَحْنُ أهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، وَأوْلى بِوِلايَةِ هذا الأمْرِ عَلَيْكُمْ مِنْ هؤلاءِ الْمُدَّعِينَ مَا لَيْسَ لَهُمْ).

ـ صفات الحاكم الإسلامي

كل امرء يراد له أن يؤدي وظيفة ما لابد من اتصافه بصفات تؤهله لأداء هذه الوظيفة، ولا فرق في ذلك بين الرئيس أو المرؤوس، والحاكم والمحكوم ولذا ذكر أهل الاختصاص صفاتٍ لابد من وجودها في الحاكم الذي يستحق الحكومة:

١ـ الورع والتقوى

بعد أن سلمنا أن الحاكم مؤمن بالله تعالى وبرسله وكتبه إيمانا خالصاً ومعتقدٌ عقيدة حقة لابد لهذا الحاكم أن يتصف بمانع يمنعه عن الوقوع في المعاصي والتهافت أمام الشهوات واللذائذ وليس ذلك إلا الورع فلذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم. وفي رواية أخرى حتى يكون للرعية كالأب الرحيم»[١].

ويستشف من الآية الكريمة وجوب تقوى الذي يريد أن يكون إماما للناس الأتقياء كما في قوله تعالى:

﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٢].

وحيث إن التقوى لها دخل في كل أمر فلابد أن يكون الحاكم تقيا وهذا ما وصى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباذر في قوله:

«عليك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله»[٣].

٢ـ الكفاءة في القيادة والولاية

وهذا ما أشار إليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما ذكر خصال الإمام إذ يقول:

«لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون كالولد (وفي رواية كالأب) الرحيم)».

وما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أكثر دلالة على هذه الصفة إذ يقول:

«أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقومهم وأعلمهم بأمر الله...»[٤].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٤٠٧، ح٨.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٣) ميزان الحكمة، الريشهري: ج٤، ص٣٦٢٤.

(٤) نهج البلاغة: ج٢، ص٨٦، الخطبة ١٧٣.

٣ـ سعة أفقه السياسي

إن الاتصاف بالورع والتقوى وحسن التدبير والولاية من الصفات الضرورية التي يجب أن يتصف بها الحاكم إلا أن ذلك غير كافٍ لنجاح الحاكم في حكومته والقائد في قيادته فلابد من أن يكون متصفا بالفهم السياسي وله القدرة على التحليل والاستنباط وقراءة المواقف والصور السياسية لكي يسهل عليه اتخاذ القرار المناسب دون أن يغلب على رأيه، ودون أن يكون ممتثلا لمن يملي عليه ذلك وهذا ما نستفيده من قول الإمام الصادق عليه السلام:

«العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس....»[1].

إذن لابد لمن يريد سياسة الأمة وقيادتها وإدارة البلاد والعباد أن يكون على بصيرة من أمره وإلا وقع في المتاهات والفشل الذريع والبعد عن الحق وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام:

«العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا تزيده سرعة السير من الطريق إلا بعداً»[2].

٤ـ أن يكون عادلا

ليس هناك صفة ألصق بالحكم من صفة العدل، وليس هناك علاقة أقوى وأوسع من علاقة الحكم بالعدل بل يكاد أن يتحد العدل بالحكم، لما للعدل من أهمية في سير الحكومات وتطبيق الأحكام بل له الأهمية القصوى في حفظ الملك وإدامة الحكم وهذا ما تعرضت له الروايات والأحاديث الشريفة، نذكر منها:

ألف: يشير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى كون العدل صفة تقوم عليها

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٢٧، ح٢٩.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج١، ص٤٣، ح١.

الحياة كما في قوله عليه السلام:

«العدل أساس به قوام العالم»[1].

باء: ويؤكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بأن الحكومات التي تريد لنفسها البقاء والاستمرار لابد لها من اتخاذ العدل كدرع واق ضد الأزمات والانقلابات كما يظهر هذا في قوله عليه السلام:

«العدل جُنّة الدول»[2].

جيم: يبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفات الحاكم العادل من خلال قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ عامَلَ النّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، ووَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُروءَتُهُ، وظَهَرَتْ عَدالَتُهُ، وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ، وَحَرُمَتْ غِيبَتُهُ»[3].

دال: ويرشد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحكام الذين يرغبون بالاتصاف بالعدل فيقول:

«ما كَرِهْتَهُ لِنَفْسِكَ فَاكْرَهْ لِغَيْرِكَ، وما أَحْبَبْتَهُ لِنَفْسِكَ فَأَحْبِبْهُ لأخيكَ؛ تَكُنْ عادِلاً في حُكْمِكَ، مُقْسِطاً في عَدْلِكَ، مُحَبّاً في أَهْلِ السَّماءِ، مَوْدوداً في صُدورِ أَهْلِ الأَرْضِ»[4].

هاء: وحذّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمراء والحكام الذين لم يعدلوا مع الرعية بقوله:

«أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النّارَ أَميرٌ مُتَسَلِّطٌ لَمْ يَعْدِلْ، وَذو ثَرْوَةٍ مِنَ المالِ لَمْ يُعْطِ المالَ حَقَّهُ،

---

(١) ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٤٢٤.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) الخصال: ص٢٠٨، ح٢٨. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٤٢٩، ح١٢٠٠٢.

(٤) تحف العقول: ص١٤. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٤٣٠، ح١٢٠٠٥.

وَفَقيرٌ فَخورٌ»[١].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لاَ تَنالُ شَفاعَتي ذا سُلْطانٍ جائِرٍ غَشومٍ»[٢].

وجاء عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر:

«مَنْ وَلِيَ عَشْرَةً فَلَمْ يَعْدِلْ فيهِمْ جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ وَيَداهُ وَرِجْلاهُ ورَأْسُهُ في ثَقْبِ فَأسٍ»[٣].

ـ وجوب الخروج للإصلاح

صدور الفعل من المعصوم حجة على من يؤمن بإمامته ويعتقد بعصمته، وأن قول المعصوم وفعله يدلنا على نوع التكليف الشرعي، فما قام به سيد الشهداء عليه السلام من تصدٍّ للطغمة الحاكمة المعلنة بالفسق والفجور يدلنا على وجوب التصدي ووجوب الخروج لأجل الاصلاح فلذا نراه يخاطب الناس (أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله...».

هذه الخطبة تبين أسباب خروج الإمام عليه السلام ضد الحاكم، إلا أننا لا نعلم أفي عنوان الوجوب يدخل خروج الإمام ـ عليه السلام ـ أم في عنوان الاستحباب، وما ينبغي أن يعمل؟

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٨، ح٢٠. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٤٣٣، ح١٢٠٢٤.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٩٩، ح١٣٦٢٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٤٣٣، ح١٢٠٢٥.

(٣) ثواب الأعمال: ص٣٠٩، ح١. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٤٣٣، ح١٢٠٢٧.

عند تأملنا خطبة الإمام عليه السلام التي ذكرت في أعلاه إضافةً إلى قوله عليه السلام:

((ألاَ وَإنَّ هؤلاءِ قَدْ لزمُوا طاعَةَ الشَّيطانِ، وَتَرَكُوا طاعَةَ الرَّحْمنِ، وَأظْهَرُوا الفَسادَ...)).

نقف على ما يلي:

١ ـ إن الإمام الحسين عليه السلام امتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي تضمنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم السابق:

(«إنَّ رَحى الإسْلام سَتَدُورُ، فَحَيْثُ ما دارَ القُرْآنُ فُدوروا بِهِ، يُوشِكُ السُّلْطانُ وَالقُرْآنُ أنْ يَقْتَتِلا وَيَتَفرَّقا، إنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ مُلوكٌ يَحْكُمونَ لَكُمْ بِحُكْمٍ، وَلَهُمْ بغَيْرِهِ، فَإنْ أطَعْتُمُوهُمْ أضَلُّوكُمْ، وإنْ عَصَيْتُموهُمْ قَتَلوكُمْ.

قالوا: يَا رَسولَ اللهِ، فَكَيْفَ بِنا إنْ أدْرَكْنا ذلِكَ؟ قالَ:

تَكُونُونَ كَأصْحابِ عيسى: نُشِروا بِالمَناشِيرِ وَرُفِعوا على الخَشَبِ، مَوْتٌ في طاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ حَياةٍ في مَعْصِيَةٍ»)[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أئِمَّةٌ يَمْلِكُونَ أرْزاقَكُمْ، يُحَدِّثُونَكُمْ فَيَكْذِبونَكُمْ، وَيَعْمَلونَ فَيُسيئُونَ العَمَلَ، لاَ يَرْضَوْنَ مِنْكُمْ حَتّى تُحَسِّنوا قَبيحَهُمْ، وتُصَدِّقوا كِذْبَهُمْ، فَأعْطُوهُمُ الحَقَّ ما رَضُوا بِهِ، فَإذا تَجاوَزوا فَمَنْ قُتِلَ على ذلِكَ فَهُوَ شَهيدٌ»[2].

وتجسيدا لما صرحت به الآية الكريمة:

---

(١) الدرّ المنثور: ج٣، ص١٢٥. ميزان الحكمة: ج١، ص١٦٧، ح٩٠٨.

(٢) كنز العمال: ١٤٨٧٦. ميزان الحكمة: ج١، ص١٦٧، ح٩١٠.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وحديث أبيه أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«أيُّها المُؤْمِنُونَ، إنَّهُ مَنْ رَأى عُدْواناً يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَراً يُدْعى إلَيْهِ فَأنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وبَرِئَ، وَمَنْ أنْكَرَهُ بِلِسانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أفْضَلُ مِنْ صاحِبِهِ، وَمَنْ أنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ ـ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيا، وكَلِمَةُ الظّالِمينَ هِيَ السُّفْلى ـ فَذلِكَ الَّذي أصابَ سَبيلَ الهُدى وَقامَ عَلَى الطَّريقِ وَنَوَّرَ في قَلْبِهِ اليَقينُ»(٢).

٢ـ إن دفع الضرر واجب، وما ورد في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله».

صريح في وقوع الضرر في الدنيا والآخرة فصار لابد من القيام بالتغيير لدفع الضرر، ووردت أحاديث كثيرة بذلك من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا تَرَكَتْ أمَّتِي الأمْرَ بِالمَعْروفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَلْيُؤْذَنْ بِوِقاعٍ مِنَ اللهِ جَلَّ اسْمُهُ»(٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«لَتَأمُرُنَّ بِالمَعْروفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أو لَيَعُمَّنَّكُمْ عَذابُ اللهِ»(٤).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) نهج البلاغة الحكمة ٣٧٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩، ص٣٠٥. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٨٩ ـ ٢٥٩٠، ح١٢٧٨٨.

(٣) بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٧٨، ح٣٣. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٨٠، ح١٢٧٣٣.

(٤) وسائل الشيعة: ج١١، ص٤٠٧، ح١٢. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٨٠، ح١٢٧٣٤.

وجاء في حديث للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ النَّاسَ إذا رأوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذوا عَلى يَدَيْهِ، أوشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقابٍ مِنْهُ»[1].

٣ـ إن من وظائف الإمام الحفاظ على الدين الإسلامي وبيضته، وهذا لا يتم إلا من خلال التصدي لمن أراد أن يطمس الدين ويغيره، فتعين وجوب الخروج مع الإمام ضد الطغاة.

ومما يؤكد ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام:

«الجهاد ولجب مع إمام عادل».

فإذا كان الجهاد واجبا على الأمة مع الإمام العادل فهو أوجب في حق الإمام الذي من مسؤوليته حفظ الدين، وهذا ما أكده قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ أمَرَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهى عَنِ المُنْكَرِ فَهُوَ خليفَةُ اللهِ في الأرْضِ، وَخليفَةُ رَسُولِهِ»[2].

٤ـ سكوت الإمام الحق والخليفة الإلهي عن فعل الحاكم الجائر يغرر بالأمة ويمنعها من مجاهدة أئمة الضلال اقتداء بإمامها، فضلاً عما يتركه سكوت الإمام من تفسيرات سيئة تصب في مصلحة الحاكم الجائر.

٥ـ بما أن الإمام الحسين عليه السلام الذي هو الخليفة الإلهي والإمام الحق قد وجد الأنصار لمحاربة أئمة الجور صار لابد من محاربتهم امتثالاً لقوله تعالى:

---

(١) كنز العمال: ٥٥٧٥، أقول: في معناه أحاديث كثيرة، راجع: كنز العمال: ج٣، ص٦٦ إلى آخر الباب. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٨٠، ح١٢٧٣٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢، ص١٧٩، ح١٣٨١٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٧٢، ح١٢٦٨٦.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾[1].

وامتثالاً لقول أبيه أمير المؤمنين عليه السلام عند وصيته للحسنين عليهما السلام:

«كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا»[2].

- دفع شبهة

الشبهة الأولى: إن الإمام الحسين عليه السلام قام بشق عصا الأمة وعمل على تفريق الجماعة وعصا إمام زمانه أو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخروجه على يزيد بن معاوية، ولذا لا يحق لأحد أن يعدّ الإمام مظلوماً شهيداً كما لا يحق لأحد أن يعدّ يزيد ظالماً ومعتديا؛ لأحقيته بدفع الخطر عن الحكومة الإسلامية، ولأن وظيفة الخليفة أن يخمد الفتنة التي تعصف بالأمة.

الجواب: لكي يتضح الجواب ويسهل إدراكه من قبل القارئ الكريم نبين النقاط التالية:

أولا: لا مقارنة بين الإمام الحسين عليه السلام وبين يزيد من حيث النسب أو المنزلة، ومن حيث التقوى والطهارة فلذا لا يصح أن يكون يزيد إماماً على الحسين عليه السلام، كما لا يصح أن يكون يزيد خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعدم اتصافه بصفات خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانيا: وردت في حق الإمام الحسين عليه السلام أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نذكر منها ما يتطلبه الجواب:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام عليه السلام: ج٣، ص٧٦، ح٤٧.

ألف/ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[1].

لاشك في إجماع المسلمين على صحة هذا الحديث الشريف، وبأدنى تأمل في هذا الحديث يتضح لنا أن الإمام الحسين عليه السلام معصوم من الزلل ومن الخطأ ومن الظلم ومن التعدي على حقوق الغير، وإلا لا يصح أن يكون سيد شباب أهل الجنة ظالماً في الدنيا لغيره أو لنفسه أو عاصياً لربه ولرسوله أو خارجاً على إمام زمانه كما يدعون، وإليك عزيزي القارئ توضيح ذلك بما يلي:

١ ـ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر ذلك عن الله تعالى؛ لأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

٢ ـ إن هذا الخبر يدل على أن الحسين عليه السلام سوف يموت وهو في مرضاة الله تعالى، ولا يعصي الله تعالى قد أنمله ولا أقل من ذلك طول حياته، وإلا لزم تفضيل المفضول على الفاضل وهو محال في العدل الإلهي.

٣ ـ إن كل ما يقوله الإمام الحسين عليه السلام أو يفعله هو طاعة لله ولرسوله وإلاّ يلزم دخول العاصي الذي لم يتب عن معصيته الكبيرة إلى الجنة أسوة بالمطيع المؤمن، وهذا خلاف العدل الإلهي لما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من امتناع ذلك:

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[2].

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص١٨٧، ح٧/١٩٦. صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي: ج٢، ص٤٥٥، س١٤٢٥. دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي: ج١، ص٣٧. الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج١، ص٨٧. مسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص٤. سنن ابن ماجه: ج١، ص٤٤، ح١١٨. سنن الترمذي: ج٥، ص٣٢٢، ح٣٨٥٦. المستدرك على الصحيحين، النيسابوري: ج٣، ص١٦٧.

(٢) سورة ص، الآية: ٢٨.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾[١].

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[٢].

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى آلى عَلى نَفْسِهِ أَنْ لاَ يُسْكِنَ جَنَّتَهُ أَصْنافاً ثَلاثَةً: رادٌّ عَلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَوْ رادٌّ عَلى إِمامِ هُدىً، أَوْ مَنْ حَبَسَ حَقَّ امْرِئٍ مُؤْمِنٍ»[٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ جَبّارٌ وَلاَ بَخِيلٌ وَلاَ سَيِّئُ المَلَكَةِ»[٤].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«مَنِ اسْتَرْعى رَعِيَّةً فَغَشَّها حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[٥].

ورد في الكافي عن علي بن أسباط عن الأئمة عليهم السلام، فيما وعظ اللهُ به عيسى عليه السلام:

«هِيَ (يعني النّارَ) دارُ الجَبّارِينَ وَالعُتاةِ الظّالِمِينَ، وَكُلِّ فَظٍّ غَلِيظٍ، وَكُلِّ مُخْتالٍ فَخُورٍ»[٦].

تبيّن مما تقدم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى شهد لولده الحسين عليه السلام بالاستقامة والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم طول حياته وإنه سيموت على ذلك فيدخل الجنة وسيكون سيدها فيلزم من هذا

(١) سورة القلم، الآية: ٣٥.

(٢) سورة مريم، الآية: ٦٣.

(٣) الخصال: ص١٥١، ح١٨٥. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٦٦، ح٢٥٩٢.

(٤) تنبيه الخواطر: ج١، ص١٩٨. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٦٦، ح٢٥٩٣

(٥) تنبيه الخواطر: ج٢، ص٢٢٧. ميزان الحكمة: ج٢، ص٥٦٦، ح٢٥٩٤.

(٦) الكافي: ج٨، ص١٣٦، ح١٠٣. ميزان الحكمة: ج٢، ص٦٢٦، ح٢٩٢٦.

أن كل ما قام به الإمام الحسين عليه السلام هو طاعة لله ولرسوله.

باء/ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[١].

هذا الحديث الشريف صريح في إمامة الإمام الحسين عليه السلام وصريح في وجوب طاعته وهذا يُظهِر ما يلي:

١ـ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخبر بذلك عاطفيا بل امتثالاً لأمر الله تعالى؛ لما تقدم من آية:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٢].

وإلا يلزم نقض الغرض من البعثة.

٢ـ لا يمتدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم أئمة الكفر أو الضلال ولا يعترف بإمامتهم وإلا يلزم تفض الغرض من البعثة وهذا ما يؤكده قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: لأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ في الإسْلامِ أطاعَتْ إماماً جائِراً لَيْسَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وإنْ كانَتِ الرَّعِيَّةُ في أعْمالِها بَرَّةً تَقِيَّةً»[٣].

جيم/ ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»[٤].

---

(١) الحدائق الناضرة، المحقق البحراني: ج٢٢، ص٢١٧. الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٣٠. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي: ج٧، ص٤٨٢. ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج١، ص١٥٣، ح٢٠٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ و٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٢٥، ص١١٠، ح١. ميزان الحكمة: ج١، ص١٦٢، ح٨٨٢.

(٤) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج١، ص١٥٨، ح٢٠٨. كامل الزيارات، لابن قولويه: ص١١٦، ح(١٢٦)١١. ←

صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحبه للحسين عليه السلام، لعلمه بأنه يستحق ذلك؛ لاستحالة أن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شخصاً ظالماً أو عاصياً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل طلب من الأمة أن تحب الحسين عليه السلام؛ لأن في حب الحسين رضا الله تعالى وحبه لمن أحبه.

ثالثا: الآيات الكريمة التي نزلت في حق الإمام الحسين عليه السلام تؤكد أن الإمام الحسين عليه السلام هو الحق وما سواه باطل وهي كما يلي:

١ـ آية التطهير

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

هذه الآية الكريمة شملت الإمام الحسين عليه السلام وشهدت له بالطهارة والعصمة في عمره كله، وإلاّ يلزم أن الله تعالى يمتدح الحسين وهو يعلم به أنه سيكون عاصياً لإمام زمانه وخارجاً على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا محال، أو أن الله تعالى امتدح الحسين عليه السلام وهو لا يعلم ما ستؤول إليه عاقبته وهذا محال أيضا، فيلزم مما تقدم أن الإمام الحسين عليه السلام هو الحق وفعله طاعة وما سواه باطل وقتله معصية بل جريمة كبرى.

٢ـ آية المودة

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٢].

شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ج٣، ص٨٨، ح(١٠١٥). الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص١٢٨، باب طرف من فضائل الحسين عليه السلام. مسند أحمد بن حنبل: ج٤، ص١٧٢. سنن ابن ماجه: ج١، ص٥١، ح١٤٤. المعجم الكبير للطبراني: ج٣، ص٣٢، ح٢٥٨٩. الجامع الصغير للسيوطي: ج١، ص٥٧٦، ح٣٧٢٧. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٤، ص١٤٩. البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢٢٤.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

افترض الله تعالى في هذه الآية مودة قربى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأمة صغيرها وكبيرها حرها وعبدها أميرها ومأمورها حاكمها ومحكومها أسودها وأبيضها، وهؤلاء القربى الذين فرضت مودتهم على الأمة هم (علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة المعصومون من ذرية الحسين عليهم السلام) فيلزم من هذا على الأمة أن تحب الإمام الحسين عليه السلام وتعظمه وتوقره، فكيف يأمر الله تعالى بمودة الحسين عليه السلام وهو يعلم أنه سيخرج على إمام زمانه ويقاتله؟! فتبين مما تقدم في هذه الآية أن الله تعالى فرض المودة للإمام الحسين عليه السلام لعلمه باستقامته وطاعته وصحة فعله وقوله ولعلمه تعالى بأن الحسين عليه السلام سيموت في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وفعله حق لا ريب فيه.

٣ـ هناك آيات كثيرة لم نذكرها روما للاختصار تدل على أحقية الإمام الحسين عليه السلام في الإمامة وبطلان إمامة غيره.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[١].

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٣].

---

(١) سورة الإنسان، الآيتان: ٨ و٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.



الخطبة الثانية عشرة

وفيها يذمّ الدنيا ويحذّر منها

نص الخطبة

«الحَمْدُ لله الّذي خلَقَ الدُّنْيا فَجَعَلَها دارَ فَناءٍ وزَوالٍ، مُتَصرِّفَةً بِأَهْلِها حالاً بَعْدَ حالٍ، فَالْمَغْرُورُ مَنْ غرَّتْهُ، والشَّقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ. فَلا تَغُرَّنَّكُمْ هذِهِ الدُّنْيا، فَإِنَّها تَقْطَعُ رَجاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْها، وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ فيها، وأراكُمْ قَدْ اِجْتَمَعْتُمْ على أَمْرٍ قَدْ أَسْخَطْتُمُ الله فيه عَلَيْكُمْ، وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الكَرِيمِ عَنْكُمْ، وَأَحَلَّ بِكُمْ نِقْمَتَهُ، وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنا، وَبِئْسَ العَبِيدَ أَنْتُمْ، أَقْرَرْتُم بِالطّاعَةِ، وَآمَنْتُمْ بِالرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ إِنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إِلى ذُرِّيَتِهِ وَعِتْرَتِهِ[1] تُرِيدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدِ اسْتَحوذَ عَلَيْكُمُ الشَّيْطانُ، فَأَنْساكُمْ ذِكْرَ اللهِ العَظِيمِ، فَتَبّاً[2] لَكُمْ وَلِما تُرِيدُونَ، إنّا لله وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، هؤُلاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ».

المعنى العام

الثناء والشكر لله الذي ابتدع وصنع الدنيا فجعلها سكناً يتبعه نهاية وإبادة وتفرق وانفصال، مدبّرة لأهلها وقتا بعد وقت وصفة بعد صفة، الجاهل المخدوع من ينخدع فيها، التعيس وغير السعيد من وقع في إغرائها وانبهر بها، فلا تخدعكم هذه الدنيا، فإنها تبعد وتنهي وتفرق بين الأمل وبين من مال وسكن إليها، وتحرم وتمنع من رغب بها،

(١) العترةُ: نسلُ الرّجُلِ ورَهْطُهُ وَعَشيرتُهُ.

(٢) تَبَّ فُلانٌ: خَسِرَ وهَلَكَ.

وأراكم قد انضم بعضكم إلى بعض على شأن قد أغضبتم الله فيه عليكم، وأشاح بوجهه أي لم يقبل عليكم، وأنزل بكم عقوبته، وأبعدكم من خيره ونعمه ولطفه، فنعم المدبر والمربي ربنا، وبئس المملوكون أنتم، إذ عنتّم واعترفتم بالخضوع والانقياد، وآمنتم بالرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم إنكم مشيتم بثقلكم وكثرتكم إلى نسله ورهطه وعشيرته تريدون قتلهم وفناءهم، لقد غلبكم واستولى عليكم الشيطان فاعنف لكم عن ذكر الله ذي القوة والكبرياء، ثم دعا عليهم الإمام عليه السلام بالهلاك والخسران بقوله: «فتبّاً لكم ولما تريدون من زخرف الدنيا»، إنا مملوكون لله تعالى وإليه إيابنا، فهؤلاء قوم انحرفوا عن الاستقامة، فسحقا للقوم الجائرين والمائلين عن الحق.

ـ تغير الدنيا وتقلبها

يدرك كل عاقل أن هذه الدنيا فانية زائلة، ويلمس بوضوح تغيرها وتقلب أيامها من فرح إلى حزن ومن سعادة إلى شقاء ومن انشراح ونشوة إلى هم وغم فيحذرها ولا يطمئن فيها إلا بذكر الله تعالى، فهي دار الغرور ودار اللعب واللهو لمن غفل عن ذكر الله تعالى فلذا جاءت الآيات الكريمة تقر بيان هذا المعنى كما في قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٣.

وقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[1].

وهناك الكثير من الآيات التي تؤكد هذا المعنى، كما أن أهل البيت عليهم السلام وصفوها تارة بالماكرة المتقلبة التي لا ثبات لها ولا اطمئنان لحالها كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألا وإنّ الدُّنْيا دارٌ غَرّارةٌ خَدّاعَةٌ، تَنْكِحُ في كُلِّ يَوْمٍ بَعْلاً، وَتَقْتُلُ في كُلِّ لَيْلَةٍ أهْلاً، وتُفَرِّقُ في كُلِّ ساعَةٍ شَمْلاً»[2].

وتارة أخرى بالمؤذية المزعجة كما في قوله عليه السلام أيضا:

«إتّقُوا غُرورَ الدُّنْيا، فَإنَّها تَسْتَرْجِعُ أبداً ما خَدَعَتْ بِهِ مِنَ المَحاسِنِ، وتَزْعَجُ المُطْمَئِنَّ إلَيْها والقاطِنَ»[3].

وتارة بأنها بخيلة شحيحة مع من تزود منها، فلذا نجد تحذير أمير المؤمنين عليه السلام جليا في قوله:

«فَلا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ ما يُعْجِبُكُمْ فيها لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكُمْ مِنْها»[4].

ولشدة حرص أمير المؤمنين عليه السلام على دفع الضرر عن المؤمنين، وكونه الخبير الذي لا يقاس به أحد في فهم تقلبات الدنيا وغرورها نجده يقدم النصيحة للغافلين عن ذلك بقوله عليه السلام:

«ما قَدَّمْتَ فَهُوَ لِلمالِكينَ، وَما أخَّرْتَ فَهُوَ لِلوارِثينَ، وما مَعَكَ فَما لَكَ عَلَيْهِ سَبيلٌ

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٥.

(٢) نهج السعادة: ج٢، ص١٧٤. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٢، ح٥٨٧٩.

(٣) غرر الحكم: ٢٥٦٢. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٢، ح٥٨٨١.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٣، ص١١٨، ح١٠٩. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٢، ح٥٨٨٠.

سِوَى الغُرورِ بِهِ»[١].

وبيّن الآثار السلبية التي تصيب المغرور بهذه الدنيا بقوله:

«إنَّ مَنْ غَرَّتْهُ الدُّنْيا بِمُحالِ الآمالِ وخَدَعَتْهُ بِزُورِ الأمانِيِّ أورَثَتْهُ كَمَهاً، والْبَسَتْهُ عَمىً، وَقَطَعَتْهُ عَنِ الأخْرى، وأوْرَدَتْه مَوارِدَ الرَّدى»[٢].

فبعد هذه النصائح والتحذيرات من تقلب الدنيا وغرورها لا يصح الاطمئنان إليها والركون إلى لذائذها والانغماس في شهواتها المحرجة، بل إن الاطمئنان إليها يثير العجب والاستغراب عند أهل البيت عليهم السلام كما جاء ذلك على لسان سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام:

«وُجِدَ لَوْحٌ تَحْتَ حائِطِ مَدينَةٍ مِنَ المَدائِنِ فيهِ مَكْتُوبٌ: أنا اللهُ لا إلهَ إلاّ أنا وَمُحَمَّدٌ نَبِيّي... عَجِبْتُ لِمَنِ اخْتَبَرَ الدُّنْيا كَيْفَ يَطْمَئِنُ؟!»[٣].

كما أن الإمام الصادق عليه السلام لشدة تعجبه ممن يغتر بالدنيا ويطمئن إليها يستفهم استفهاماً استنكارياً كما في قوله:

«إنْ كانَتِ الدُّنْيا فانِيَةً فَالطُّمَأنينَةُ إلَيْها لِماذا؟!»[٤].

فلذا صار واضحا وجوب الحذر منها وعدم الاطمئنان لحالها، ولا يترك الحذر منها إلاّ من كان جاهلاً أحمق كما في هذه الأحاديث الشريفة التي صدرت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«الرُّكونُ إلى الدُّنْيا مَعَ ما يُعايَنُ مِنْ غِيَرِها جَهْلٌ»[٥].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١، ص٣٥٦، ح١٧. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٣، ح٥٨٨٦.

(٢) غرر الحكم: ٣٥٣٢. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٣، ح٥٨٨٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٤٤، ح١٥٨. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٥، ح٥٩٠٤.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٣، ص٨٨، ح٥٤. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٥، ح٥٩٠٣.

(٥) غرر الحكم: ١٩٧٩. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٤، ح٥٨٩٤.

وعنه عليه السلام قال:

«الرُّكُونُ إلى الدُّنْيا مَعَ ما يُعايَنُ مِنْ سُوءِ تَقَلُّبِها جَهْلٌ»[١].

وورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«العاجِلَةُ غُرورُ الحَمْقى»[٢].

«الفَرَحُ بِالدُّنْيا حُمْقٌ»[٣].

ـ الغضب المذموم والممدوح

ركّب في الإنسان قوى متعددة أولها القوة العاقلة ثم القوة الغضبية والقوة الشهوية والقوة الشيطانية، ولكي نقف على تفصيل القوة الغضبية لابد لنا من معرفة الغضب في اللغة والاصطلاح لكي يتسنى لنا الدخول في معرفة غضب الله تعالى.

الغضب في اللغة: غضب عليه غضبا: سخط عليه وأراد الانتقام منه، فهو غضب وهي غضبة، اغضبه، حمله على الغضب، غاضب فلان فلاناً: اغضب كل منهما الآخر ـ وفلانا: هجره وتباعد عنه[٤].

الغضب: استجابة لانفعال، يتميز بالميل إلى الاعتداء.

الغضب في الاصطلاح: هو كيفية نفسانية موجبة لحركة الروح من الداخل إلى الخارج للغلبة، ومبدئه شهوة الانتقام[٥].

الغضب المذموم جمرة من الشيطان تستعر في قلب الغاضب ثم تظهر على الجوارح عندما تثور حمية الجاهلية فيكون المرء قد وقع في الافراط الذي يخرجه عن

(١) غرر الحكم: ٢٠٣٧. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٤، ح٥٨٩٥.

(٢) غرر الحكم: ٨٩٦. ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٤، ح٥٨٩٧.

(٣) غرر الحكم: ٤٥٤، ميزان الحكمة: ج٣، ص١٢١٤، ح٥٨٩٨.

(٤) القاموس الفقهي: ص٢٧٥.

(٥) جامع السعادات: ج١، ص٣٢٠.

طاعة الله تعالى وحدود العقل، وأما الغضب الذي تستخرجه حمية الإيمان للدفاع عن الدين فهو غضب ممدوح ومطلوب فهذا النوع من الغضب هو من باب دفع الضرر قبل وقوعه.

وفي قبال الغضب الممدوح عدم الغضب الذي يصل إلى درجة الضعف والخوار والاستسلام، فهذا ما يسمى بالجبن أو هو من قبيل عدم الغيرة والحمية فيضيع ما يجب الحفاظ عليه كالدين والعرض والأولاد والأموال أو كل عزيز ينبغي الغضب لأجله، ولذا ورد في القرآن الكريم ما يبين آثار الغضب الممدوح كقوله تعالى:

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[2].

فهذه المقاطع من الآيات الكريمة يفهم منها مدح الشدة على الكفار المعتدين والغلظة عليهم وهذا المدح يؤول إلى مدح الغضب لله تعالى الذي أمرت به الأحاديث الشريفة كقول أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه:

«وَقَدْ تَرَوْنَ عُهودَ اللهِ مَنْقوضَةً فَلا تَغْضَبُونَ، وأنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبائِكُمْ تَأنَفُونَ!»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«مَنْ شَنِئَ الفاسِقِينَ وَغَضِبَ للهِ، غَضِبَ اللهُ لَهُ وَأرْضاهُ يَوْمَ القِيامَةِ»[4].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٦. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠١١، ح١٥٠٦٦.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة: ٣١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠١١، ح١٥٠٦٩.

ـ غضب الله ـ تعالى ـ ونقمته

غضب الله ـ تعالى ـ

كل ما تقدم بيانه عن الغضب من تعريفه الاصطلاحي أو بيان قسميه المذموم والممدوح لا يجري إلاّ في الإنسان، وأما جريان ذلك في الله تعالى فهو محال لأنه واجب الوجود وليس ممكنا.

ما ورد في القرآن الكريم عن غضب الله تعالى كقوله تعالى:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾(١).

وقوله تعالى:

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٢).

وقوله تعالى:

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾(٣).

وما ورد في الأحاديث الشريفة كقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ شَنِئَ الفاسِقينَ وَغَضِبَ للهِ، غَضِبَ اللهُ لَهُ وَأرْضاهُ يَوْمَ القِيامَةِ».

لا يعني أن غضب الله تعالى هو كيفية نفسانية أيضا ولا يعني أن غضبه تعالى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٨١.

يهيج ويسكن كما في الإنسان، كما لا يعني أن غضبه تعالى ناشئ من شهوة الانتقام أو هو من باب دفع الضرر لأنه محال لجريان ذلك في المخلوق دون الخالق وفي المتغيّر بالأحوال دون الذي لا تعتريه الحوادث ولا يتغير ولا ينفعل، فهو تعالى قد تنزه عن كل الصفات التي يتصف بها المخلوق كما أنه تعالى ليس محلاً لقيام الحوادث بذاته.

إذن بعد هذه المقدمة نبين المراد من معنى غضب الله تعالى، فنقول: إن غضب الله تعالى هو اللعنة والعقاب كما ورد في مجمع البيان:

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1].

أي رجعوا بغضب الله الذي هو عتابه ولعنه[2].

ومما يؤيد ذلك قول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان إذ يقول: (فيمتنع أن يكون صفة من الصفات القائمة بذاته لتنزهه تعالى عن أن يكون محلاً للحوادث فما نسب إليه تعالى من الرضا صفة فعل قائم بفعله منتزع عنه كالرحمة والغضب... الخ).

فغضب الله تعالى ليس كغضب الإنسان وإنما غضبه فعله وقد يكون فعلاً تكوينيا أو فعلاً تشريعيا لانقسام فعله تعالى إليها وهذا ما أشار إليه العلاّمة في تفسير الميزان أيضا إذ يقول: (وإذ كان فعله قسمين تكويني وتشريعي انقسم الرضا منه أيضا إلى تكويني وتشريعي... الخ)[3].

إذن تبين مما سبق أن الغضب الإلهي هو الفعل التكويني الذي أوجده الله تعالى وهو العقاب أو العذاب الساقط على من يستحقه.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٢) مجمع البيان: ج٢، ص٢٩٤.

(٣) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج١٧، ص٢٤٢.

ـ انتقام الله تعالى

الانتقام في اللغة: نقم منه نقماً: عاقبه، انتقم منه: عاقبه، النقمة: العقوبة.

الانتقام في الاصطلاح: هو العقوبة التي تذيقها غيرك بمقدار ما أذاقك منها أو أكثر من ذلك وهي صادرة عن التشفي غالبا.

فالانتقام من الغير قد يكون عادلاً وقد يخرج عن الإنصاف إلاّ أن هذا الانتقام صادر عن التشفي بالغير وعن فورة الغضب بسببه، **فهذا الانتقام مختص بالمخلوق** فقط حيث لا يمكن صدوره عن الله تعالى لتنزهه عن التشفي والغضب البشري، بل إن الانتقام الإلهي ليس إلاّ مجازاة المسيء على إساءته فقط، لأن الله تعالى وعد أهل الحق بالخير وأهل الباطل بالشر والعذاب.

فلذا ورد قوله تعالى:

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[1].

ولكي يتضح المطلب أكثر نقول:

إن الانتقام يمكن أن يلحظ بلحاظات متعددة، تارة نلحظه من جهة المنتقم فيكون على قسمين: الانتقام الفردي وهو ما تقدم في التعريف الاصطلاحي للانتقام، والانتقام الاجتماعي وهو ما ينزله المجتمع من عقوبات ومؤاخذات على من يسيء للحق الاجتماعي أو على من يوجد الخلل في النظام العام وهذا لا يصدر عن التشفي أو الغضب وإنما لأجل الحفاظ على النظام والحماية العامة أو الفردية، فهذا النوع من الانتقام هو حق من حقوق المجتمع لما له من غاية سامية ألا وهي حفظ النظام وهذا الانتقام هو مصداق من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلذا ورد عن الإمام الحسين عليه السلام قوله:

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣١.

«اعْتَبِروا أيُّها النّاسُ بِما وَعَظَ اللهُ بِهِ أوْلِياءَهُ مِنْ سوءِ ثَنائِهِ عَلَى الأحْبارِ، إذْ يَقولُ:

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ ﴾[١].

وقالَ:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٢].

وانَّما عابَ اللهُ ذلِكَ عَلَيْهِمْ لأنَّهُمْ كانوا يَرَوْنَ مِنَ الظَّلَمَةِ الّذينَ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ المُنْكَرَ وَالفَسادَ فَلا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْ ذلِكَ، رَغْبَةً فيما كانوا يَنالونَ مِنْهُمْ، وَرَهْبَةً مِمّا يَحْذَرُونَ، واللهُ يقول:

﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[٣]»[٤].

فإذا اتضح هذا يتضح ما ينسب إلى الله تعالى من مفهوم الانتقام فيكون حينئذ انتقام الله تعالى عقوبة ينزلها الله تعالى لحفظ النظام والدين والمجتمع وهي ردع لكل ظالم أخذته العزّة بالإثم وهذا ما يفهم من الآيات الكريمة كقوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[٥].

وقوله تعالى:

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾[٦].

وتارة يلحظ الانتقام من جهة ذات الانتقام وهو ليس محل البحث.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٤) تحف العقول: ص٢٣٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٧٦، ح١٢٧٠٩.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٣٧.

- الانقلاب بعد الإيمان

الإيمان فضيلة تدل على رجاحة عقل صاحبها، بل هو زينة يتزين بها العقلاء، وتاج يعلو رؤوس النبلاء، ورداء يرتديه الفضلاء، فهو العفة والإخلاص والصبر والسماحة والصدق والشكر والسخاء والتسليم لله تعالى والرضا بقضائه وقدره والقناعة والحب في الله تعالى والبغض فيه تعالى وهو الخوف والرجاء، وهو معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان، فإذن الإيمان هو أصل الفضائل وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«الإيمانُ أصْلُ الحَقِّ، وَالحَقُّ سَبيلُ الهُدى، وَسَيْفُهُ جامِعُ الحِلْيَةِ. قَديمُ العُدَّةِ الدُّنْيا مِضْمارُهُ»[1].

فلذا نجد الآية الكريمة التي تشير إلى فضل الله تعالى وكرمه إذ تقول:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[2].

لما له من دور في بناء شخصية الإنسان وعلوه وسموه، وحيث إن البحث يهتم بالانقلاب بعد الإيمان لابد من التعرض إلى بيان بعض النقاط التي من خلالها يتضح لنا أسباب الانقلاب والانحراف، وهي كما يلي:

١ـ الإيمان ليس هو الإسلام لقوله تعالى:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

فيظهر من هذه الآية أن هناك فرقاً بين الإسلام وبين الإيمان فيُعرف منه الفرق

---

(١) كنز العمال: ٤٤٢١٦. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٥٠، ح١٢٥٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

بين المؤمنين والمسلمين، فالإيمان حقيقة محلها القلوب وتصدقها الأعمال، والإسلام محله اللسان وهذا ما ورد على لسان النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«لَيْسَ الايمانُ بِالتَّحَلّي وَلاَ بالتَّمَنّي، ولكِنَّ الايمانَ ما خَلَصَ في القَلْبِ وَصَدَّقَهُ الأعْمالُ»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«الايمانُ مَعْرِفَةٌ بِالقَلْبِ، وَقَوْلٌ بِاللِّسانِ، وعَمَلٌ بِالأرْكانِ»[2].

وما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام فيه بيان جلي للفرق بين الإيمان والإسلام فلذا يقول عليه السلام:

«قالَ لي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسَلَّمَ: يا عَليُّ أُكْتُبْ. فَقُلْتُ: ما أكْتُبُ؟ فَقالَ: أكْتُبْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ، الايمانُ ما وَقَرَ في القُلوبِ وَصَدَّقَتْهُ الأعْمالُ، والإسْلامُ ما جَرى على اللِّسانِ وحَلَّتْ بِهِ المُناكَحَةُ»[3].

٢ـ الإيمان لا يقتصر على المعرفة القلبية أو الإقرار باللسان بل لابد من ترجمة ذلك إلى العمل والتطبيق وهذا ما يفهم من قوله تعالى:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[4].

أو قوله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

(١) بحار الأنوار: ج٦٩، ص٧٢، ح٢٦. كنز العمال: ١١ نحوه. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٥١، ح١٢٦١.

(٢) كنز العمال: ٢. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٥١، ح١٢٦٢.

(٣) بحار الأنوار: ج٥، ص٢٠٨، ح٢٢. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٥٠، ح١٢٥٣.

(٤) سورة العصر، الآيات: ١ و٢ و٣.

كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[١].

وهناك ما يقارب خمسين آية تربط بين الإيمان والعمل؛ إذ لا فائدة لإيمان دون عمل أو لعمل دون إيمان، بل هما الجناحان الوحيدان اللذان يطير بهما المؤمن ويعرج بهما إلى ربه تعالى.

وما ورد في الأحاديث أعلاه يؤكد على ضرورة العمل المقرون بالإيمان، بل إن هناك أحاديثَ صريحة بذلك نورد بعضا منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الإيمانُ وَالعَمَلُ أخوانِ شَريكانِ في قَرَنٍ، لاَ يَقْبَلُ اللهُ أحَدَهُما إلاّ بِصاحِبِهِ»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«لاَ يُقْبَلُ إيمانٌ بِلاَ عَمَلٍ، وَلاَ عَمَلٌ بِلا إيمانٍ»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«لَوْ أنَّ العِبادَ وَصَفوا الحَقَّ وَعَمِلوا بِهِ وَلَمْ تَعْقَدْ قُلوبُهُمْ عَلى أنَّهُ الحَقُّ ما انْتَفَعوا»[٤].

٣ـ لابد للمؤمن أن يتصف بنصرة الحق ودحض الباطل، وأن يكون ميزانه في التعامل والمواقف رضا الله تعالى دون سواه، وإن أدى ذلك إلى ضرره أو عدم نفعه، وهذا ما صرح به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام الصادق عليه السلام،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٢) كنز العمال: ٥٩. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٥٥، ح١٢٨٩.

(٣) كنز العمال: ٢٦٠. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٥٥، ح١٢٩٠.

(٤) نور الثقلين: ج٣، ص٥٤٦، ح٨٧. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٥٥ ـ ٢٥٦، ح١٢٩٥.

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يَحُقُّ العَبْدُ حَقيقَةَ الإيمانِ حَتّى يَغْضَبَ للهِ وَيَرْضى للهِ، فَإذا فَعَلَ ذلِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّ حَقيقَةَ الإيمانِ»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنَّ مِنْ حَقيقَةِ الإيمانِ أنْ تُؤثِرَ الحَقَّ وإنْ ضَرَّكَ عَلى الباطِلِ وإنْ نَفَعَكَ».

٤ـ قد يؤمن المرء، ردحاً من الزمن ثم يخرج من الإيمان لأسباب منها الطمع في الدنيا كما في هذا الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام وقد سُئلَ عما يُثَبِّتُ الإيمانَ في العَبْدِ:

«الّذي يُثَبِّتُهُ فيهِ الوَرَعُ، والّذي يُخْرِجُهُ مِنْهُ الطَّمَعُ»[2].

ومنها نيل الشهوات الحرام والشرك كما في الأحاديث الآتية:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ كانَ أكْثَرُ هَمِّهِ نَيْلَ الشَّهَواتِ نُزِعَ مِنْ قَلْبِهِ حَلاوَةُ الإيمانِ»[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قَدْ يَخْرُجُ [العَبْدُ] مِنَ الإيمانِ بِخَمْسِ جِهاتٍ مِنَ الفِعْلِ كُلُّها مُتَشابِهاتٌ مَعْروفاتٌ: الكُفْرُ، وَالشِّرْكُ، وَالضَّلالُ، وَالفِسْقُ، وَرُكوبُ الكَبائِرِ»[4].

وعنه عليه السلام قال:

---

(١) كنز العمال: ٩٩. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٥٤، ح١٢٨٠.

(٢) الخصال: ج٩، ص٢٩. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٦٦، ح١٣٥٩.

(٣) تنبيه الخواطر: ج٢، ص١١٦. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٦٨، ح١٣٧٤.

(٤) تحف العقول: ٣٣٠، أنظر تمام الحديث. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٦٨، ح١٣٧٩.

«أدْنى ما يَخْرُجُ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ الإيمانِ أنْ يُواخِيَ الرَّجُلَ على دِينِهِ فَيُحْصيَ عَلَيْهِ عَثَراتِهِ وَزَلاّتِهِ لِيُعَنِّفَهُ (لِيُعَيِّرَهُ) بِها يَوْماً (مّا)»[1].

بعد هذه المقدمة التي بيناها نستطيع القول: إن الذين ينقلبون على أعقابهم على أربعة أقسام:

ألف: هم من لم يدخل الإيمان في قلوبهم، أو من دخل الإيمان في قلبه دون أن يصدّقه بالعمل.

باء: ومن الذين ينقلبون بعد إيمانهم هم من خذلوا الحق ونصروا الباطل.

جيم: من كانت أقوالهم وأعمالهم مخالفة لرضا الله تعالى وموافقة لرضا المخلوق العاصي.

دال: الذين انقلبوا عبيد شهواتهم وأطماعهم بعد أن خلقهم الله تعالى أحرارا.

استحواذ الشيطان

الشيطان في اللغة: روح شريرة مغوٍ، كل متمرد فاسد، يقال في تقبيح الشيء، كأنه وجه شيطان أو رأس شيطان، وفي التنزيل العزيز في وصف شجرة جهنم:

﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾[2].

ويقال ركبه شيطانه: غضب ولم يعبأ بالعاقبة.

الشيطان: مخلوق من الجان تمرد على الأمر الإلهي لعجب أصابه وغرور أعماه.

فإذا عرف القارئ الكريم ما تقدم يلزم الحذر الشديد من طاعة الشيطان الذي لا هم له إلا أن يكيد لبني آدم، ولو تأملنا المعنى اللغوي فقط للشيطان لكفانا ذلك للابتعاد

---

(١) معاني الأخبار: ص٣٩٤، ح٤٨. ميزان الحكمة: ج١، ص٢٦٩، ح١٣٨٠.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٦٥.

عن هذا المخلوق المخيف الذي يتربص بنا الدوائر ويترصدنا في كل حركة وسكنة ليستزلنا عن الطريق المستقيم كما استزل غيرنا كما في الآية الشريفة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾[١].

فلذا لابد من الاستعاذة بالله تعالى منه قولا وعملا، أي إذا قلت (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) ينبغي أن تحضر في قلبك عداوة الشيطان، وأن تبتعد عن كل ما يحبه، وأن تأتي كل ما يريده الله تعالى منك وتعمل كل ما يحبه بارئك، وهذا لا يكون إلاّ من خلال هجر الشهوات التي حرمها الله تعالى، وإتيان الفرائض التي أوجبها تعالى عليك، ولابد أن تتسلح بكل ما يقوي صوت الرحمن في قلبك ويضعف صوت الشيطان الذي يهجم عليك بتسويلاته ووساوسه، وهذا يتم من خلال معرفتك ألاعيب الشيطان وطرقه وحيله وإغوائه، ولكي لا تقع في شراكه وتقيدك حباله عليك أن تقف على معنى الخير والشر وعاقبة كل واحد منهما،

ولكي نعرف أسباب استحواذ الشيطان على الإنسان لابد من ملاحظة ما يأتي:

١ـ من يعش بعيداً عن ذكر الله تعالى يسقط في براثن الشيطان كما في قوله تعالى:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[٢].

٢ـ إتباع الشهوات والسعي وراء تحصيلها بما لا يرضي الله تعالى كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٣٦.

«الفِتَنُ ثَلاثٌ: حُبُّ النِّساءِ وَهُوَ سَيْفُ الشَّيْطانِ، وشُرْبُ الخَمْرِ وَهُوَ فَخُّ الشَّيْطانِ، وَحُبُّ الدِّينارِ والدِّرْهَمِ وَهُوَ سَهْمُ الشَّيْطانِ»[1].

٣ـ الاتصاف ببعض الرذائل وممارستها تؤدي بصاحبها إلى الانقياد لإبليس كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«يَقولُ إبْليسُ لِجُنُودِهِ: أَلْقُوا بَيْنَهُمُ الحَسَدَ وَالبَغْيَ؛ فَإِنَّهُما يَعْدِلانِ عِنْدَ اللهِ الشِّرْكَ»[2].

٤ـ إتيان الذنوب والإصرار عليها يؤدّيان إلى نزول الشياطين على فاعلهما كما في قوله تعالى:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[3].

٥ـ العجب بالنفس سبب في استحواذ الشيطان كما ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«بَيْنَما موسى عليه السلام جالِساً إذْ أقْبَلَ إبْليسُ... قالَ موسى: فَأخْبِرْني بِالذَّنْبِ الذي إذا أذْنَبَهُ ابنُ آدَمَ استَحْوَذْتَ عَلَيْهِ، قالَ: إذا أعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، واسْتَكْثَرَ عَمَلَهُ، وَصَغُرَ في عَيْنِهِ ذَنْبُهُ»[4].

٦ـ معاشرة أهل السوء ومخالطتهم تقود إلى طاعة الشيطان، وهذا ما أكده أمير المؤمنين عليه السلام:

«مُجالَسَةُ أهْلِ الهَوى مَنساةٌ للإيمانِ وَمَحْضَرَةٌ للشَّيْطانِ»[5].

(١) الخصال: ص١١٣، ح٩١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢١، ح٩٣٧٦.

(٢) الكافي: ج٢، ص٣٢٧، ح٢. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٧، ح٩٣٩٣.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢٢١.

(٤) الكافي: ج٢، ص٣١٤، ح٨. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٣٠، ح٩٤٠٧.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٨٦. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٣٠، ح٩٤٠٨.

٧ـ عدم احترام الذات والاتصاف بالقبائح وإتيانها تجعل صاحبها شيطانا كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ لَمْ يُبالِ ما قالَ وما قِيلَ فيهِ فَهُوَ شِرْكُ شَيْطانٍ، وَمَنْ لَمْ يُبالِ أنْ يَراهُ النّاسُ مُسِيئاً فَهُوَ شِرْكُ شَيْطانٍ، وَمَنِ اغْتابَ أخاهُ المُؤْمِنَ مِنْ غَيْرِ تِرَةٍ بَيْنَهُما فَهُوَ شِرْكُ شَيْطانٍ، وَمَنْ شُغِفَ بِمَحَبَّةِ الحَرامِ وَشَهْوَةِ الزِّنا فَهُوَ شِرْكُ شَيْطانٍ»(١).

ـ أسئلة مهمة

السؤال الأول: ما هو السبب المهم الذي طرد بسببه إبليس من مرتبته عند الله تعالى؟

الجواب: لكي لا نقع فيما وقع فيه إبليس من خسران، ولكي لا نطرد من رحمة الله تعالى لابد من الاعتبار مما حصل له وهذا من خلال معرفة أسباب خسرانه وطرده وهي كما يلي:

ألف: التكبر على أمر الله تعالى كما يؤكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«فَاعْتَبِرُوا بِما كانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإبْلِيسَ؛ إذْ أحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الجَهِيدَ (الجميل) وَكانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلافِ سَنَةٍ، لاَ يُدْرى أمِنْ سِنِي الدُّنْيا أمْ مِنْ سِنِي الآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ ساعَةٍ واحِدَةٍ»(٢).

باء: العجب بالنفس وتفضيل النفس على الغير دون استحقاق وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ

(١) الخصال: ص٢١٦، ح٤٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٣٢، ح٩٤١٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩١٨، ح٩٣٦٥.

خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[1].

جيم: عبادة الله تعالى من حيث تريد النفس، لا من حيث يريد الله تعالى كما بيّن ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«أمَرَ اللهُ إبْليسَ بالسُّجودِ لآدَمَ، فقالَ: يا رَبِّ وَعِزَّتِكَ إنْ أعْفَيْتَني مِنَ السُّجودِ لآدَمَ لأعْبُدَنَّكَ عِبادَةً ما عَبَدَكَ أحَدٌ قَطُّ مِثْلَها، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إنّي أُحِبُّ أنْ أُطاعَ مِنْ حَيْثُ أُريدُ»[2].

ـ السؤال الثاني: ألف/ ما هي حدود الشيطان وسلطته؟ باء/ وعلى من يتسلط؟

الجواب:

ألف: إن سلطة الشيطان لا تتعدى التزيين أو التسويل أو الوسوسة أو الإغواء ولا تصل إلى حد إجبار العبد على الفعل كما في الآيات الكريمة الآتية:

١ـ آيات تبين تزيين الشيطان كقوله تعالى:

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١١ و١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٣، ص٢٥٠، ح١١٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩١٨، ح٩٣٦٦.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٨.

وقوله تعالى:

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

وهناك الكثير من الآيات التي تشير إلى ذلك.

٢ـ آيات تشير إلى التسويل كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾[2].

٣ـ آيات تشير إلى الوسوسة كما في قوله تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾[4].

وقوله تعالى:

﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾[5].

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٣.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.

(٤) سورة طه، الآية: ١٢٠.

(٥) سورة الناس، الآيتان: ٤ و٥.

٤ـ آيات تشير إلى الإغواء كما في قوله تعالى:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

وأما ما يؤكد أن سلطة الشيطان لا تصل إلى حد الإجبار على العمل بل ليس له دخل في وقوع المعاصي إلا ما تقدم من التزيين والتسويل والوسوسة والإغواء فهو قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ۖ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وأما ما يدل على عدم إجباره لبني آدم على المعصية فهو ضعفه وعجزه عن ذلك كما في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[4].

---

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢ و٨٣.

(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩ و٤٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٧٦.

وقول الإمام الكاظم عليه السلام في وصيّته لهشام:

«فَلَهُ [أي لإبليس] فَلْتَشْتَدَّ عَداوَتُكَ، وَلا يَكُونَنَّ أَصْبَرَ عَلى مُجاهَدَتِهِ لِهَلَكَتِكَ مِنْكَ عَلى صَبْرِكَ لِمُجاهَدَتِهِ؛ فَإنَّهُ أَضْعَفُ مِنْكَ رُكْناً في قُوَّتِهِ، وأَقَلُّ مِنْكَ ضَرَراً في كَثْرَةِ شَرِّهِ، إذا أنتَ اعْتَصَمْتَ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيتَ إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ»(١).

باء: إضافة لما تقدم من أسباب الاستحواذ نبين أن سلطة إبليس لا تكون إلاّ على مَن لهم هذه الصفات:

١ـ الذين يتولونه كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢).

٢ـ الغاوين كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾(٣).

٣ـ إتباع الهوى وأهل الفتن كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّما بَدْءُ وُقُوعِ الفِتَنِ أَهْواءٌ تُتَّبَعُ... فَهُنالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطانُ عَلى أَوْلِيائِهِ، وَيَنْجُو الذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الحُسْنى»(٤).

السؤال الخامس: ما هي الوسائل التي تعصم الإنسان من السقوط تحت سلطنة الشيطان؟

الجواب:

---

(١) تحف العقول: ص٤٠٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٥، ح٩٣٨٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٥٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٩، ح٩٤٠٦.

ألف: الإيمان الحقيقي الذي حصل نتيجة المعرفة يقود إلى التوكل، وإلى التحلي بالفضائل التي من شأنها حماية الإنسان من السقوط في براثن الشيطان كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[١].

ولكي يحقق الإيمان أهدافه لابد من اقترانه بالعمل الصالح، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[٢].

باء: ذكر أهل الحكمة والموعظة، وخزانة العلم في أحاديثهم الشريفة مجموعة من الوسائل التي تنجي من الوقوع في شراك الشيطان وهي كما يلي:

١ ـ نفتح الجواب عن هذا السؤال بنصيحة سيد الرسل وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول:

«ألا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إنْ أنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَباعَدَ الشَّيْطانُ مِنْكُمْ تَباعُدَ المَشْرِقِ مِنَ المَغْرِبِ؟

قالوا: بَلى، قالَ:

الصَّوْمُ يُسَوِّدُ وَجْهَهُ، والصَّدَقَةُ تَكْسِرُ ظَهْرَهُ، وَالحُبُّ في اللهِ وَالمُوازَرَةُ عَلى العَمَلِ الصّالِحِ يَقْطَعانِ دابِرَهُ، والاسْتِغْفارُ يَقْطَعُ وَتِينَهُ»[٣].

٢ ـ أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى اللجوء إلى الله تعالى والاعتصام به من خلال الدعاء والتوسل كما في قوله عليه السلام:

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٩.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٣) أمالي الصدوق: ص٥٩، ح١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٣٠، ح٩٤١٢.

«أَكْثِرِ الدُّعاءَ تَسْلَمْ مِنْ سَوْرَةِ الشَّيْطانِ»[١].

٣ـ ذكر الإمام الباقر عليه السلام أن التلبس بالخوف والخشية من الله تعالى ظاهراً وباطناً وفي السر والعلن كفيل بحماية العديد من مكائد الشيطان كما في قوله عليه السلام:

«تَحَرَّزْ مِنْ إبْليسَ بِالخَوْفِ الصّادِقِ»[٢].

وقوله عليه السلام:

«عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَبَكِّرُوا بِها؛ فَإنَّها تُسَوِّدُ وَجْهَ إبْليسَ»[٣].

٤ ـ أرشدنا الإمام الصادق عليه السلام إلى الوقوف على اعتراف إبليس بالعجز إزاء خمسة أشياء لو التزم بها المؤمن لا يصل إليه شر إبليس ولا يناله شيء من حيله ومكائده كما في قوله عليه السلام:

«قالَ إبْليسُ: خَمْسَةُ (أشْياءَ) لَيْسَ لي فيهِنَّ حيلَةٌ وسائِرُ النّاسِ في قَبْضَتي: مَنِ اعْتَصَمَ بِاللهِ عَنْ نِيَّةٍ صادِقَةٍ واتَّكَلَ عَلَيْهِ في جَميعِ أمُورِهِ، وَمَنْ كَثُرَ تَسْبيحُهُ في لَيْلِهِ وَنَهارِهِ، وَمَنْ رَضِيَ لأخيهِ المُؤْمِنِ بِما يَرْضاهُ لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجْزَعْ عَلى المُصيبَةِ حينَ تُصيبُهُ، وَمَنْ رَضِيَ بِما قَسَمَ اللهُ لَهُ وَلَمْ يَهْتَمَّ لِرِزْقِهِ»[٤].

السؤال السادس: هل يؤثر الشيطان على المعصومين؟

الجواب: لا يمكن أن يؤثر عليهم الشيطان لعصمتهم التي ثبتت في محلها بالأدلة العقلية والنقلية، وقد تقدم ذكر صفات من يستحوذ عليهم الشيطان، وذكر أسباب استحواذه على البشر التي تنزه عنها المعصومون، وأما ما ورد من آيات فيها إشارة إلى

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٩، ح٦٤. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٨، ح٩٤٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٦٤، ح١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٨، ح٩٤٠٢.

(٣) تحف العقول: ص٢٩٨. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٣٠، ح٩٤١٣.

(٤) الخصال: ص٢٨٥، ح٣٧. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٢٨، ح٩٤٠١.

تسلط الشيطان على الأنبياء كقوله تعالى:

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[1].

وقوله تعالى:

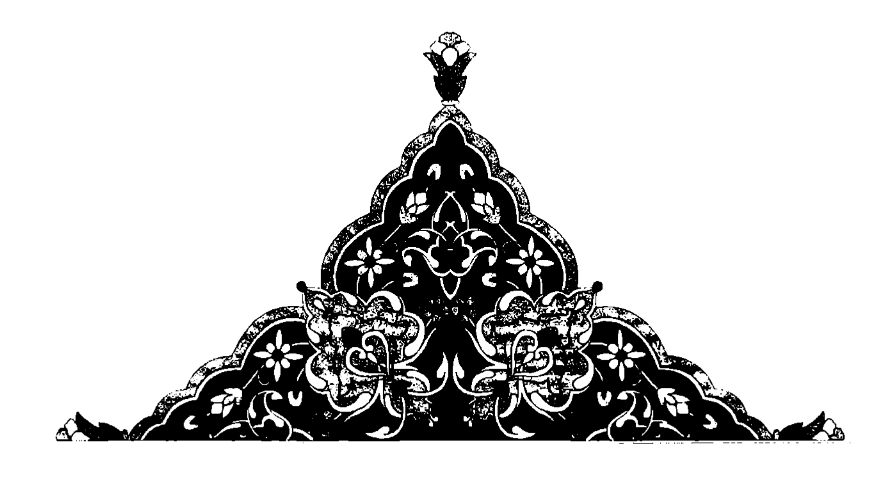
﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[2].

فتفسر بأن للشيطان قدرة التأثير على أجسام الأنبياء دون نفوسهم وعقولهم لعصمتهم.

---

(١) سورة ص، الآية: ٤١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٦٣.



الخطبة الثالثة عشرة

وفيها يذمّ بني أميّة، ثمّ ينبّه على حقه

نص الخطبة

«إنّ هؤلاءِ قومٌ لزموا طاعةَ الشيطانِ، وتركوا طاعةَ الرحمنِ، فأظهروا الفسادَ، وعطّلوا الحُدُودَ، واستأثروا بالفيءِ وأنا أحقُّ منْ غيرَ، وقدْ أتتني كتُبُكُمْ، وقدمتْ عليَّ رُسُلُكُمْ، فإنْ تتمّوا عليّ بَيْعَتَكُمْ تُصيبُوا رُشْدَكُمْ».

المعنى العام

أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى الجماعة التي ثبتت ودامت على الانقياد والخضوع لإبليس، وتخلوا عن الانقياد والخضوع لله تعالى فأعلنوا الانحراف واللهو واللعب والضرر، تركوا وضيعوا الحواجز التي وضعها الله تعالى دون المعاصي أو التي فرضها على العصاة، وخصوا أنفسهم بالخراج وغنيمة المسلمين، وأنا أولى من يحول دون ذلك ويمنع هؤلاء ويردهم إلى الصواب، وقد جاءتني رسائلكم ووردت عليّ رسلكم، فإن تكملوا بيعتكم بالتزامكم معي تنالوا هديكم وتوفيقكم.

الشجرة الملعونة

ورد ذكر الشجرة الملعونة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

كما ورد ذكر الشجرة الطيبة في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[١].

جاءت المقارنة بين الشجرة الطيبة والخبيثة لبيان الفارق بين الحق والباطل وبين الغنى المعنوي والفقر المعنوي، وبين الإيمان والكفر، وبين ما له أصل وما لا أصل له، وبين من هو ثابت لا يغيره شيء وبين ما هو متميّز ومتهاوٍ، وبين ينبوع البركات وما لا بركه ترجى منه أو فيه، وبين الطريق المستقيم والأعوج، وبين المعطاء الخصب والجشع الجدب، وبين المؤمن والكافر بل بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعدائه، أي بين الشجرة الإلهية والشجرة الشيطانية، الشجرة المثمرة والعقيم التي لا ثمر فيها.

ومما يدل على انطباق هذه الآيات على بني أمية ما ورد في التفاسير المعتبرة لآية الشجرة الملعونة كما جاء في تفسير مجمع البيان (إن ذلك رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه أن قروداً تصعد منبره وتنزل، فساءه ذلك، واغتم به)[٢].

وكما جاء في تفسير الأمثل (تحدث مجموعة من المفسرين مثل الطبرسي في (مجمع البيان) والفخر الرازي في (التفسير الكبير) وآخرون، في شأن نزول هذه الآيات، فقالوا: إنها نزلت في مجموعة من المشركين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبة، وكانوا يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعوة الناس إلى الدين، فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه.

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٢٤ و٢٥ و٢٦.

(٢) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ج٦، ص٢٦٦.

وقد احتمل الطبرسي أن يكون الله منع المشركين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق إلقاء الخوف والرعب في قلوبهم.

أما الرازي فيقول في ذلك: (إن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأ القرآن على الناس، روي أنه عليه الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه رجلان وعن يساره آخران من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار).

وتفسير الميزان (يؤيد جميع ما تقدم ما ورد من طرق أهل السنة واتفقت عليه أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام أن المراد بالرؤيا في الآية هي رؤيا رآها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بني أمية والشجرة شجرهم)[(١)].

وورد في تفاسير القوم ما يؤيد ذلك كما في الدر المنثور:

وما ورد أيضا في التفاسير لآيات الشجرة الطيبة والخبيثة كما في تفسير الأمثل: (الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة!

هنا مشهد آخر في تجسيم الحق والباطل، الكفر والإيمان، الطيب والخبيث ضمن مثال واحد جميل وعميق المعنى... يكمل البحوث السابقة في هذا الباب.

يقول تعالى أولا: ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ثم يشير إلى خصائص هذه الشجرة الطيبة في جميع أبعادها ضمن عبارات قصيرة.

ولكن قبل أن نستعرض هذه الخصائص يجب أن نعرف ما المقصود من (الكلمة الطيبة)؟

قال بعض المفسرين: إنها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

وقال آخرون: إنها تشير إلى الأوامر الإلهية.

---

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ج١٣، ص١٣٧.

وقال البعض الآخر: إنه الإيمان الذي محتواه ومفهومه (لا إله إلا الله).

وقال آخرون في تفسيرها: إنها شخص المؤمن.

وأخيرا قال بعضهم: إنها الطريقة والبرامج العملية.

ولكن بالنظر إلى سعة مفهوم الكلمة الطيبة ومحتواها نستطيع أن نقول: إنها تشمل جميع هذه الأقوال، لأن (الكلمة) في معناها الواسع تشمل جميع الموجودات، ولهذا السبب يقال للمخلوقات (كلمة الله)، و(الطيب) كل طاهر ونظيف، فالنتيجة من هذا المثال أنه يشمل كل سنة ودستور وبرنامج وطريقة، وكل عمل، وكل إنسان.. والخلاصة: كل موجود طاهر ونظيف وذي بركة، وجميعها كشجرة طيبة فيها الخصائص التالية:

١ـ كائن يمتلك الحركة والنمو، وليس جامدا ولا خاملا، بل ثابت وفاعل ومبدع للآخرين ولنفسه (التعبير بـ(الشجرة) بيان لهذه الحقيقة).

٢ـ هذه الشجرة طيبة، ولكن من أية جهة؟ بما أنه لم يُذكر لها قسم خاص بها، فإنها طيبة من كل جهة.. منظرها، ثمارها، أزهارها، ظلالها، ونسيمها بل جميعها طيب وطاهر.

٣ـ لهذه الشجرة نظام دقيق، لها جذور وأغصان، وكل واحد له وظيفته الخاصة، فوجود الأصل والفرع فيها دليل على سيادة النظام الدقيق عليها.

٤ـ أصلها ثابت محكم بشكل لا يمكن أن يقلعها الطوفان ولا العواصف.

وباستطاعتها أن تحفظ أغصانها العالية في الفضاء وتحت نور الشمس، لأن الغصن كلما كان عاليا يحتاج إلى جذور قوية أصلها ثابت.

٥ـ إن أغصان هذه الشجرة الطيبة ليست في محيط ضيق ولا رديء، بل مقرها في عنان السماء، وهذه الأغصان والفروع تشق الهواء وتصعد فيه عاليا وفرعها في السماء.

ومن الواضح أن الأغصان كلما كانت عالية وسامقة تكون بعيدة عن التلوث والغبار وتصبح ثمارها نظيفة، وتستفيد أكثر من نور الشمس والهواء الطلق، فتكون ثمارها طيبة جدا.

٦ـ هذه الشجرة كثيرة الثمر لا كالأشجار الذابلة العديمة الثمر، ولذلك فهي كثيرة العطاء تؤتي أكلها.

٧ـ وثمارها ليست فصلية، بل في كل فصل وزمان، فإذا أردنا أن نمد يدنا إلى أغصانها في أي وقت لم نرجع خائبين كل حين.

٨ـ إن إنتاجها من الثمار يكون وفق قوانين الخلقة والسنن الإلهية وليس بدون حساب بإذن ربها.

والآن يجب أن نفتش، أين نجد هذه الخصائص والبركات؟

نجدها بالتأكيد في كلمة التوحيد ومحتواها، وفي الإنسان الموحد ذي المعرفة، وفي البرامج الحية النظيفة، وجميعها نامية ومتحركة ولها أصول ثابتة ومحكمة وفروع كثيرة وعالية بعيدة عن التلوث بالأدران الجسدية والدنيوية، وكلها مثمرة وفياضة.

وما من أحد يأتي إليها ويمد يده إلى فروعها إلا ويستفيد من ثمارها اللذيذة العطرة؟ وتتحقق فيه الخصال المذكورة، فعواصف الأحداث الصعبة والمشاكل الكبيرة لا تزحزحه من مكانه، ولا يتحدد، وافق تفكيره في هذه الدنيا الصغيرة، بل يشق حجب الزمان والمكان ويسير نحو المطلق اللامتناهي.

سلوكهم وبرامجهم ليست تابعة للهوى والهوس، بل طبقا للأوامر الإلهية وبإذن ربهم، وهذا هو مصدر الحركة والنمو في حركتهم.

الرجال العظام من المؤمنين هم كلمة الله الطيبة، وحياتهم أصل البركة، دعوتهم توجب الحركة، آثارهم وكلماتهم وأقوالهم وكتبهم وتلاميذهم وتاريخهم.. وحتى

قبورهم جميعها ملهمة وحية ومربية.

نعم ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون.

وهناك سؤال مطروح بين المفسرين وهو: هل لوجود هذه الشجرة وصفاتها واقع خارجي؟

يعتقد البعض بوجودها وهي النخلة، ولذلك اضطروا إلى أن يفسروا كل حين بستة أشهر.

ولكن لا حاجة إلى الإصرار في وجود مثل هذه الشجرة، بل هناك تشبيهات كثيرة وليس لها وجود خارجي أصلا.

وعلى أية حال، فالهدف من التشبيه هو تجسيم الحقائق والمسائل العقلية وصبها في قالب الحواس، وهذه الأمثال ليس فيها أي إبهام، بل هي مقبولة ومؤثرة وجذابة.

وفي عين الحال هناك أشجار في هذه الدنيا ثمارها لا تنقطع على طول السنة، وقد رأينا بعض الأشجار في المناطق الحارة وكانت مثمرة وفي نفس الوقت لها أزهار جديدة للثمار المقبلة!

وبما أن أحد أفضل الطرق لتوضيح المسائل هو الاستفادة من طريق المقابلة والمقايسة، فقد جعلت النقطة المقابلة للشجرة الطيبة، الشجرة الخبيثة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

والكلمة (الخبيثة) هي كلمة الكفر والشرك، وهي القول السيئ والرديء، وهي البرنامج الضال والمنحرف، والناس الخبثاء، والخلاصة: هي كل خبيث ونجس.

ومن البديهي أن مثل هذه الشجرة ليس لها أصل، ولا نمو ولا تكامل ولا ثمار ولا ظل ولا ثبات ولا استقرار، بل هي قطعة خشبية لا تصلح إلا للاشتعال... بل أكثر من ذلك هي قاطعة للطريق وتزاحم السائرين وأحيانا تؤذي الناس!

ومن الطريف أن القرآن الكريم فصل الحديث في وصف الشجرة الطيبة بينما اكتفى في وصف الشجرة الخبيثة بجملة قصيرة واحدة (جتثت من فوق الأرض وما لها من قرار) وهذا نوع من لطافة البيان أن يتابع الإنسان جميع خصوصيات ذكر (المحبوب) بينما يمر بسرعة في جملة واحدة بذكر (المبغوض)!

ومرة أخرى نجد المفسرين اختلفوا في تفسير الشجرة الخبيثة، وهل لها واقع خارجي؟

قال البعض: إنها شجرة (الحنظل) والتي لها ثمار مرة ورديئة.

واعتقد آخرون أنها (الكشوت) وهي نوع من الأعشاب المعقدة التي تنبت في الصحراء ولها أشواك قصيرة تلتف حولها وليس لها جذر ولا أوراق.

وكما قلنا في تفسير الشجرة الطيبة، ليس من اللازم أن يكون للشجرة الخبيثة وجود خارجي في جميع صفاتها، بل الهدف هو تجسيم الوجه الحقيقي لكلمة الشرك والبرامج المنحرفة والناس الخبثاء، وهؤلاء كالشجرة الخبيثة ليس لها ثمار ولا فائدة... إلا المتاعب والمشاكل، مضافا إلى أن الأشجار والنباتات الخبيثة التي قلعتها الأعاصير ليست قليلة.

وبما أن الآيات السابقة جسدت حال الإيمان والكفر، الطيب والخبيث من خلال مثالين صريحين، فإن الآية الأخيرة تبحث نتيجة عملهم ومصيرهم النهائي، يقول تعالى:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[1].

لأن إيمانهم لم يكن إيمانا سطحيا وشخصيتهم لم تكن كاذبة ومتلونة، بل كانت شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وبما أن ليس هناك من لا يحتاج إلى اللطف الإلهي، وبعبارة أخرى: كل المواهب تعود لذاته المقدسة، فالمؤمنون المخلصون الثابتون بالاستناد إلى اللطف الإلهي يستقيمون كالجبال في مقابل أية حادثة، والله تعالى يحفظهم

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

من الزلات التي تعتريهم في حياتهم، ومن الشياطين الذين يوسوسون لهم زخرف الحياة ليزلوهم عن الطريق.

وكذلك فالله تعالى يثبتهم أمام القوى الجهنمية للظالمين القساة، الذين يسعون لإخضاعهم بأنواع التهديد والوعيد.

ومن الطريف أن هذا الحفظ والتثبت الإلهيين يستوعبان كل حياتهم في هذه الدنيا وفي الآخرة، فهنا يثبتون بالإيمان ويبرؤون من الذنوب، وهناك يخلدون في النعيم المقيم.

ثم يشير إلى النقطة المقابلة لهم ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء.

قلنا مرارا: إن الهداية والضلال التي تنسب إلى الله عز وجل لا تتحققان إلا بأن يرفع الإنسان القدم الأولى لها، فالله عز وجل عندما يسلب المواهب والنعم من العبد أو يمنحها له يكون ذلك بسبب استحقاقه أو عدم استحقاقه.

ووصف (الظالمين) بعد جملة (يضل الله) أفضل قرينة لهذا الموضوع، يعني ما دام الإنسان غير ملوث بالظلم لا تسلب الهداية منه، أما إذا تلوث بالظلم وعمت وجوده الذنوب، فسوف يخرج من قلبه نور الهداية الإلهية، وهذه عين الإرادة الحرة، وبالطبع إذا غير مسيره بسرعة فطريق النجاة مفتوح له، ولكن إذا استحكم الذنب فإن طريق العودة يكون صعبا جدا.

ـ هل القصد من الآخرة في الآية هو القبر؟

نقرأ في روايات متعددة أن الله يثبت الإنسان على خط الإيمان عندما يواجه أسئلة الملائكة في القبر، وهذا معنى الآية:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾.

ولقد وردت كلمة (القبر) بصراحة في بعض هذه الروايات.

ولكن هناك رواية شريفة عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته عن يمينه وعن شماله ليضله عما هو عليه، فيأبى الله عز وجل له ذلك، وهو قول الله عز وجل:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[1]»[2].

وأكثر المفسرين يميلون إلى هذا التفسير، طبقا لما نقله المفسر الكبير العلامة الطبرسي في مجمع البيان ولعل ذلك يعود إلى أن الآخرة ليست محلا للأعمال ولا للانحراف، بل هي محل الحصول على النتائج فحسب ولكن عند وقوع الموت وحتى في البرزخ (الذي هو عالم بين الدنيا والآخرة) قد تحصل بعض الهفوات، فهنا يكون اللطف الإلهي عاملا في حفظ الإنسان وثباته.

- دور الثبات والاستقامة

من بين جميع الصفات التي ذكرها الآيات أعلاه للشجرة الطيبة والخبيثة، وردت مسألة الثبات وعدم الثبات بشكل أكثر، وحتى في بيان ثمار هذه الشجرة يقول تعالى: يثبت الله الذين آمنوا، وبهذا الترتيب تتضح لنا أهمية الثبات ودوره في حياة الإنسان.

فكثير من الأشخاص من ذوي القابليات المتوسطة، إلا أنهم ينالون انتصارات كبيرة في حياتهم، ثم إذا حققنا في الأمر لم نجد دليلا إلا الثبات والاستقامة لديهم.

ومن جهة اجتماعية لا يتحقق أي تقدم في البرامج إلا في ظل الثبات، ولهذا السبب نجد المخربين يسعون في تدمير الاستقامة، ولا نعرف المؤمنين الصادقين إلا من خلال استقامتهم وثباتهم في مقابل الحوادث الصعبة.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج١، ص١٣٤، ٣٦٠.

الشجرة الطيبة والخبيثة في الروايات الإسلامية

كما قلنا أعلاه فإن كلمة (الطيبة) و(الخبيثة) التي شبهت الشجرتان بها، لها مفهوم واسع بحيث تشمل كل شخص وبرنامج ومبدأ وفكر وعلم وقول وعمل، ولكن وردت في بعض الروايات في موارد خاصة ولكن لا تنحصر بها.

ومن جملتها ما ورد في الكافي (عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية:

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[1].

قال:

«رسول الله أصلها وأمير المؤمنين فرعها، والأئمة من ذريتهما أغصانها، وعلم الأئمة ثمرها، وشيعتهم المؤمنون ورقها، هل فيها فضل؟

(أي هل يبقى شيء) قال قلت: لا والله، قال:

والله إن المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها، وان المؤمن ليموت فتسقط ورقة منها»)[2].

إمامة المعصوم وطاعته نجاة

العصمة: هي التنزه عن الوقوع في المعصية خطأ ونسياناً ولهواً، وهي أيضا عدم النسيان والخطأ والسهو فيما يخص حجية المعصوم على الخلق.

المعصوم: هو الشخص الذي طهر باطنه وظاهره وقوله وفعله وهو أعم من النبي والإمام.

الإمامة: هي الخلافة الإلهية التي يجعلها الله تعالى لعباده الذين اصطفى.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٦.

(٢) الأمثل في تفسير القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج٧، ص٥٠٢ إلى ٥٠٩.

فالإمامة كما ورد في كثير من الروايات هي نظام الأمة وزمام الدين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين ونظام المسلمين، فلابد لمن اتصف بها أن يكون مصداقاً لها ولابد أن يتصف بصفات تؤهله أن يكون خليفة الله تعالى في الأرض وحجته على خلقه وإلاّ لساخت الأرض بأهلها ولاضطربت الحياة وفسد الناس واستولى الباطل على الحق وعمت الفوضى وانتشر الضلال وساد الجهل وهلك الحرث والنسل، ولهذا جاءت الأحاديث الشريفة تبين لنا صفات الإمام ومؤهلاته.

١ ـ الإمام لابد أن يكون أعلم أهل زمانه ولابد أن يتصف بالصبر كما ورد في الحديث:

قال الإمام علي عليه السلام:

«لاَ يَحْمِلُ هذا الأمْرَ إلاّ أهْلُ الصَّبْرِ وَالبَصَرِ والعِلْمِ بِمَواقِعِ الأمْرِ»[١].

٢ ـ لابد أن يكون حاذقاً في فن إدارة البلاد وسياسة العباد كما جاء ذلك في قول الإمام الرضا عليه السلام في صفة الإمام:

«مُضْطَلَعُ بالإمامَةِ، عالِمٌ بالسِياسَةِ»[٢].

٣ ـ لابد أن يكون ذا بصيرة وذا لسان بليغ وقلب شجاع مقدام وهذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«يَحْتاجُ الإمامُ إلى قَلْبٍ عَقُولٍ، ولِسانٍ قَوولٍ، وَجَنانٍ على إقامَةِ الحَقِّ صَوُولٍ»[٣].

٤ ـ لابد أن يكون منزهاً عن المداهنة والتملق والجشع كما أكد على ذلك الإمام علي عليه السلام بقوله:

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧، ص٣٦. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٧، ح٨٤٦.

(٢) الكافي: ج١، ص٢٠٢، ح١. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٧، ح٨٤٧.

(٣) غرر الحكم: ١١٠١٠. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٧، ح٨٤٨.

«لا يُقيمُ أمْرَ اللهِ سُبْحانَهُ إلاّ مَنْ لاَ يُصانِعُ وَلاَ يُضارِعُ وَلاَ يَتَّبعُ المَطامِعَ»[1].

٥ ـ لابد أن يكون فوق الشبهات وفوق الاتهامات وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«إنَّ الإمامَ لاَ يَسْتَطيعُ أحَدُ أنْ يَطْعَنَ عَلَيْهِ في فَمٍ ولاَ بَطْنٍ وَلاَ فَرْجٍ، فَيُقالَ: كَذّابٌ، وَيَأْكُلُ أمْوالَ النّاسِ، وما أشْبَهَ هذا»[2].

٦ ـ لابد أن يكون منحدراً من أصلاب طاهرة وأرحام مطهرة، وأن يتصف بالجد والوقار وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام بقوله في تبيين علامة الإمام:

«طَهارَةُ الوِلادَةِ وَحُسْنُ المَنْشأ، وَلاَ يَلْهو، وَلاَ يَلْعَبُ»[3].

٧ ـ لابد أن يتخذ القرآن دستوراً والعدل سيرة ولا تأخذه في الله لومة لائم وهو ما أرشدنا إليه الإمام الحسين عليه السلام في كتابه إلى أهل الكوفة بقوله:

«فَلَعَمْري، ما الإمامُ إلاّ الحاكِمُ بِالكِتابِ، القائِمُ بِالقِسْطِ، الدّائِنُ بِدينِ الحَقِّ، الحابِسُ نَفْسَهُ عَلى ذاتِ اللهِ»[4].

٨ ـ لابد أن يكون أفضل أهل زمانه في الصفات الكمالية وهو ما صرح به الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«لِلْإمامِ عَلاماتٌ: (أنْ) يَكونَ أعْلَمَ النّاسِ، وأحْكَمَ النّاسِ، وأتْقى النّاسِ، وأحْلَمَ النّاسِ، وأشْجَعَ النّاسِ، وأسْخى النّاسِ، وأعْبَدَ النّاسِ»[5].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨، ص٢٢٠. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٧، ح٨٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨، ص٢٧٤. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٧، ح٨٥٢.

(٣) الكافي: ج١، ص٢٨٤، ح٣. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٧ ـ ١٥٨، ح٨٥٣.

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢، ص٣٩. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨، ح٨٥٦.

(٥) معاني الأخبار: ص١٠٢، ح٤. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨، ح٨٥٧.

٩ـ لابد أن يكون معصوماً من الخطأ والسهو والنسيان كما أكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«الإمامُ المُسْتَحِقُ للإمامَةِ لَهُ عَلاماتٌ، فَمِنْها: أنْ يُعْلَمَ أنَّهُ مَعْصومٌ مِنَ الذُنُوبِ كُلِّها صَغيرِها وكَبيرِها، لاَ يَزِلُّ في الفُتْيا، ولا يُخْطِئُ في الجَوابِ، وَلاَ يَسْهو وَلاَ يَنْسى، وَلاَ يَلْهو بِشَيءٍ مِنْ أمْرِ الدُّنْيا».

والثّاني: أنْ يَكُونَ أعْلَمَ النّاسِ بِحَلالِ اللهِ وَحَرامِهِ وضُرُوبِ أحْكامِهِ وأمْرِهِ ونَهْيِهِ وَجَميعِ ما يَحْتاجُ إلَيهِ النّاسُ، (فَيَحْتاجُ النّاسُ إلَيْهِ) وَيَسْتَغْني عَنْهُمْ»[١].

وفي قول آخر:

«كِبارُ حُدودِ وَلايَةِ الإمامِ المَفْروضِ الطّاعَةِ أنْ يُعْلَمَ أنَّهُ مَعْصومٌ مِنَ الخَطأ والزَّلَلِ والعَمْدِ، ومِنَ الذُنوبِ كُلِّها صَغيرِها وكَبيرِها، لا يَزِلُّ ولا يُخْطِئُ، ولاَ يَلْهو بِشَيءٍ مِنَ الأمورِ المُوبِقَةِ للدِّينِ، ولا بِشَيءٍ مِنَ المَلاهي، وأنَّهُ أعْلَمُ النّاسِ بِحَلالِ اللهِ وَحَرامِهِ، وفَرائِضِهِ وسُنَنِهِ وأحْكامِهِ، مُسْتَغْنٍ عَنْ جَميعِ العالَمِ، وغَيْرُهُ مُحْتاجٌ إلَيْهِ، وأنَّهُ أسْخى النّاسِ وأشْجَعُ النّاسِ»[٢].

١٠ـ أن يعيش الإمام وسط الناس مواسياً لهم، رحيماً بهم، قدوة يحتذي به الفقراء وهذا ما ورد في الأحاديث الشريفة عن أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«ثَلاثَةٌ مَنْ كُنَّ فيهِ مِنَ الأئِمَّةِ صَلُحَ أنْ يَكونَ إماماً اضْطَلَعَ بِأمانَتِهِ: إذا عَدَلَ في حُكْمِهِ، وَلَمْ يَحْتَجِبْ دُونَ رَعِيَّتِهِ، وَأقامَ كِتابَ اللهِ تَعالى في القَريبِ، وَالبَعيدِ»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥، ص١٦٤. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨ ـ ١٥٩، ح٨٦١.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٨، ص٣٨٩، ح٣٩. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٩، ح٨٦٢.

(٣) كنز العمال: ١٤٣١٥. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨، ح٨٥٥.

وعن الإمام الباقر عليه السلام:

«وحسن الخلافة على من وليَ حتى يكون له كالوالد الرحيم»[1].

وما يؤكد على ضرورة أن يكون للفقراء قدوة قول أمير المؤمنين عليه السلام:

« هَجَمَ بِهِمُ العِلْمُ عَلى حَقيقَةِ البَصيرَةِ، وَباشَروا رُوحَ اليَقينِ، واستلانوا ما استوعره المترفون... أولئك خلفاء الله في أرضه»[2].

بعد معرفة هذه الصفات الكمالية للمعصوم صار لابد لنا أن ننظر بعين البصيرة إلى من اتصف بهذه الصفات لنختاره إماماً لنا كي نصل إلى غايتنا وهي النجاة في الدنيا والآخرة، وهذا ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول:

«إنَّ أَئِمَّتَكُمْ وَفْدُكُمْ إلى اللهِ، فَانْظُروا مَنْ تُوفِدونَ في دِينِكُمْ وَصَلاتِكُم»[3].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إنَّ أَئِمَّتَكُمْ قادَتُكُمْ إلى اللهِ، فَانْظُروا بِمَنْ تَقْتَدونَ في دِينِكُمْ وَصَلاتِكُمْ»[4].

ولا شك أن إمام الدين أعم من إمام الصلاة وغيرها، وبخلاف ذلك سننال سخطا من الله تعالى وعذابا أليما فلذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: لأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ فِي الإسْلامِ أطاعَتْ إماماً جائِراً لَيْسَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإنْ كانَتِ الرَّعِيَّةُ في أعْمالِها بَرَّةً تَقِيَّةً»[5].

---

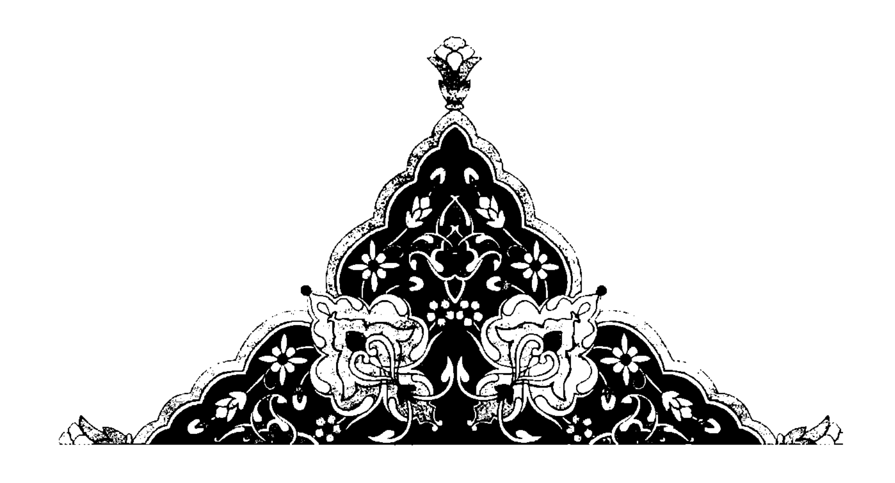
(١) الخصال للشيخ الصدوق: ص١١٦، ح٩٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨، ص٣٤٧. ميزان الحكمة: ج١، ص١٥٨، ح٨٦٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١١، ص٨٨. ميزان الحكمة: ج١، ص١٦٢، ح٨٧٨.

(٤) بحار الأنوار: ج٢٣، ص٣٠، ح٤٦. ميزان الحكمة: ج١، ص١٦٢، ح٨٧٩.

(٥) بحار الأنوار: ج٢٥، ص١١٠، ح١. ميزان الحكمة: ج١، ص١٦٢، ح٨٨٢.



الخطبة الرابعة عشرة

وفيها يُذكّر الناس بما كتبوا إليه

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

نص الخطبة

«أيُها النّاسُ، إنها مَعْذِرَةٌ إلى الله عَزّ وَجَلّ وَإلَيْكُمْ؛ إنّي لَمْ آتِكُمْ حَتّى أتتني كُتُبُكُمْ وَقَدِمَتْ عَلَيّ رُسُلُكُمْ أنْ أقْدِمْ عَلَيْنا، فإنّه لَيْسَ لَنا إمامٌ لَعَلّ الله يَجْمَعَنا بِكَ عَلى الهُدَى، فَإنْ كُنْتُمْ عَلَى ذلِكَ فَقَدْ جِئْتُكُمْ، فَإنْ تَعْطُوني ما أطمَئِنُّ إلَيْهِ مِنْ عُهُودِكُمْ وَمَواثيقِكُمْ أقْدِمْ مِصْرَكُمْ، وَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمي كارِهينَ انصرفْتُ عَنْكُمْ إلى المَكانِ الّذي أقْبَلْتُ مِنْهُ إلَيْكُمْ».

المعنى العام

خاطب الإمام عليه السلام الناس بأن مجيئه إليهم بناء على طلبهم، ولهذا أراد أن يلقي الحجة عليهم ويرفع اللوم عن نفسه أمام الله تعالى وأمامهم، فذكرهم أنه لم يجئ إلا بعد أن جاءت رسائلهم ووصلت إليه رسلهم، وكان مضمون هذه الرسائل أن أقبل علينا، فإنه ليس لنا رئيس أو خليفة أو قائد غيرك، فنرجو من الله تعالى أن يضمنا إليك على الرشد والإيمان والاستقامة فإن ثبتم على ذلك سأقدم إليكم، وإن تمنحوني ما تسكن إليه نفسي من التزاماتكم وحفظكم لاتفاقاتكم أحضر إلى ولايتكم ومدينتكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لمجيئي باغضين ذهبت عنكم إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى المكان الذي أتيت منه إليكم.

إلقاء الحجة

ينطلق الإمام الحسين عليه السلام في بيان سبب قدومه إلى العراق من كونه حجة الله على العباد وخليفته في الأرض، فألقى على سامعيه الحجة لكي لا تكون لأحد حجة عليه ولكي لا يقع الناس في اللبس والطمس للحقائق الذي مارسه الأمويون وأتباعهم من نشر الإشاعات بين الناس وإخفاء الحقيقة كقولهم: إن الإمام الحسين عليه السلام جاء إلى العراق طالبا للحكم وراغبا في السلطة، فهو بذلك يطلب الدنيا ويحرص عليها، وكقولهم: إن الإمام الحسين عليه السلام شق عصا الأمة، وأراد الفرقة دون سبب وجيه أو تبرير مقنع، فأعلن لهم عن سبب قدومه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أراد الإمام الحسين عليه السلام بهذا الطرح أن يسد الباب على من يدعي رفض الظلم ويرغب في محاربته، لو وجد القائد الذي ينشر راية الحق ويتصدى للظلم والظالمين، فوطن نفسه وبذل مهجته وأعلن حربه ضد الظالمين بنصره للمظلومين، ومن جهة ثالثة عمل الإمام بتكليفه الشرعي الذي يراه واجبا، لاسيما بعد أن استصرخته الأمة، واستغاثت به، ودعته لذلك فخرج ملبيا دعوة الحق التي دعا إليها الله سبحانه في كتابه الكريم كما في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، ألآية: ٧٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٩.

وغيرهما من الآيات الكريمة التي تحث على دفع الظلم وبسط العدل ونصرة المظلومين كقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

فبخروجه على الظالمين وتلبيته لدعوة المظلومين ألقى الحجة على كل ذي لب وبصيرة، وامتثل لقول أبيه أمير المؤمنين عليه السلام إذ يقول:

«وَلَعَمْرِي، ما عَلَيَّ مِنْ قِتالِ مَنْ خالَفَ الحَقَّ وخابَطَ الغَيَّ مِنْ إدهانٍ وَلاَ إيْهانٍ، فَاتَّقوا اللهَ عِبادَ اللهِ، وفِرّوا إلى اللهِ مِنَ اللهِ، وامْضوا في الّذي نَهَجَهُ لَكُمْ، وَقوموا بِما عَصبَهُ بِكُمْ، فَعليٌّ ضامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلاً إن لَمْ تُمْنَحُوهُ عاجِلاً»[3].

ـ هل يجوز للإمام الرجوع؟

ورد عنه عليه السلام في خطبته قوله: (فَإنَ كُنْتُمْ عَلَى ذلِكَ فَقَدْ جِئْتُكُم، فَإنْ تَعْطُونِي ما أطمَئِنُّ إلَيْهِ مِنْ عُهُودِكُمْ ومواثيقكم أقْدِمْ مِصْرَكُمْ، وَإنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَكُنْتُمْ لِمَقْدَمِي كارِهِينَ انْصرفْتُ عَنْكُمْ إلى المَكانِ الَّذي أقْبَلْتُ مِنْهُ إلَيْكُمْ).

عند التأمل في هذا المقطع من الخطبة المباركة يظهر لنا أن الإمام الحسين عليه السلام يشير إلى إمكان تبديل موقفه والرجوع إلى بلده وكأنّ شيئا لم يكن، فتقع في قلب أهل الجهل والتعصب أسئلة كثيرة:

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢٤. ميزان الحكمة: ج٢، ص٧٤٤، ح٣٤٧٠.

١ ـ هل يصح في حق إمام معصوم أن يدخل مدخلا دون التأكد من سلامته وعواقبه، فيسأل الناس بعد أن طوى مراحل كثيرة في مسيرته ووصل ما وصل إليه الآن، ألا ينبغي أن يتأكد من ذلك قبل قدومه؟

٢ـ ألم يكن خروج الإمام عليه السلام ضد الظالمين ثورة لا يصح التراجع عنها؟

٣ـ هل يصح للإمام عليه السلام أن يضع قراراته المصيرية بين أيدي الناس، إما أن يقدم أو يرجع؟

٤ ـ إذا كان خروج الإمام عليه السلام ضد الظالمين تكليفا شرعيا فهل يجوز له ترك التكليف؟

٥ ـ إذا رجع الإمام عليه السلام عن موقفه فلا ضير عليه من قبل السلطة الحاكمة؛ لما يتمتع به من منزلة عظيمة في الأمة تمنحه الحصانة التامة، ولكن ما هو مصير من خرج مع الإمام عليه السلام؟ ألم يقع في حرج وخوف؟

٦ـ ألا يَعُدّ هذا التراجع خذلانا للحق وللمظلومين؟

٧ـ ألا يَعُدّ هذا التراجع تأكيدا على حب السلامة والنجاة وهذا بدوره يعد حرصا على الدنيا؟

٨ ـ ألا يَعُدّ هذا التراجع تأكيدا لمدعى من يتهم الإمام بحب السلطة والحكم، وليس إقامة العدل والاصلاح كما هو شعار الإمام عليه السلام؟

ولعل هناك أسئلة أخرى تجول في خواطر الآخرين، لاسيما المشككين والنواصب والجاهلين بمقام الإمامة.

ولكي يتضح الجواب على هذه الأسئلة وغيرها نورد بعض الالتفاتات نلفت إليها نظر المنصفين:

١ ـ إن الإمام الحسين عليه السلام إمام معصوم بنص آية التطهير وآيات أخر كآية

المودة وغيرها.

٢ـ إن الإمام الحسين عليه السلام إمام معصوم بنص حديث الثقلين وأحاديث أخرى كحديث الإمامة وحديث السيادة في الجنة وغيرها، وهذا يؤكد أن الإمام عليه السلام إنما ألقى هذا الخطاب لحكمة هو أعرف بها فضلا عن إلقاء الحجة عليهم.

٣ـ اتضح من سيرة الإمام الحسين عليه السلام أنه حكيم في فعله وقوله وقراراته فلا يقدم على أمر بهذه الخطورة دون حكمة أو هدف سامٍ.

٤ـ لم يكن علم الإمام الحسين عليه السلام بحقيقة العواقب ودرايته بمصيره مانعا عن إلقاء الحجة على هؤلاء القوم لكي لا يكون لأحد عليه حجة.

٥ ـ نعتقد أن الإمام المعصوم لا يقوم ولا يقعد إلاّ بحساب، فيلزم من هذا أنه عليه السلام ما قال ذلك إلاّ وهو يعلم أن هذا القول لا يخرج عن مرضاة الله تعالى، ولا يترتب عليه مفسدة أو خلل أو نقص، فلذا لا يمكن أن ترد هذه التشكيكات حول حكمة الإمام وصحة قوله ودقة موقفه.

٦ ـ من يقف على سيرة الإمام الحسين عليه السلام وحركته من المدينة إلى العراق يتضح له موقف الإمام الحاسم الذي لا تردد فيه، فحينئذ يفسر قوله هذا بأنه إلقاء الحجة عليهم من خلال دعوتهم إلى نصرته أو تركهم إياه يرجع إلى مكانه.



الخطبة الخامسة عشرة

وفيها يُقرّع أهل الكوفة[1]

(١) الكوفة: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسمّيها قوم خدّ العذراء. معجم البلدان: ٤، ٤٩٠.

نص الخطبة

«أمّا بَعْدُ فتَبّاً لكُمُ أيّتُها الجماعَةُ وتَرَحاً، حينَ استَصْرَخْتُمونا وَلِهِينَ، فأصرَخْناكم مُوجِفِين[1] سَلَلتُم عَلَيْنا سَيْفاً كان في أيْمانِنا، وحَشَشْتُم عَلَيْنا ناراً اقْتَدَحْناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصبَحْتُمْ إلباً[2] على أوْليائِكُمْ وَيَداً لأعدائِكُمْ، بِغَيرِ عَدْلٍ أفشَوْهُ فيكُمْ، وَلا أمَلٍ أصْبَحَ لكُمْ فيهم، ومِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كانَ مِنّا، ولا رَأيٍ تَفَيَّلَ[3] مِنّا. فَهَلّا - لَكُمُ الوَيْلاتُ - تَرَكْتُمُونا وَالسَّيفُ مَشيمٌ، وَالجأشُ طامِنٌ، والرّأيُ لَمّا يُسْتَحْصَفْ، ولكِنْ أسْرَعْتُمْ إليها كَتَطائرِ الدَّبى، وَتَهافَتُّمَ عَلَيْها كَتَهافُتِ الفَراشِ[4].

فَسُحْقاً وبُعْداً لِطَواغيتِ الأمّةِ، وَشُذّاذِ الأحزابِ، وَنَبَذَةِ الكِتابِ، وَنَفَثَةِ الشَّيْطانِ، وَمُحَرِّفي الكَلامِ، وَمُطْفِئ السُّنَنِ، ومُلْحِقي العُهّارِ بالنّسَبِ، المُسْتَهْزِئينَ الّذينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ.

---

(١) تبَّ فلان: خسِرَ وهَلَك. وتَرِح يَتْرحُ تَرَحاً: حَزِن وقلّ ضيره. استصرخه: استغاث به، وَلِهَ فلان، يَلِهُ وَلَهاً: اشتدّ حزنُه حتى ذهب عقله، وَجَفَ: أسرع.

(٢) استلّ السيف: انتزعه من غِمْدِه. حشّ النار: جمع لها الوقودَ وحرّكها لتتّقد. قَدَح النارَ من الزّند: أخرجها منه. الإلْبُ: القوم يجتمعون على عداوة إنسان.

(٣) فَيّلَ رأيَهُ: ضعّفَهُ وخطّأه.

(٤) شام السيفَ شَيْماً: سَلّه وأغمده، وهو من الاضداد.

الجأش: النفس أو القلب. طامن: سكن بعد انزعاج ولم يقلق.

استحصف الشيءُ: جاد واستحكم. الدّبى: الجراد قبل أن يطير، والنحلُ.

تهافتِ الفَراشُ: على النور أو في النار. وتهافتَ القومُ: تساقطوا مَوتى. الفراش: جنس حشرات.

أجَلْ وَاللهِ غَدْرٌ فيكم قديمٌ، وقد وَشَجَتْ عَلَيْهِ عُروقُكُمْ، وتأزّرَتْ عَلَيهِ أُصولُكُمْ، فَكنْتم أخبَثَ ثَمَرَةِ شَجَرٍ للنّاظِرِ وأَكْلَةٍ لِلغاصِبِ، ألا فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى النّاكِثِينَ الذّين يَنقُضُونَ الأيمانَ بَعدَ تَوكيدِها، وقَدْ جَعَلُوا اللهَ عَلَيْهِمْ كَفيلاً.

ألا وإنَّ الدَّعيَّ ابنَ الدَّعيْ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السلَّةِ وَالذّلَّةِ وَهَيْهاتَ مِنّا الذلَّةُ[1]، يأبى اللهُ ذلِكَ وَرَسُولُهُ والمؤمِنُونَ وحُجُورٌ طابَتْ وَأنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أبيَّةٌ. أنْ نُؤثِرَ طاعَةَ اللِئام عَلى مَصارِعِ الكِرام.

ألا وإنّي زاحِفٌ إلَيْكم بِهذِهِ الأُسرَةِ على كَلَبِ العَدُوِّ وقِلَّةِ العَدَدِ وخُذلانِ النّاصِرِ.

أمَا وَاللهِ لا تَلْبَثُونَ بَعْدَها إلاّ كَرَيْثَما يُرْكَبُ الفَرَسُ حَتّى تَدورَ بِكُمْ دَوْرَ الرَّحى، وَتَقْلَقَ بِكُمْ قَلَقَ المِحْوَرِ، عَهْدٌ عَهِدَهُ إلَيَّ أبي عَن جَدّي. فأجْمِعُوا أمرَكُمْ وَشُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كيدُونِ فلا تُنظِرونَ، إنّي تَوَكَّلْتُ عَلى اللهِ رَبّي وَرَبِّكُمْ، ما مِنْ دابَّةٍ إلاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إنَّ رَبّي عَلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ».

المعنى العام

«أمّا بَعْدُ فَتَبّاً لكُمْ أيّتُها الجَماعَةُ وتَرَحاً، حينَ استَصْرَخْتُمونا وَلِهِينَ، فَأصرَخْناكم مُوجِفِينَ سَلَلْتُم عَلَيْنا سَيْفاً كانَ في أيمانِنا، وحَشَشْتُمْ عَلَيْنا ناراً اقْتَدَحْناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصْبَحْتُمْ إلباً على أوْليائِكُمْ وَيَداً لأعضادِكُمْ، بِغَيرِ عَدْلٍ أفشَوْهُ فيكُمْ، وَلا أمَلٍ أصبَحَ لكُمْ فيهم، ومِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كانَ مِنّا، ولا رَأيٍ تَفَيَّلَ مِنّا، فَهَلاّ ـ لَكُمُ الوَيْلاتُ ـ تَرَكْتُمُونا وَالسَّيفُ مَشيمٌ، وَالجَأشُ طامِنٌ،

(١) السَلَّةُ: المرّة من السَلّ، يقال: أتيناهم عند السَلَّة: أي عند استلال السيوف، والمراد: الحرب. والذّلّةُ: الانقياد والخضوع، والمراد البيعة ليزيد.

والرَّأيُ لَمَّا يُسْتَحْصَفْ. ولكِنِ أسْرَعْتُمْ إليها كَتَطاير الدَّبى، وَتَهافَتُّمْ عَلَيْها كَتَهافِتْ الفَراشِ).

أما بعد، فهلاكا وخسرانا لكم أيتها الطائفة من الناس وحزنا، في الوقت الذي استغثتم بنا وأنتم على حالة من الحزن الشديد كأنما ذهبت عقولكم، فأغثناكم مسرعين، انتزعتم السيف من غمده علينا وهو كان لنا، وحركتم علينا النار وجمعتم لها وقودها وجعلتموها علينا ولقد أخرجناها لعدونا وعدوكم، فأصبحتم بعملكم هذا أعداء مجتمعين على أنصاركم وأحبابكم ومن هو مولاكم وقوة لأعدائكم بغير قسط وإنصاف نثروه بينكم، ولا رجاء لكم فيهم، ومن غير تغير أو تحول كان منا ولا رأي ضعيف أو خطأ منا، فالآن لكم العذاب تركتمونا والسيف مسلول علينا والقلب أو النفس ساكن ومستقر، والرأي لما يجد ويستحكم، ولكن عجلتم إلى الفتنة كما تتحرك مجاميع الجراد الصغير، وتساقطتم عليها كتهافت الفراش على النور.

فهلاكا وفناءً لظلمة الأمة ومنحرفيها، وغرباء الناس الذين مع قوم ليس منهم، وتاركي القرآن الكريم وراء ظهورهم ولم يعملوا به ونفخة الشيطان، ومغيري الكلم عن مواقعه، والذين أخمدوا نور الشرائع، والذين ألحقوا الفجار وأبناء الزنى بالنسب، الساخرين الذين جعلوا القرآن، أجزاء متفرقة وكذبوا ببعضه.

(أجَلْ وَالله غَدْرٌ فيكُمْ قَديمٌ، وقد وَشَجَتْ عَلَيْهِ عُروقُكُمْ، وَتَأزَّرَتْ عَلَيهِ أُصولُكُمْ، فَكُنْتُم أخبَثَ ثَمَرَةِ شَجَرٍ لِلنّاظِرِ وَأَكْلَةٍ لِلغاصِبِ، ألا فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى النّاكِثينَ الذّينَ يَنقُضُونَ الأيمانَ بَعدَ تَوْكيدِها، وقَدْ جَعَلُوا اللهَ عَلَيْهِمْ كَفيلا).

يؤكد الإمام عليه السلام بالقسم أن فيكم عدم وفاء ونقض عهد قديمين، وقد تشابكت والتفت عليه جذوركم، وتعاونت وأحاطت به أنسابكم وأسلافكم، فكنتم

أردأ ما حملته الأشجار للناظر إليها فلا تسرّه وأخبث لقمة للظالم القاهر الذي اخذ ما ليس له، فإننا ندعو الله تعالى أن يطردكم من رحمته أيها الناقضون للعهد والحانثون باليمين الذي أدوه، والمخالفون الله تعالى الذين جعلوه عليهم ظامنا.

(ألا وانَّ الدَّعيَّ ابنَ الدَّعيْ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَين: بَيْنَ السلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَهَيْهاتَ مِنّا الذِلَّةُ، يأبى اللهُ ذلِكَ ورَسُولُهُ والمؤمِنُونَ وحُجُورُ طابَتْ وَأُنوفُ حَمِيَّةُ ونُفُوسُ أبيَّةُ، أنْ نُؤْثِرَ طاعَةَ اللِئامِ عَلى مَصارِعِ الكِرامِ).

إن المتهم في نسبه والمنسوب إلى غير أبيه قد أثبت بين اثنتين: بين سل السيوف وامتشاقها وبين الهوان والخضوع والضعف والمراد بيعة يزيد، ومحال منا الخضوع والهوان يرفض الله تعالى ورسوله والمؤمنون وأحضان حسنت وطابت، وأنوف لا تقبل ولا تحتمل الضيم، ونفوس رافضة كارهة مستعصية على الضيم، أن نفضل الانقياد لغير الكرام وذي الأصول الدنيّة على مقاتل الفضلاء الذين يجودون بالنفس من أجل مبادئهم.

(ألا وانّي زاحِفٌ إلَيْكم بهذهِ الأُسرَةِ على كَلَبِ العَدُوِّ وقِلَّةِ العَدَدِ وخُذلانِ النّاصِرِ).

إنني ماشٍ إليكم بهذه الجماعة التي هي أهلي وعشيرتي على قلتها مع تواثب العدو وجرأته على قتالي وتجاهره بالعداء، ومع نقص العدد وندرته، ومع تخلي المعين عن العون والنصر.

(أمَا وَاللهِ لا تَلْبَثُونَ بَعْدَها إلاّ كَرَيْثَما يُرْكَبُ الفَرَسُ حَتّى تَدُورَ بِكُم دَورَ الرَّحى، وتَقْلَقَ بِكُمْ قَلَقَ المِحْوَرِ، عَهْدُ عَهِدَهُ إلَيَّ أبي عَن جَدِّي، فأجْمِعُوا أمْرَكُمْ وَشُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كيدُونِ فلا تُنظِرونِ، إنّي تَوَكَّلْتُ عَلى اللهِ رَبّي وَرَبِّكُمْ، ما مِنْ دابَّةٍ إلاّ هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إنَّ رَبّي عَلى صِراطٍ مُستَقيمٍ).

يقسم الإمام عليه السلام بالله تعالى فيقول لا تمكثون ولا تقيمون بعد هذه الفعلة السيئة إلا بمقدار ركبة فرس حتى تطوف بكم وتتحرك كحركة الرحى ــ الآلة الحجرية لطحن الحبوب ــ، ويضطرب العود الذي تدور عليه البكرة، وميثاق ووعد وعدني به أبي عن جدي، ضمّوا شركاءكم إليكم واتفقوا على حال وشأن واحد ثم حاربوني فلا تمهلوني أو تؤخروني، إني اعتمدت على الله ربي وربكم، ما من متحركة على الأرض إلا هو الله تعالى ماسكها بمقدمتها أي أن أمرها بيده تعالى إن ربي على طريق لا عوج فيه.

الغدر

الغدر هو نقض العهد وترك الوفاء به[١]، فهو صفة ذميمة لا يتلبس بها إلا لئام الناس، بل هي صفة وحوش الحيوان كالذئاب، وصفة من لا دين له ولا مروءة، وصفة لا يتصف بها إلاّ من كان حقيراً بين الناس ذيلاً لرؤوسهم، عبداً لأحرارهم، فهي من الرذائل المهلكة، والشهوات الخبيثة التي ينفر منها العقلاء عند ذكرها، ويترفع عنها النبلاء عند التمكن منها لما لها من عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا صاحبها مطلوب مكروه وفي الآخرة صاحبها مأخوذ بعذاب الله تعالى، وحيث أن الغدر هو نقض العهد وخلف الوعد نجد أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر يؤكد على قباحة الغدر فيقول:

«ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا لبلادك. ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه. فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن.

(١) المعجم الوسيط: ص٦٤٥.

وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي.

وقد جعل الله عهده وذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه، ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك»[1].

آثار الغدر

مما لا شك فيه أن للذنوب آثاراً في الدنيا وجزاء في الآخرة، فيكون الغادر ممن خسر الدنيا والآخرة معا وهو الخسران الأكبر، ولقد ذكرت الأحاديث الشريفة الآثار القبيحة لهذه الصفة:

١ ـ إذا عمل الإنسان سيئة، تسجل في سجل أعماله سيئة واحدة إلاّ أن بعض الأعمال هي سيئة بذاتها ولها أثر أقبح منها ألا وهو مضاعفة السيئات كصفة الغدر وهذا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج٣، ص١٠٧.

«الغَدْرُ يُضاعِفُ السَّيِّئاتِ»[١].

وعنه عليه السلام:

«الغَدْرُ يُعَظِّمُ الوِزْرَ، وَيُزرِي بِالقَدْرِ»[٢].

٢ـ أن الإنسان الغادر يفقد قيمته عند الناس وتناله المهانة من الله تعالى وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين بقوله:

«جانِبُوا الغَدْرَ؛ فَإنَّهُ مُجانِبُ القُرآنِ»[٣].

وعنه عليه السلام قال:

«إيّاكَ وَالغَدْرَ؛ فَإنَّهُ أقْبَحُ الخِيانَةِ، وَإنَّ الغَدُورَ لَمُهانٌ عِنْدَ اللهِ»[٤].

٣ـ وأرشد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته من خلال وصيته لأمير المؤمنين عليه السلام أن لا تغدر وتنتهك أمان الله تعالى بين عباده، وحثها على أن الصبر في الشدة والبلاء وضيق الأمور خير لها من أن تغدر فتنال العاقبة الوخيمة وهذا ما صرح به في قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي فيما عَهِدَ إليه:

«وَإيّاكَ وَالغَدْرَ بِعَهْدِ اللهِ وَالإخْفارَ لِذِمَّتِهِ؛ فَإنَّ اللهَ جَعَلَ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أماناً أمْضاهُ بَيْنَ العِبادِ بِرَحْمَتِهِ، وَالصَّبْرُ عَلى ضِيقٍ تَرجو انْفِراجَهُ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخافُ أوْزارَهُ وَتَبِعاتِهِ وَسُوءَ عاقِبَتِهِ»[٥].

٤ـ سيقف الناس يوم القيامة بين يدي الحكم العدل ألا وهو الله سبحانه فيحكم بينهم، ويقف الخصم أمام خصمه ويدلي بشهادته ومطالبه فيحكم الله تعالى للمظلوم

---

(١) غرر الحكم: ٦٤٣. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨٠٩.

(٢) غرر الحكم: ٢١٩١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١٠.

(٣) غرر الحكم: ٤٧٤١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١١.

(٤) غرر الحكم: ٢٦٦٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١٢.

(٥) مستدرك الوسائل: ج١١، ص٤٧، ح١٢٣٩٦. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١٦.

على الظالم، ولكن بالنسبة للغادر سيكون الخصم معه ليس المغدور فحسب بل الله تعالى هو الخصم، أي يكون الحكم هو الخصم وهذا من أشد المواقف على الغادر فلذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«قالَ اللهُ تَعالى: ثَلاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ: رَجُلٌ أعْطى بي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ باعَ حُرّاً فَأكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأجَرَ أجِيراً فَاسْتَوفى مِنْهُ العَمَلَ وَلَمْ يُوَفِّهِ أجْرَهُ»[1].

نصائح لابد منها

١ـ رغم قباحة الغدر إلاّ أنه يشتد قباحة عندما يكون مع أصحاب القوة والحكم لما له من آثار وخيمة على الغادر وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«الغَدْرُ بِكُلِّ أحَدٍ قَبيحٌ، وَهُوَ بِذَوِي[2] القُدْرَةِ وَالسُّلْطانِ أقْبَحُ»[3].

٢ـ إذا ائتمنك أخوك سراً لا يحق لك نشره والإعلان به؛ لأن ذلك نوع من أنواع الغدر، وهو الخيانة المقيتة فلذا ورد عن الإمام علي عليه السلام:

«أقْبَحُ الغَدْرِ إذاعَةُ السِّرِّ»[4].

٣ـ الغادر لمهانته على الله تعالى لم يجعل الله تعالى له حرمة، ولم يكن له ذمام ولا يستحق الوفاء رغم أن الوفاء فضيلة ومنقبة لمن تحلى به، بل أن رد غدر الغادر بغدر مثله يعد من الوفاء؛ لأنه من المكر بالماكر وهذا ما يفهم من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«الوَفاءُ لأهلِ الغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللهِ، وَالغَدْرُ بِأهْلِ الغَدْرِ وَفاءٌ عِنْدَ اللهِ»[5].

---

(١) الترغيب والترهيب: ج٤، ص١٠، ح١٩. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨١٧.

(٢) في المصدر (بذو) والصحيح ما أثبتناه كما في بعض النسخ.

(٣) غرر الحكم: ١٨٦٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٧، ح١٤٨١٩.

(٤) غرر الحكم: ٣٠٠٥. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٧، ح١٤٨٢٠.

(٥) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩، ص١٠٢. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٦، ح١٤٨٢١.

٤ـ تحث الأحاديث الشريفة على تسمية الأشياء بأسمائها، كما دعت الناس إلى عدم الاشتباه في تغيير الحقائق، فلذا لا يحق للمؤمن أن يعدّ الغدر سلوكا عقلانيا، وأن لا يسميه ذكاءً وحذاقة، وحثت المؤمن على ذكر الله تعالى والالتزام بأوامره والانتهاء عن تواهيه وإن كان قادراً على فعل الحرام، وبخلاف ذلك يصبح المؤمن فاسقاً لا دين له، وهذا هو مضمون حديث أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيُها النّاسُ، إنَّ الوَفاءَ تَوْأمُ الصِّدقِ، وَلاَ أعْلَمُ جُنَّةً أوْقى مِنْهُ، وَما يَغْدِرُ مَنْ يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ المَرْجِعُ، وَلَقَدْ أصْبَحْنا في زَمانٍ قَدِ اتَّخَذَ أكْثَرُ أهْلِهِ الغَدْرَ كَيْساً، وَنَسَبَهُمْ أهْلُ الجَهْلِ فيهِ إلى حُسْنِ الحِيلَةِ، ما لَهُمْ، قاتَلَهُمُ اللهُ؟! قَدْ يَرَى الحُوَّلُ القُلَّبُ وَجْهَ الحِيلَةِ وَدُونَها مانِعٌ مِنْ أمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُها رَأيَ عَيْنٍ بَعْدَ القُدْرَةِ عَلَيْها، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَها مَنْ لاَ حَرِيجَةَ لَهُ في الدِّينِ»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«وَاللهِ ما مُعاوِيَةُ بِأدْهى مِنّي وَلكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَولاَ كَراهِيَةُ الغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أدْهى النّاسِ، وَلكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٍ، وَكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٍ، وَلِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ، وَاللهِ ما أُسْتَغْفَلُ بِالمَكِيدَةِ، وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ»[2].

٥ـ إياك والفضيحة على رؤوس الأشهاد، فلقد ورد في الأحاديث الشريفة أن أهل الغدر سترفع لهم ألوية يعرفون من خلالها ويفتضحون بين أهل الحشر، فيعرف الغادر ومقدار غدرته وهذا ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة:

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٨، ح١٤٨٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٠. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٠، ص٢١١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٥٨، ح١٤٨٢٣.

«إنَّ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءً يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إذا جَمَعَ اللهُ الأوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ القِيامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ. فَقِيلَ: هذِهِ غَدْرَةُ فُلانِ ابنِ فُلانٍ!»[2].

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ألا إنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ»[3].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يَوْمَ القِيامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ ألا وَلاَ غادِرَ أعْظَمُ غَدْراً مِنْ أميرِ عامَّةٍ»[4].

نسب الدعيّ (عبيد الله بن زياد)

قال الإمام الحسين عليه السلام:

(ألا وإنَّ الدَّعِيَّ ابنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ: بَيْنَ السَلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَهَيْهاتَ مِنّا الذِّلَّةُ[5]، يأبَى اللهُ ذلِكَ ورَسُولُهُ والمؤمِنُونَ وحُجُورٌ طابَتْ وَأنُوفٌ حَمِيَّةٌ ونُفُوسٌ أبيَّةٌ، أنْ نُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَلى مَصارِعِ الكِرامِ).

تنفطر القلوب وتقترح العيون وتتصدع الأصلاب عندما يضطر الكريم إلى مخاطبة اللئام، وتخرج الزفرات حسرة عندما يخاطب العالم جاهلاً لبيان قيمة العلم والعلماء،

---

(١) كنز العمال: ٧٦٨١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٨٥، ح١٤٨٢٥.

(٢) كنز العمال: ٧٦٨٢. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٨٥، ح١٤٨٢٦.

(٣) كنز العمال: ٧٦٨٣. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٨٥، ح١٤٨٢٧.

(٤) كنز العمال: ٧٦٨٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص٢٩٨٥، ح١٤٨٢٨.

(٥) السَّلَّةُ: المرّة من السَّلّ، يقال: أتيناهم عند السَّلَّة: أي عند استلال السيوف، والمراد الحرب. والذِّلّةُ: الانقياد والخضوع، والمراد البيعة ليزيد.

وتكاد السموات أن تقع على الأرض عندما ينزل العالي بالحق لبيان حقه عند الداني المتسافل، أليس من الظلم أن يحكم ابن العاهرة على ابن سيدة نساء العالمين؟ أليس من الجريمة أن يخيّر ابن القذارة ابن الطهارة بين الاستسلام أو القتل؟ أليس من العار على الأمة أن يكون الدعيّ وابن الدعيّ إماماً لها وتترك ابن الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة؟ أليس من السوء أن تلتف الشجرة الخبيثة على الشجرة الطيبة؟ ألم يقل المفسرون أن الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو أمية؟ فكيف هي منزلة اللصيق بهذه الشجرة؟ ولكي نوقف القارئ الكريم على حقيقة قول الإمام الحسين عليه السلام في بيان نسب ابن زياد لابد من معرفة ما ذكره التاريخ وسطره أصحاب التراجم.

ـ صورة عن أبيه زياد

عند الوقوف على جانب من جوانب حياة زياد تجد مسخاً قذراً لا يهمه إلا الدنيا والحكم فيها والتسلط والظهور بمظهر أهل الشرف والرفعة، وما ذلك إلاّ لنقص في شخصه وخسة في باطنه وذلّ يعيشه في نفسه لمعرفته بنفسه الوضيعة التي ولدت من صلب قذر ورحم نجس، ولكي يتضح للقارئ الكريم ما قلناه فليتأمل ما جاء في التاريخ، كتب الرجال، وخير ما يدل على ذلك ما ورد في نهج البلاغة من كتب وجهها أمير المؤمنين عليه السلام إلى زياد يظهر منها قباحة زياد وخروجه على تعليمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهي كما يلي:

نهج البلاغة ـ خطب الإمام علي عليه السلام ـ ج٣ ـ ص١٩ إلى ٢٠

(ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه) وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة وعبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكرمان: (وإني أقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني أنك خنت من في المسلمين شيئا صغيراً أو كبيراً لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الأمر).

(ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضا) (فدع الإسراف مقتصدا، واذكر في اليوم غدا، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين، وتطمع وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة أن يوجب لك ثواب المتصدقين، وإنما المرء مجزي بما أسلف، وقادم على ما قدم، والسلام).

مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ـ الميرجهاني ـ ج٤ ـ ص١١١ إلى ١١٢

قال في المعادن أيضا ص١٩٧ فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام ما عرج (أي زياد بن أبيه) عليه من القسوة والجفوة أخرج إليه سعدا مولاه يحثه على حمل مال البصرة إلى الكوفة فكانت بينه وبين سعد منازعة في ذلك فرجع سعد وشكاه من شنيع ما أتى به هنالك فكتب أمير المؤمنين صلوات الله عليه في ما كتب إليه يلومه على ما جرى لعله يذكر أو يخشى أما بعد فإن سعدا ذكر أنك شتمته ظلما وهددته (هددته) وجبهته تجبرا وتكبرا فما دعاك إلى التكبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه وقد أخبرني أنك تكثر من الألوان المختلفة في الطعام في اليوم الواحد وتدهن كل يوم فما عليك لو صمت لله أياما وتصدقت ببعض ما عندك محتسبا وأكلت طعامك مرارا قفارا، فإن ذلك شعار الصالحين أتطمع وأنت متمرغ في النعيم تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم أن يحسب لك أجر المتصدقين؟! وأخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار وتعمل عمل الخاطئين، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت وعملك أحبطت فتب إلى ربك يصلح لك عملك واقتصد في أمرك وقدم الفضل ليوم حاجتك وأدهن غبا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أدهنوا غبا ولا تدهنوا دفقا.

الغارات ـ إبراهيم بن محمد الثقفي ـ ج٢ ـ ص٩٢٥ إلى ٩٣٣

قصة استلحاق معاوية زيادا قال الرضي ـ رضوان الله عليه ـ في نهج البلاغة في باب المختار من كتبه عليه السلام ما نصه: (ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه: (وقد عرفت أن معاوية كتب إليك يستزل بك، ويستفل غربك، فاحذره فإنما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته، وقد كان من أبي سفيان في زمن عمر بن الخطاب فلتة من حديث النفس، ونزعة من نزعات الشيطان لا يثبت بها نسب، ولا يستحق بها إرث والمتعلق بها كالواغل المدفع والنوط المذبذب).

فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها ورب الكعبة، ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معاوية).

وقال ابن أبي الحديد في شرحه بعد تفسير جملاته ما لفظه: (فأما زياد فهو زياد بن عبيد فمن الناس من يقول عبيد بن فلان وينسبه إلى ثقيف، والأكثرون يقولون: إن عبيدا كان عبدا وإنه بقي إلى أيام زياد فابتاعه وأعتقه، وسنذكر ما ورد في ذلك، ونسبة زياد لغير أبيه لخمول أبيه والدعوة التي استلحق بها، فقيل تارة: زياد بن سمية وهي أمه، وكانت أمة للحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي طبيب العرب وكانت تحت عبيد، وقيل تارة، زياد بن أبيه، وقيل تارة: زياد بن أمه، ولما استلحق قال له أكثر الناس: زياد بن أبي سفيان، لأن الناس مع الملوك الذين هم مظنة الرهبة والرغبة، وليس أتباع الدين بالنسبة إلى أتباع الملوك إلا كالقطرة في البحر المحيط، فأما ما كان يدعى به قبل الاستلحاق فزياد بن عبيد ولا يشك في ذلك أحد.

وروى أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس: أن عمر بعث زياداً في إصلاح فساد واقع

باليمن فلما رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يسمع مثلها وأبو سفيان حاضر وعلي عليه السلام وعمرو بن العاص، فقال عمرو بن العاص: لله أبو هذا الغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: إنه لقرشي وإني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه.

فقال علي عليه السلام:

«ومن هو»؟

قال: أنا.

فقال عليه السلام:

«مهلا يا أبا سفيان».

فقال أبو سفيان:

أما والله لولا خوف شخص ... يراني يا علي من الأعادي

لأظهر أمره صخر بن حرب ... ولم يخف المقالة في زياد

وقد طالت مجاملتي ثقيفا ... وتركي فيهم ثمر الفؤاد

عنى بقوله: (لولا خوف شخص) عمر بن الخطاب.

وروى أحمد بن يحيى البلاذري قال: تكلم زياد وهو غلام حدث بحضرة عمر كلاما أعجب الحاضرين فقال عمرو بن العاص: لله أبوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: أما والله إنه لقرشي ولو عرفته لعرفت أنه خير من أهلك، فقال: ومن أبوه؟، قال: أنا والله وضعته في رحم أمه، فقال: فهلا تستلحقه؟ قال: أخاف هذا العير الجالس أن يخرق علي إهابي.

وروى محمد بن عمر الواقدي قال: قال أبو سفيان وهو جالس عند عمر وعلي

هناك وقد تكلم زياد فأحسن: أبت المناقب إلا أن تظهر في شمائل زياد فقال علي عليه السلام: من أي بني عبد مناف هو؟ قال: ابني.

قال: كيف؟ قال: أتيت أمه في الجاهلية سفاحا، فقال علي عليه السلام:

«مه يا أبا سفيان فإن عمر إلى المساءة سريع».

قال: فعرف زياد ما دار بينهما فكانت في نفسه.

وروى علي بن محمد المدائني قال: لما كان زمن علي عليه السلام ولى زيادا فارس أو بعض أعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا، وجبا خراجها وحماها، وعرف ذلك معاوية فكتب إليه: أما بعد فإنه غرتك قلاع تأوي إليها ليلا كما تأوي الطير إلى وكرها، وأيم الله لولا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك مني ما قال العبد الصالح: فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم (الآية) وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته:

تنسى أباك وقد شالت نعامته   إذ يخطب الناس والوالي لهم عمر

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس وقال: العجب من ابن آكلة ــ الأكباد ورأس النفاق يهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزوج سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب الولاية والمنزلة والإخاء في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

أما والله لو تخطى هؤلاء أجمعين إلي لوجدني أحمر محبا ضرابا بالسيف، ثم كتب إلى علي عليه السلام، وبعث بكتاب ـ معاوية في كتابه، فكتب إليه علي عليه السلام وبعث بكتابه: (أما بعد، فإني قد وليتك ما وليتك وأنا أراك لذلك أهلا، وإنه كانت من أبي سفيان فلتة في أيام عمر من أماني التيه وكذب النفس لم تستوجب بها ميراثا ولم تستحق بها نسبا، وإن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فاحذره، ثم احذره، ثم احذره والسلام).

وروى أبو جعفر محمد بن حبيب قال: كان علي عليه السلام قد ولى زيادا قطعة من أعمال فارس واصطنعه لنفسه، فلما قتل علي عليه السلام بقي زياد في عمله، وخاف معاوية جانبه وعلم صعوبة ناحيته وأشفق من ممالاته الحسن بن علي عليه السلام، فكتب إليه: من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عبيد أما بعد فإنك عبد قد كفرت النعمة واستدعيت النقمة، ولقد كان الشكر أولى بك من الكفر، وإن الشجرة لتضرب بعرقها وتتفرع من أصلها، إنك لا أم لك بل لا أب لك قد هلكت وأهلكت، وظننت أنك تخرج من قبضتي، ولا ينالك سلطاني؟ هيهات ما كل ذي لب يصيب رأيه، ولا كل ذي رأي ينصح في مشورته، أمس عبد واليوم أمير؟..! خطة ما ارتقاها مثلك يا ابن سمية، وإذا أتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة وأسرع الإجابة فإنك إن تفعل فدمك حقنت ونفسك تداركت، وإلا اختطفتك بأضعف ريش، ونلتك بأهون سعي، وأقسم قسما مبرورا أن لا أوتي بك إلا في زمارة، تمشي حافيا من أرض فارس إلى الشام حتى أقيمك في السوق وأبيعك عبدا وأردك إلى حيث كنت فيه وخرجت منه، والسلام.

فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضبا شديدا، وجمع الناس وصعد المنبر فحمد الله ثم قال: ابن آكلة الأكباد، وقاتلة أسد الله، ومظهر الخلاف، ومسر النفاق، ورئيس ـ الأحزاب، ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله كتب إلي يرعد ويبرق عن سحابة جفل لا ماء فيها، وعما قليل تصيرها الرياح قزعا، والذي يدلني على ضعفه تهدده قبل القدرة أفمن إشفاق علي تنذر وتعذر كلا ولكن ذهب إلى غير مذهب، وقعقع لمن روى بين صواعق تهامة، كيف أرهبه؟ وبيني وبينه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن ابن عمه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار، والله لو أذن لي فيه أو ندبني إليه لأرينه الكواكب نهارا ولأسعطنه ماء الخردل دونه، الكلام اليوم والجمع إذا، والمشورة بعد ذلك إن شاء الله.

ثم نزل، وكتب إلى معاوية: أما بعد فقد وصل إلي كتابك يا معاوية وفهمت ما فيه فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب، ويتعلق بأرجل الضفادع طمعا في الحياة، إنما يكفر النعم ويستدعي النقم من حاد الله ورسوله وسعى في الأرض فسادا، فأما سبك لي فلولا حلم ينهاني عنك وخوفي أن أدعى سفيها لاثرت لك مخازي لا يغسلها الماء، وأما تعبيرك لي بسمية فإن كنت ابن سمية فأنت ابن جماعة، وأما زعمك أنك تختطفني بأضعف ريش وتتناولني بأهون سعي فهل رأيت بازيا يفزعه صغير القنابر؟! أم هل سمعت بذئب أكله خروف؟! فامض الآن لطيتك واجتهد جهدك فلست أنزل إلا بحيث تكره، ولا أجتهد إلا فيما يسوءك، وستعلم أينا الخاضع لصاحبه: الطالع إليه، والسلام.

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه وأحزنه، وبعث إلى المغيرة بن شعبة فخلا به وقال: يا مغيرة إني أريد مشاورتك في أمر أهمني فانصحني فيه وأشر علي برأي المجتهد، وكن لي أكن لك، فقد خصصتك بسري وآثرتك على ولدي، قال المغيرة: فما ذاك؟ والله لتجدني في طاعتك أمضى من الماء في الحدود من ذي الرونق في كف البطل الشجاع.

قال: يا مغيرة إن زيادا قد أقام بفارس يكش لنا كشيش الأفاعي، وهو رجل ثاقب الرأي ماضي العزيمة جوال الفكر مصيب إذا رمى، وقد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حيا، وأخشى ممالاته حسنا فكيف السبيل إليه؟ وما الحيلة في إصلاح رأيه؟ ـ قال المغيرة: أنا له إن لم أمت، إن زيادا رجل يحب الشرف والذكر وصعود المنابر فلو لاطفته المسألة وألنت له الكتاب لكان لك أميل وبك أوثق، فاكتب إليه وأنا الرسول.

فكتب معاوية إليه: من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي

سفيان: أما بعد فإن المرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب وإنك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو، وحملك سوء ظنك بي وبغضك لي على أن عققت قرابتي وقطعت رحمي وبتت نسبي وحرمتي حتى كأنك لست أخي وليس صخر بن حرب أباك وأبي، وشتان ما بيني وبينك أطلب بدم ابن أبي العاص وأنت تقاتلني، ولكن أدركك عرق الرخاوة من قبل النساء.

فكنت كتاركة بيضها بالعراء ... وملحفة بيض أخرى جناحا

وقد رأيت أن أعطف عليك ولا أؤاخذك بسوء سعيك وأن أصل رحمك، وأبتغي الثواب من أمرك.

فاعلم أبا المغيرة أنك لو خضت البحر في طاعة القوم فتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم إلا بعدا فإن بني عبد شمس أبغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع وقد أوثق للذبح، فأرجع رحمك الله إلى أصلك واتصل بقومك ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره، فقد أصبحت ضال النسب، ولعمري ما فعل بك ذلك إلا اللجاج، فدعه عنك فقد أصبحت على بينة من أمرك ووضوح من حجتك، فإن أحببت جانبي ووثقت بي فإمرة بإمرة، وإن كرهت جانبي ولم تثق بقولي ففعل جميل لا علي ولا لي والسلام.

فرحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس فلما رآه زياد قربه وأدناه ولطف به فدفع إليه الكتاب فجعل يتأمله ويضحك، فلما فرغ من قراءته وضعه تحت قدمه، ثم قال: حسبك يا مغيرة فإني أطلع على ما في ضميرك وقد قدمت من سفرة بعيدة فقم وأرح ركابك، قال: أجل فدع عنك اللجاج يرحمك الله وارجع إلى قومك وصلْ أخاك وانظر لنفسك ولا تقطع رحمك، قال زياد: إني رجل صاحب أناة ولي في أمري روية فلا تعجل علي ولا تبدأني بشيء حتى أبدأك، ثم جمع الناس بعد يومين أو ثلاثة فصعد المنبر

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم، وارغبوا إلى الله في دوام العافية لكم فقد نظرت في أمور الناس منذ قتل عثمان وفكرت فيهم فوجدهم كالأضاحي في كل عيد يذبحون، ولقد أفنى هذان اليومان يوم الجمل وصفين ما ينيف على مائة ألف كلهم يزعم أنه طالب حق وتابع إمام وعلى بصيرة من أمره، فإن كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة، كلا ليس كذلك ولكن أشكل الأمر والتبس على القوم، وإني لخائف أن يرجع الأمر كما بدأ فكيف لا مرئ بسلامة دينه...! وقد نظرت في أمر الناس فوجدت أحمد العاقبتين العافية، وسأعمل في أموركم ما تحمدون عاقبته ومغبته، فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله ثم نزل.

وكتب جواب الكتاب: أما بعد فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه، فالحمد لله الذي عرفك الحق وردك إلى الصلة، ولست ممن يجهل معروفا ولا يغفل حسبا، ولو أردت أن أجيبك بما أوجبته الحجة واحتمله الجواب لطال الكتاب وكثر الخطاب ولكنك إن كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ونية حسنة وأردت بذلك برا فستزرع في قلبي مودة وقبولا، وإن كنت إنما أردت مكيدة ومكرا وفساد نية فإن النفس تأبى ما فيه العطب، ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاما يعبأ به الخطيب المدره، فتركت من حضر لا أهل ورد ولا صدر كالمتحيرين بمهمه ضل بهم الدليل وأنا على أمثال ذلك قدير، وكتب في أسفل الكتاب:

إذا معشري لم ينصفوني وجدتني	أدافع عني الضيم ما دمت باقيا
وكم معشر أعيت قناتي عليهم	فلاموا والفوني لدى العزم ماضيا
وهمَ به ضاقت صدور فرجته	وكنت بطبي للرجال مداويا
أدافع بالحلم الجهول مكيدة	وأخفي له تحت العضاه الدواهيا
فإن تدن مني ادن منك وإن تبن	تجدني إذا لم تدن مني نائيا

فأعطاه معاوية جميع ما سأله وكتب إليه بخط يده ما وثق به فدخل إليه الشام فقربه وأدناه، وأقره على ولايته ثم استعمله على العراق.

وروى علي بن محمد المدائني قال: لما أراد معاوية استلحاق زياد وقد قدم عليه الشام جمع الناس وصعد المنبر وأصعد زيادا معه فأجلسه بين يديه على المرقاة التي تحت مرقاته وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني قد عرفت نسبنا أهل البيت في زياد فمن كان عنده شهادة فليقم بها، فقام ناس فشهدوا أنه ابن أبي سفيان وأنهم سمعوا ما أقرّبه قبل موته، فقام أبو مريم السلولي فكان خمارا في الجاهلية فقال: أشهد يا أمير المؤمنين أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف فأتاني فاشتريت له لحما وخمرا وطعاما، فلما أكل قال: يا أبا مريم أصب لي بغيا فخرجت فأتيت بسمية فقلت لها: إن أبا سفيان ممن قد عرفت شرفه وجوده وقد أمرني أن أصيب له بغيا فهل لك؟ فقالت: نعم يجيء الآن عبيد بغنمه وكان راعيا فإذا تعشى ووضع رأسه أتيته، فرجعت إلى أبي سفيان فأعلمته فلم تلبث أن جاءت تجر ذيلها فدخلت معه فلم تزل عنده حتى أصبحت فقلت له لما انصرفت: كيف رأيت صاحبتك؟ قال: خير صاحبة لولا ذفر في إبطيها، فقال زياد من فوق المنبر: يا أبا مريم لا تشتم أمهات الرجال، فتشتم أمك، فلما انقضى كلام معاوية ومناشدته قام زياد وأنصت الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن معاوية والشهود قد قالوا ما سمعتم، ولست أدري حق هذا من باطله وهو والشهود أعلم بما قالوا وإنما عبيد أب مبرور ووال مشكور، ثم نزل.

وروى شيخنا أبو عثمان: أن زيادا مر وهو والي البصرة بأبي العريان العدوي وكان شيخا مكفوفا ذا لسن وعارضة شديدة، فقال أبو العريان: ما هذه الجلبة؟ قالوا: زياد بن أبي سفيان، قال: والله ما ترك أبو سفيان إلا يزيد ومعاوية وعتبة وعنبسة وحنظلة ومحمدا فمن أين جاء زياد؟! فبلغ الكلام زيادا وقال له قائل: لو سددت عنك فهم هذا الكلب، فأرسل إليه بمائتي دينار، فقال له رسول زياد: إن ابن ــ عمك زيادا

الأمير قد أرسل إليك مائتي دينار لتنفقها، فقال: وصلته رحم إي والله ابن عمي حقا، ثم مر به زياد من الغد في موكبه فوقف عليه فسلم وبكى أبو العريان فقيل له: ما يبكيك؟ قال: عرفت صوت أبي سفيان في صوت زياد فبلغ ذلك معاوية فكتب إلى أبي العريان:

ما البثتك الدنانير التي بعثت ... أن لونتك أبا العريان ألوانا

أمسى إليك زياد في أرومته ... نكرا فأصبح ما أنكرت عرفانا

لله در زياد لو تعجلها ... كانت له دون ما يخشاه قربانا

فلما قرأ كتاب معاوية على أبي العريان قال: اكتب جوابه يا غلام:

أحدث لنا صلة تحيا النفوس بها ... قد كدت يا ابن أبي سفيان تنسانا

اما زياد فقد صحت مناسبه ... عندي فلا أبتغي في الحق بهتانا

من يسد خيرا يصبه حين يفعله ... أو يسد شرا يصبه حيثما كانا

وروى أبو عثمان أيضا قال: كتب زياد إلى معاوية ليستأذنه في الحج فكتب إليه أني قد أذنت لك واستعملتك على الموسم وأجزتك بألف ألف درهم، فبينا هو يتجهز إذ بلغ ذلك أبا بكرة أخاه وكان مصارما له منذ لجلج في الشهادة على المغيرة بن شعبة أيام عمر لا يكلمه، قد لزمته أيمان عظيمة أن لا يكلمه أبدا، فأقبل أبو بكرة يدخل القصر يريد زيادا فبصر به الحاجب فأسرع إلى زياد قائلا:

أيها الأمير هذا أخوك أبو بكرة قد دخل القصر قال: ويحك أنت رأيته؟ ـ قال: ها هوذا قد طلع وفي حجر زياد بني يلاعبه وجاء أبو بكرة حتى وقف عليه فقال للغلام: كيف أنت يا غلام؟ إن أباك ركب في الإسلام عظيما زنى أمه وانتفى من أبيه ولا والله ما علمت سمية رأت أبا سفيان قط، ثم أبوك يريد أن يركب ما هو أعظم من

ذلك يوافي الموسم غدا ويوافي أم حبيبة بنت أبي سفيان وهي من أمهات المؤمنين فإن جاء أن يستأذن عليها فأذنت له فأعظم بها فرية على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومصيبة، وإن هي منعته فأعظم بها على أبيك فضيحة، ثم انصرف.

فقال: جزاك الله يا أخي عن النصيحة خيرا ساخطا كنت أو راضيا، ثم كتب إلى معاوية: إني قد اعتللت عن الموسم فليوجه إليه أمير المؤمنين من أحب، فوجه عتبة بن أبي سفيان، وأما أبو عمر بن عبد البر فإنه قال في كتاب الاستيعاب: لما أدعى معاوية زيادا في سنة أربع وأربعين وألحقه به أخا زوج ابنته من ابنه محمد بن زياد ليؤكد بذلك صحة الاستلحاق، وكان أبو بكرة أخا زياد لأمه، أمهما جميعا سمية فحلف أن لا يكلم زيادا أبدا، وقال: هذا زنى أمه وانتفى من أبيه ولا والله ما علمت سمية رأت أبا سفيان قط، ويله ما يصنع بأم حبيبة أيريد أن يراها؟ فإن حجبته فضحته، وإن رآها فيا لها مصيبة هتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة عظيمة.

وحج زياد مع معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبة ثم ذكر قول أبي بكرة فانصرف عن ذلك، وقيل: إن أم حبيبة حجبته ولم تأذن له في الدخول عليها، وقيل: إنه حج ولم يرد المدينة من أجل قول أبي بكرة، وأنه قال: جزى الله أبا بكرة خيرا فما يدع النصيحة في حال علي).

الأمالي - الشيخ الطوسي - ص٦٢٠ إلى ٦٢١

أبو المنذر، قال: حدثني يحيى بن ثعلبة أبو المقوم الأنصاري، عن أمه عائشة بنت عبد الرحمن بن السائب، عن أبيها، قال: جمع زياد بن أبيه شيوخ أهل الكوفة وأشرافهم في مسجد الرحبة ليحملهم على سب أمير المؤمنين عليه السلام والبراءة منه، وكنت فيهم، فكان الناس من ذلك في أمر عظيم، فغلبتني عيناي فنمت، فرأيت في النوم شيئا طويلا، طويل العنق، أهدل، أهدب فقلت: من أنت؟ فقال: أنا النقاد ذو

الرقبة، قلت: وما النقاد؟ قال: طاعون بعثت إلى صاحب هذا القصر لاجتثه من جديد الأرض، كما عتا وحاول ما ليس له بحق.

قال: فانتبهت فزعا، وأنا في جماعة من قومي، فقلت: هل رأيتم ما رأيت؟ فقال رجلان منهم، رأينا كيت وكيت بالصفة، وقال الباقون: ما رأينا شيئا، فما كان بأسرع من أن خرج خارج من دار زياد، فقال: يا هؤلاء انصرفوا، فإن الأمير عنكم مشغول، فسألناه عن خبره، فخبرنا أنه طعن في ذلك الوقت، فما تفرقنا حتى سمعنا الواعية عليه، فأنشأت أقول في ذلك:

قد جشم الناس أمرا ضاق ذرعهم ... بحملهم حين ناداهم إلى الرحبة

يدعو على ناصر الاسلام حين يرى ... له على المشركين الطول والغلبة

ما كان منتهيا عما أراد بنا ... حتى تناوله النقاد ذو الرقبة

فأسقط الشق منه ضربة عجبا ... كما تناول ظلما صاحب الرحبة

مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهر آشوب ـ ج٣ ـ ص١٧٤

استغاث الناس من زياد إلى الحسن بن علي عليهما السلام فرفع يده وقال:

«أللهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه وأرنا فيه نكالا عاجلا إنك على كل شيء قدير».

قال: فخرج خراج في إبهام يمينه، يقال لها السلعة، وورم إلى عنقه فمات.

كتاب المحبر ـ محمد بن حبيب البغدادي ـ ص٤٧٩

وصلب زياد بن أبيه (مسلم) بن زيمر، و(عبد الله) بن نجي الحضرميين على أبوابهما أياما بالكوفة وكانا شيعيين وذلك بأمر معاوية وقد عدهما الحسين بن علي رضي الله عنهما على معاوية في كتابه إليه، ألست صاحب حجر والحضرميين اللذين

كتب إليك ابن سمية أنهما على دين علي ورأيه فكتبت إليه من كان على دين علي ورأيه فاقتله ومثّل به فقتلهما ومثل بأمرك بهما؟ ودين علي وابن عم علي الذي كان يضرب عليه أباك ـ يضربه عليه أبوك ـ أجلسك مجلسك الذي أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشم الرحلتين اللتين بنا من الله عليك بوضعهما عنكم...، في كتاب طويل يوبخه فيه وبادعائه زيادا وتوليته إياه العراقين.

السرائر ـ ابن إدريس الحلي ـ ج٣ ـ ص٤٣٥

كان أبو بكرة رجلا صالحا من خيار الصحابة، ويعد في موالي رسول الله عليه السلام واسمه نفيع، وأخوه نافع بن الحرث بن كلدة الثقفي، طبيب العرب، وأخوهما زياد، كلهم من سمية، وكل منهم ينسب إلى رجل.

وقال يزيد بن مفرغ الحميري، جد السيد الحميري يهجو زيادا:

إن زيادا ونافعا وأبا	**بكرة عندي من أعجب العجب**
إن رجالا ثلاثة خلقوا	**في رحم أنثى وكلهم لأب**
ذا قرشي كما يقول وذا	**مولى وهذا بزعمه عربي**

إذا شهد أربعة رجال على رجل بالزنى، فردت شهادة واحد منهم، فإن ردت بأمر ظاهر لا يخفى على أحد، فإنه يجب على الأربعة حد القذف، وإن ردت بأمر خفي لا يقف عليه إلا الآحاد، فإنه يقام على المردود الشهادة الحد، والثلاثة لا يقام عليهم الحد، لأن الأصل براءة الذمة، وأيضا فإنهم غير مفرطين في إقامتها، فإن أحدا لا يقف على بواطن النّاس، فكان عذرا في إقامتها فلهذا لا حد، ويفارق إذا كان الرد بأمر الظاهر، لأن التفريط كان منهم، فلهذا حدوا.

الإيضاح ـ الفضل بن شاذان الأزدي ـ ص٥٤٩ إلى ٥٥٢

كان سعيد بن سرح مولى كريز بن حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما قدم زياد بن أبيه الكوفة واليا عليها أضافه وطلبه فأتى المدينة فنزل على الحسن بن علي رضي الله عنه فقال له الحسن: ما السبب الذي أشخصك وأزعجك؟ فذكر له قصته وصنيع زياد به فكتب إليه الحسن:

(أما بعد فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت عليه داره وأخذت ماله وعياله فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردد عليه ماله وعياله فإني قد أجرته فشفعني فيه).

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه باسمك قبل اسمي وأنت طالب للحاجة وأنا سلطان وأنت سوقة وكتابك إلي في فاسق لا يأويه إلا فاسق مثله وشر من ذلك توليه أباك وقد آويته إقامة منك على سوء الرأي ورضى بذلك وأيم الله لا يسبقني إليه ولو كان بين جلدك ولحمك فإن أحب لحم إلي أن آكله للحم أنت منه فأسلمه بجريرته إلى من هو أولى به منك فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك وإن قتلته لم أقتله إلا بحبه أباك، فلما قرأ الحسن رضي الله عنه الكتاب كتب إلى معاوية يذكر له حال ابن سرح وكتابه إلى زياد فيه وإجابة زياد إياه ولف كتابه في كتابه وبعث به إليه وكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ــ وسلم إلى زياد بن سمية عبد بني ثقيف الولد للفراش وللعاهر الحجر، فلما قرأ معاوية كتاب الحسن رضي الله عنه ضاقت به الشام وكتب إلى زياد:

أما بعد فإن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بعث إلي بكتابك جواب كتابه إليك في ابن سرح فأكثرت التعجب منه وعلمت أن لك رأيين أحدهما من

أبي سفيان وآخر من سمية، فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم، وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها ومن ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق، ولعمري لأنت أولى بالفسق من الحسن ولأبوك إذ كنت تنسب إلى عبيد أولى بالفسق من أبيه، فإن كان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عنك فإن ذلك لم يضعك وأما تشفيعه فيما شفع إليك فيه فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك، فإذا قدم عليك كتابي هذا فخل ما في يدك لسعيد بن سرح وابن له داره ولا تغدر به وأردد عليه ماله فقد كتبت إلى الحسن أن يخبر صاحبه بذلك فإن شاء أقام عنده وإن شاء رجع إلى بلده، فليس لك عليه سلطان بيد ولا لسان، وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه ولا تنسبه إلى أبيه فإن الحسين ويلك ممن لا يرمى به الرجوان أفاستصغرت أباه وهو علي بن أبي طالب أم إلى أمه وكلته لا أم لك فهي فاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فتلك أفخر له إن كنت تعقل والسلام.

وقال قتادة: قال زياد لبنيه وقد احتضر ليت أباكم كان راعيا في أدناها وأقصاها ولم يقع بالذي وقع فيه، قلت: فبهذا الطريق كان ينظم ابن مفرغ هذه الأشعار في زياد وبنيه ويقول: إنهم أدعياء حتى قال في زياد وأبي بكرة ونافع أولاد سمية:

إن زيادا ونافعا وأبا	بكرة عندي من أعجب العجب
إن رجالا ثلاثة خلقوا	في رحم أنثى وكلهم لأب
ذا قرشي كما يقول وذا	مولى وهذا بزعمه عربي

وهذه الأبيات تحتاج إلى زيادة إيضاح فأقول: قال أهل العلم بالأخبار: إن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قسي وهو ثقيف هكذا ساق النسب ابن الكلبي في كتاب الجمهرة وهو طبيب العرب المشهور ومات في أول الإسلام وليس يصح إسلامه.

وروى أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أمر سعد بن أبي وقاص أن يأتي الحارث بن كلدة يستوصفه في مرض نزل به فدل ذلك على أنه جائز أن يشاور أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله وكان ولده الحارث بن الحارث من المؤلفة قلوبهم وهو معدود في جملة الصحابة رضي الله تعالى عنهم ويقال: إن الحارث بن كلدة كان رجلا عقيما لا يولد له وإنه مات في خلافة عمر ولما حاصر رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم الطائف قال:

أيما عبد تدلى إلي فهو حر فنزل أبو بكرة عنه من الحصن في بكرة (قلت: وهي فتح الباء الموحدة وسكون الكاف وبعدها راء ثم هاء وهي التي تكون على البئر وفيها الحبل يستقى به والناس يسمونها بكرة بفتح الكاف وهو غلط إلا أن صاحب كتاب العين حكاها بالفتح أيضا وهي لغة ضعيفة لم يحكها غيره) قال: فكناه رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أبا بكرة لذلك وكان يقول: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم وأراد أخوه نافع أن يدلي نفسه في البكرة أيضا فقال له الحارث بن كلدة: أنت ابني فأقم، فأقام ونسب إلى الحارث، وكان أبو بكرة قبل أن يحسن إسلامه ينسب إلى الحارث أيضا فلما حسن إسلامه ترك الانتساب إليه ولما هلك الحارث بن كلدة لم يقبض أبو بكرة من ميراثه شيئا تورعا، هذا عند من يقول:

إن الحارث أسلم وإلا فهو محروم من الميراث لاختلاف الدين فلهذا قال ابن مفرغ الأبيات الثلاثة البائية لأن زيادا ادعى أنه قرشي باستلحاق معاوية له، وأبو بكرة اعترف بولاء رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، ونافع كان يقول: إنه ابن الحارث بن كلدة الثقفي وأمهم واحدة وهي سمية المذكورة وهذا سبب نظم البيتين في آل أبي بكرة كما تقدم ذكره، وعلاج جد الحارث بن كلدة كما ذكرته، هذه قصة زياد وأولاده ذكرته مختصرة.

قلت: إلا أن قول ابن مفرغ في البيت الثاني وكلهم لأب ليس بجيد فإن زيادا ما نسبه أحدا إلى الحارث بن كلدة بل هو ولد عبيد لأنه ولد على فراشه، أما أبو بكرة ونافع فقد نسبا إلى الحارث فكيف يقول: وكلهم لأب فتأمله، وذكر ابن النديم في كتابه الذي سماه الفهرست: إن أول من ألّف كتابا في المثالب زياد بن أبيه فإنه لما طعن عليه وعلى نسبه عمل ذلك لولده وقال لهم: استظهروا به على العرب فإنه يكفون عنكم.

شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ ج١٦ ـ ص١٨٩ إلى ١٩٣

دخل بنو أمية وفيهم عبد الرحمن بن الحكم على معاوية أيام ما استلحق زيادا، فقال له عبد الرحمن: يا معاوية لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة يعني ـ على بني أبي العاص، فأقبل معاوية على مروان وقال: أخرج عنا هذا الخليع فقال مروان: أي والله إنه لخليع ما يطاق: فقال معاوية والله لولا حلمي وتجاوزي لعلمت أنه يطاق، ألم يبلغني شعره في وفي زياد!

ثم قال مروان: أسمعنيه، فأنشد:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... لقد ضاقت بما يأتي اليدان

أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زان!

فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها حملت زيادا ... وصخر من سمية غير دان

ثم قال: والله لا أرضى عنه حتى يأتي زيادا فيترضاه ويعتذر إليه، فجاء عبد الرحمن إلى زياد معتذرا يستأذن عليه، فلم يأذن له فأقبلت قريش إلى زياد تكلمه في أمر عبد الرحمن، فلما دخل سلم، فتشاوس له زياد بعينه ـ وكان يكسر عينه ـ فقال له زياد: أنت القائل ما قلت؟ قال عبد الرحمن: ما الذي قلت؟ قال: قلت ما لا يقال

قال، أصلح الله الأمير! إنه لا ذنب لمن أعتب، وإنما الصفح عمن أذنب فاسمع مني ما أقول، قال: هات، فأنشده:

إليك أبا المغيرة تبت مما	جرى بالشام من خطل اللسان
وأغضبت الخليفة فيك حتى	دعاه فرط غيظ أن هجاني
وقلت لمن لحاني في اعتذاري	إليك اذهب فشأنك غير شاني
عرفت الحق بعد ضلال رأيي	وبعد الغي من زيغ الجنان
زياد من أبي سفيان غصن	تهادى ناضرا بين الجنان
أراك أخا وعما وابن عم	فما أدري بعيب ما تراني
وإن زيادة في آل حرب	أحب إليّ من وسطى بناني
ألا أبلغ معاوية بن حرب	فقد ظفرت بما تأتي اليدان

فقال زياد: أراك أحمق صرفا شاعرا صنع اللسان، يسوغ لك ريقك ساخطا ومسخوطا، ولكنا قد سمعنا شعرك، وقبلنا عذرك، فهات حاجتك؟ قال: تكتب إلى أمير المؤمنين بالرضا عني، قال: نعم، ثم دعا كاتبه فكتب له بالرضا عنه، فأخذ كتابه ومضى حتى دخل على معاوية، فلما قرأه قال:

لحا الله زيادا لم يتنبه لقوله	وإن زيادة في آل حرب

ثم رضى عن عبد الرحمن ورده إلى حالته، وأما أشعار يزيد بن مفرغ الحميري وهجاؤه عبيد الله وعبادا، ابني زياد بالدعوة فكثيرة مشهورة، نحو قوله:

أعباد ما للؤم عنك تحول	ولا لك أم من قريش ولا أب
وقل لعبيد الله ما لك والد	بحق ولا يدري امرؤ كيف تنسب

ونحو قوله:

شهدت بأن أمك لم تباشر ... أبا سفيان واضعة القناع

ولكن كان أمر فيه لبس ... على حذر شديد وارتياع

إذا أودى معاوية بن حرب ... فبشر شعب قعبك بانصداع

ونحو قوله:

إن زيادا ونافعا وأبا بكرة ... عندي من أعجب العجب

هم رجال ثلاثة خلقوا ... في رحم أنثى وكلهم لأب

ذا قرشي كما تقول وذا ... مولى وهذا بزعمه عربي

كان عبيد الله بن زياد يقول:

بما شجيت بشيء أشد علي من قول ابن مفرغ:

فكر ففي ذاك إن فكرت معتبر ... هل نلت مكرمة إلا بتأميرا

عاشت سمية ما عاشت وما ... أن ابنها من قريش في الجماهير

ويقال: إن الأبيات النونية المنسوبة إلى عبد الرحمن بن أم الحكم ليزيد بن مفرغ وأن أولها:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... مغلغلة من الرجل اليماني

ونحو قوله: وقد باع برد غلامه لما حبسه عباد بن زياد بسجستان:

يا برد ما مسنا دهر أضرَ بنا ... من قبل هذا ولا بعنا له ولدا

لامتني النفس في برد فقلت ... لا تهلكي إثر برد هكذا كمدا

لولا الدعي ولولا ما تعرض بي ... من الحوادث ما فارقته أبدا

ونحو قوله:

أبلغ لديك بني قحطان مالكة	عضت بأير أبيها سادة اليمن
أضحى دعي زياد فقع قرقرة	يا للعجائب يلهو بابن ذي يزن!

وروى ابن الكلبي أن عبادا استلحقه زياد كما استلحق معاوية زيادا، كلاهما لدعوة، قال: لما أذن لزياد في الحج تجهز، فبينا هو يتجهز وأصحاب القرب يعرضون عليه قربهم، إذ تقدم عباد ـ وكان خرازا ـ فصار يعرض عليه ويحاوره ويجيبه، فقال زياد: ويحك، من أنت؟ قال: أنا ابنك، قال: ويحك: وأي بني؟ قال: قد وقعت على أمي فلانة، وكانت من بني كذا، فولدتني، وكنت في بني قيس بن ثعلبة وأنا مملوك لهم، فقال: صدقت والله، إني لأعرف ما تقول، فبعث فاشتراه، وادعاه وألحقه، وكان يتعهد بني قيس بن ثعلبة بسببه ويصلهم وعظم أمر عباد حتى ولاه معاوية سجستان بعد موت زياد، وولى أخاه عبيد الله البصرة، فتزوج عباد الستيرة ابنه أنيف بن زياد الكلبي، فقال الشاعر يخاطب أنيفا ـ وكان سيد كلب في زمانه:

ابلغ لديك اباتر كان مألكة	أنائما كنت أم بالسمع من صمم!
أنكحت عبد بني قيس مهذبة	آباؤها من عليم معدن الكرم
أكنت تجهل عبادا ومحتده	لا در درك أم أنكحت من عدم
أبعد آل أبي سفيان تجعله	صهرا وبعد بني مروان والحكم!
أعظم عليك بذا عارا ومنقصة	ما دمت حيا وبعد الموت في الرحم

الغارات ـ إبراهيم بن محمد الثقفي ـ ج٢ ـ ص٨٠٩ إلى ٨١٠

لما قدم زياد بن أبي سفيان واليا على الكوفة دعا بحجر بن عدي فقال: تعلم أني أعرفك، وقد كنت أنا وإياك على ما قد علمت، يعني من حب علي بن أبي طالب، وأنه قد

جاء غير ذلك وأني أنشدك الله أن تنطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله أملك عليك لسانك وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك وحوائجك مقضية لدي فاكفني نفسك فإني أعرف عجلتك فأنشدك الله يا أبا عبد الرحمن في نفسك، وإياك وهذه السفلة هؤلاء أن يستزلوك عن رأيك فإنك لو هنت علي أو استخففت بحقك لم أخصك بهذا من نفسي.

فقال حجر: قد فهمت ثم انصرف إلى منزله فأتاه إخوانه من الشيعة فقالوا: ما قال لك الأمير؟ قال: قال لي: كذا وكذا، قالوا: ما نصح لك، فأقام وفيه بعض الاعتراض، وكانت الشيعة يختلفون إليه ويقولون: إنك شيخنا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر، وكان إذا جاء إلى المسجد مشوا معه، فأرسل إليه عمرو بن حريث وهو يومئذ خليفة زياد على الكوفة وزياد بالبصرة: أبا عبد الرحمن ما هذه الجماعة وقد أعطيت الأمير من نفسك ما قد علمت؟ فقال للرسول: تنكرون ما أنتم فيه؟! إليك، وراءك أوسع لك، فكتب عمرو بن حريث بذلك إلى زياد وكتب إليه: إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل، فأغذ زياد السير حتى قدم الكوفة، فأرسل إلى عدي بن حاتم وجرير بن عبد الله البجلي، وخالد بن عرفطة العذري حليف بني زهرة، وإلى عدة من أشراف أهل الكوفة فأرسلهم إلى حجر بن عدي ليعذر إليه وينهاه عن هذه الجماعة وأن يكف لسانه عما يتكلم به، فأتوه فلم يجبهم إلى شيء ولم يكلم أحداً منهم.

وجعل يقول: يا غلام أعلف البكر، قال وبكر في ناحية الدار فقال له عدي بن حاتم: أمجنون أنت؟ أكلمك بما أكلمك به وأنت تقول: يا غلام اعلف البكر؟، فقال عدي لأصحابه: ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى، فنهض القوم عنه وأتوا زيادا فأخبروه ببعض وخزنوا بعضا وحسنوا أمره، وسألوا زيادا الرفق به، فقال: لست إذا لأبي سفيان، فأرسل إليه الشرط والبخارية فقاتلهم بمن معه ثم انفضوا عنه وأتي به زياد وبأصحابه فقال له: ويلك مالك؟ فقال: إني على بيعتي لمعاوية لا أقيلها ولا أستقيلها، فجمع زياد سبعين من وجوه أهل الكوفة فقال: اكتبوا شهادتكم على حجر

وأصحابه، ففعلوا، ثم وفدهم على معاوية وبعث بحجر وأصحابه إليه، وبلغ عائشة الخبر فبعثت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم، فقال عبد الرحمن بن عثمان الثقفي: يا أمير المؤمنين جدادها ألا تعن بعد العام أبرا. فقال معاوية: لا أحب أن أراهم ولكن أعرضوا علي كتاب زياد فقرئ عليه الكتاب وجاء الشهود فشهدوا، فقال معاوية بن أبي سفيان: أخرجوهم إلى عذرى فاقتلوهم هنالك.

مستدركات علم رجال الحديث ـ الشيخ علي النمازي الشاهرودي ـ ج٣ ـ ص٤٤٧ إلى ٤٤٨

قال العلامة المامقاني: زياد بن أبي سفيان هو زياد بن أبيه، ويقال له: زياد بن سمية، وزياد بن عبيد الثقفي وكل ذلك قبل الاستلحاق بأبي سفيان، ولإلحاق نسبه بأبي سفيان حكاية مشهورة، ولد بالطائف عام الفتح، وقيل عام الهجرة وقيل يوم بدر كنيته أبو المغيرة وليس له صحبة ولا رؤية، كان مع أمير المؤمنين عليه السلام في جميع مشاهده ومع الحسن عليه السلام إلى زمان صلحه مع معاوية، ولحق معاوية، ومثالبه أشهر من أن يذكر، وقد هلك بالكوفة في شهر رمضان سنة ٥٣، وهو ابن ست وخمسين، وقيل غير ذلك.

الكنى والألقاب ـ الشيخ عباس القمي ـ ج١ ـ ص٣٠٤

قال ابن شحنة الحنفي في الروضة: في سنة ٤٤ استلحق معاوية زيادا وأثبت نسبه من أبي سفيان بشهادة أبي مريم الحمار إنه زنى بسمية البغي وحملت منه وكان زياد ثابت النسب من عبيد الرومي وشق ذلك على بني أمية، ثم ولاه معاوية البصرة والكوفة وخراسان وسمنان والهند والبحرين وعمان، وظلم وفجر وقويت به شوكة معاوية وكان معاوية وعماله يسبون عليا عليه السلام على المنابر، وكان من عادة حجر بن عدي إذا سبوا عليا عارضهم وأثنى عليه ففعل كذلك في إمرة زياد بالكوفة فأمسكه وأرسل به مع جماعة من أصحابه إلى معاوية فأمر بقتله وثمانية من جماعته فقتلوا بقرية عذراء وعظم ذلك على المسلمين انتهى.

الكنى والألقاب ـ الشيخ عباس القمي ـ ج١ ـ ص٤١٩

وله (ابن مفرغ) أيضا في هجاء زياد:

فاشـهد أن أمـك لـم تباشـر ... أبـا سـفيان واضـعة القنـاع

ولكـن كـان أمـر فيـه لـبس ... علـى وجـل شـديد وامتنـاع

وله في هجاء عبيد الله بن زياد:

وق لعبيـد الله مـا لـك والـد ... بحق ولا يدري امرؤ كيف ينسب

إلزام النواصب ـ مفلح بن راشد ـ ص١٧٠ إلى ١٧١

فقـد قتـل الـدعي وعبـد كلـب ... بـأرض الطـف أولاد النبـي

أراد بـ: الدعي: عبيد الله بن زياد، فإن أباه زياد بن سمية، كانت أمه سمية مشهورة بالزنى، وولد على فراش أبي عبيد عبد بني علاج من ثقيف، فادعى معاوية أن أبا سفيان زنى بأم زياد فأولدها زيادا، وأنه أخوه، فصار اسمه: الدعي، فكانت عائشة تسميه: زياد بن أبيه، أو ابن أمهِ، لأنه ليس له أب معروف.

عبيد الله

التقية ـ الشيخ الأنصاري ـ ص٦٩

قال علي بن أبي طالب عليه السلام:

«يا ميثم كيف أنت إذا دعاك دعي بني أمية عبيد الله بن زياد إلى البراءة مني؟».

فقلت: يا أمير المؤمنين أنا والله لا أبرأ منك، قال عليه السلام:

«إذا والله يقتلك ويصلبك».

العقد المنير ـ السيد موسى الحسيني المازندراني ـ ص٦٦

ويقال إن أول من غش الدراهم وضربها زيوفا عبيد الله بن زياد حين فر من البصرة في سنة ٦٤ من الهجرة.

واقع التقية عند المذاهب والفرق الإسلامية من غير الشيعة الإمامية ـ ثامر هاشم حبيب العميدي ـ ص١٢٧

عندما أدخل هانئ بن عروة رحمه الله على عبيد الله بن زياد والي الكوفة سنة ٦٠هـ طالبه بمسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام، وكان في داره ثم انتهى الأمر إلى أن هشم ابن زياد وجه هانئ رحمه الله بعمود من حديد وأودعه السجن.

سبل السلام ـ محمد بن إسماعيل الكحلاني ـ ج٤ ـ ص١٩٠

إن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه، وكان عبيد الله عاملا على البصرة في إمارة معاوية وولده يزيد أخرجه الطبراني في الكبير من وجه آخر عن الحسن قال: قدم إلينا عبيد الله بن زياد أميرا أمره علينا معاوية غلاما سفيها يسفك الدماء سفكا شديدا وفيها معقل المزني فدخل عليه ذات يوم فقال له: انته عما أراك تصنع، فقال له: وما أنت وذاك ثم خرج إلى المسجد فقال له: ما كنت تصنع بكلام هذا السفيه على رؤوس الناس؟ فقال:

إنّه كان عندي علم فأحببت أن لا أموت حتى أقول به على رؤوس الناس، ثم مرض فدخل عليه عبيد الله يعوده فقال له معقل بن يسار: إني أحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يرح رائحة الجنة ولفظ رواية المصنف وأخرج مسلم ما من أمير يلي أمر المسلمين لا يجتهد معهم ولا ينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة ورواه الطبراني وزاد: كنصحه لنفسه.

نيل الأوطار ـ الشوكاني ـ ج٨ ـ ص٤٧

إنّ عبيد الله بن زياد لما أفرط في سفك الدماء وكان معقل بن يسار حينئذ مريضا مرضه الذي مات فيه، فأتى عبيد الله يعوده فقال له معقل: إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكره.

وفي مسلم أنه لما حدثه بذلك قال: ألا كنت حدثتني قبل هذا اليوم؟ قال: لم أكن لأحدثك قبل سبب ذلك، والمراد بهذا السبب هو ما كان يقع منه من سفك الدماء، ووقع في رواية الاسماعيلي من الوجه الذي أخرجه مسلم: لولا أني ميت ما حدثتك، فكأنه كان يخشى بطشه، فلما نزل به الموت أراد أن يكف بعض شره عن المسلمين.

مستدركات علم رجال الحديث ـ الشيخ علي النمازي الشاهرودي ـ ج٨ ـ ص٥٨١

سمية: أم زياد بن أبيه، هي أول بغية، وحفيدها عبيد الله بن زياد.

تاريخ ابن معين، الدوري ـ يحيى بن معين ـ ج٢ ـ ص٣٦٩

يقول ابن مرجانة هو عبيد الله بن زياد.

سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ ج٣ ـ ص٥٤٣ إلى ٥٤٩

روى السري بن يحيى عن الحسن قال: قدم علينا عبيد الله، أمره معاوية، غلاما سفيها، سفك الدماء سفكا شديدا، فدخل عليه عبد الله بن مغفل فقال: انته (عما أراك تصنع) فإن شر الرعاء الحطمة.

قال: ما أنت وذاك؟ إنما أنت من حثالة أصحاب محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، قال: وهل كان فيهم حثالة لا أم لك، قال: فمرض ابن مغفل، فجاءه الأمير عبيد الله عائدا فقال: أتعهد إلينا شيئا؟ قال: لا تصل عليّ، ولا تقم على قبري.

قال الحسن: وكان عبيد الله جبانا، فرأى الناس في السكك، فقال: ما لهؤلاء؟ قالوا: مات عبد الله بن مغفل، وقيل: الذي خاطبه هو عائذ بن عمرو المزني كما في صحيح مسلم، فلعلّها واقعتان، وقد جرت لعبيد الله خطوب، وأبغضه المسلمون لما فعل بالحسين رضي الله عنه، فلما جاء نعي يزيد، هرب بعد أن كاد يؤسر، واخترق البرية إلى الشام، وانضم إلى مروان، ثم سار في جيش كثيف، وعمل المصاف برأس عين.

قال أبو اليقظان: قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين، قال يزيد بن أبي زياد: عن أبي الطفيل، قال: عزلنا سبعة أرؤس، وغطينا منها رأس حصين بن نمير، وعبيد الله بن زياد، فجئت، فكشفتها فإذا حية في رأس عبيد الله تأكل، وصح من حديث عمارة بن عمير، قال: جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه، فأتيناهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية تخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله، فمكثت هنية ثم خرجت، وغابت، ثم قالوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا، قلت: الشيعي لا يطيب عيشه حتى يلعن هذا ودونه، ونحن نبغضهم في الله، ونبرأ منهم ولا نلعنهم، وأمرهم إلى الله.

شيخ المضيرة أبو هريرة ـ محمود أبو رية ـ ص١٧٩

وقال الدكتور طه حسين بعد تفصيل رائع مؤثر لما حدث: والرواة يزعمون أن يزيد تبرأ من قتل الحسين على هذا النحو! وألقى عبء هذا الاثم على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد، ولكنا لا نراه لام ابن زياد، ولا عاقبه، ولا عزله عن عمله كله أو بعضه ـ ومن قبله قتل معاوية حجر بن عدي وأصحابه ثم ألقى عبء قتلهم على زياد وقال: حملني ابن سمية فاحتملت...، وفي مقاتل الطالبيين للأصفهاني: وحمل خولي بن يزيد رأسه إلى عبيد الله بن زياد، وأمر ابن زياد أن يوطأ صدر الحسين وظهره وجنبه ووجهه

فأجريت الخيل عليه، وبقتل هؤلاء الاقطاب الثلاثة الكبار، خلا الجو لبني أمية وامتد سلطانهم على البلاد الإسلامية كلها يستمتعون بحكمها، ويتوارثون هذا الحكم فيما بينهم، بلا منازع ولا معارض، يحكمون حكما استبداديا أمويا قبليا، أساسه الرهبة والضغط والقهر، مستبدلين إياه بحكم الشورى الإسلامي العادل متبعين في ذلك سنن من كان قبلهم من الأكاسرة والقياصرة.

المعارف ـ ابن قتيبة ـ ص٣٤٧ إلى ٣٤٨

فأما عبيد الله بن زياد فكان يكنى أبا حفص وكان أرقط وكان زياد زوج أمه مرجانة من شيرويه الأسواري ودفع إليها عبيد الله فنشأ بالأساورة فكانت فيه لكنة فولي لمعاوية خراسان ثم ولي العراقَين بعد أبيه ثماني سنين خمسا منها على البصرة وحدها وثلاثا على العراقَين فلما مات يزيد خرج عليه أهل البصرة فأخرجوه عن داره فاستجار بمسعود بن عمرو الأزدي فلما قتل مسعود سار إلى الشام فكان مع مروان بن الحكم وكان يوم المرج على إحدى مجنبتيه فلما ظفر مروان رده على العراق فلما قرب من الكوفة وجه إليه المختار إبراهيم بن الأشتر النخعي فالتقوا بقرب الزاب فقتل عبيد الله ولا عقب له وكان قتله يوم عاشوراء سنة سبع وستين.

معجم البلدان ـ الحموي ـ ج١ ـ ص٥٣٠

إنه لما بنى البيضاء أمر أصحابه أن يستمعوا ما يقول الناس، فجاؤوه برجل فقيل له إن هذا قرأ وهو ينظر إليها: أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون؟ فقال له: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: آية من كتاب الله عرضت لي، فقال: والله لأعملن بك بالآية الثالثة: وإذا بطشتم بطشتم جبارين، ثم أمر فبني عليه ركن من أركان القصر.

بلاغات النساء ـ ابن طيفور ـ ص١٤٠

قال المدائني: أتى عبيد الله بن زياد بامرأة من الخوارج فقطع رجلها وقال لها كيف ترين فقالت إن في الفكر في هول المطلع لشغلا عن حديدتكم هذه ثم قطع رجلها الأخرى وجذبها فوضعت يدها على فرجها فقال لتسترينه فقالت لكن سمية أمك لم تكن تستره.

تاريخ الكوفة ـ السيد البراقي ـ ص٧٣ إلى ٧٤

فمن الجبابرة الذين ابتلاهم الله بشاغل فيها زياد، وقد جمع الناس في المسجد ليلعن عليا صلوات الله عليه فخرج الحاجب وقال: انصرفوا فإن الأمير مشغول، وقد أصابه الفالج في هذه الساعة، وابنه عبيد الله بن زياد وقد أصابه الجذام، والحجاج بن يوسف وقد تولدت الحيات في بطنه حتى هلك، وعمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد أصابهما البرص.

مستدركات أعيان الشيعة ـ حسن الأمين ـ ج١ ـ ص٢٨٦

عرفوه عليهم واليا مستبدا طاغيا ظالما يقيم الحكم فيهم بالارهاب والسعاية والوشاية وبالسجن والقتل والتعذيب، ذلك هو عبيد الله بن زياد، كان ذلك ولآل زياد في الأمصار كلها، صيت يثير في نفوس الجماهير صورا شتى يقترن بكل واحدة منها معنى أقل شأنه إنه يبعث السخر والابتسام، أو يبعث الحقد والسخط، أو يبعث الذعر والهلع، وكان آل زياد يعرفون هذا كله في الجماهير، فيخشون نقمتها أو انفجار نقمتها، إذ يكبتونها بالارهاب من كل نوع وكل أسلوب، وكان أخشى ما يخشونه، ألسنة الشعراء، ولاسيما الهجائين منهم وذوي الخلاعة والمجانة، فان مثل هؤلاء يكشفون للناس من العيوب والمساوئ ما كان آل زياد يتحامون أن ينكشف، أو أن تتحدث به الجماهير في حين يعلمون أن عند هذه الجماهير أنباء يتناقلونها عن آل زياد، سواء أصدقت هذه الأنباء أم كانت من الأكاذيب والأراجيف.

أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ـ ج١ ـ ص٥٨٥

ومع التفاوت الذي بلغ أقصى ما يتصور بين فئته القليلة وجيش ابن زياد في العدد والمدد قد كان ثباته ورباطة جأشه وشجاعته تحير الألباب ولا عهد للبشر بمثلها كما كانت دناءة أخصامه لا شبيه لها، وما سمع منذ خلق العالم ولن يسمع حتى يفنى أفظع من ضرب ابن مرجانة من ابن سمية بقضيب ثغر ابن بنت رسول الله ورأسه بين يديه بعد أن كان سيد الخلق عليه السلام يلثمه، ومن آثار العدل الإلهي قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء كما قتل الحسين يوم عاشوراء وأن يبعث برأسه إلى علي بن الحسين كما بعث برأس الحسين إلى ابن زياد.

الكنى والألقاب ـ الشيخ عباس القمي ـ ج١ ـ ص٣٠١ إلى ٣٠٢

ابن زياد: هو عبيد الله بن مرجانة الزانية التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله لميثم التمار: ليأخذنك العتل الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد، وأبوه زياد يقال له زياد بن أمة وتارة زياد بن سمية ومرة زياد بن أبيه ولما استلحقه معاوية يقال له زياد بن أبي سفيان.

الغارات ـ إبراهيم بن محمد الثقفي ـ ج٢ ـ ص٥٥٨ إلى ٥٦١

قال أبو غسان: بنى عبيد الله بن زياد ـ لعنه الله ـ مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي عليه السلام والوقيعة فيه، مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلافين على فرضة البصرة، ومسجد في الأزد.

قال: وكان بالكوفة من فقهائها أهل عداوة له وبغض قد خذلوا عنه وخرجوا من طاعته مع غلبة التشيع على الكوفة فمنهم مرة الهمداني، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وشريح بن الحارث القاضي، وأبو بردة

بن أبي موسى الأشعري، واسمه عامر بن عبد الله بن قيس، وعبد الله بن قيس قد هرب إلى مكة يخذل الناس عنه، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعبد الله بن عكيم، وقيس بن أبي حازم وسهم بن طريف، والزهري والشعبي بعد هؤلاء.

ولكي يتضح للقارئ الكريم مدى بغض عبيد الله بن زياد لأمير المؤمنين ومقدار جرأته على الصحابة نورد قوله الآتي:

عن فطر بن خليفة قال: سمعت مرة يقول: لأن يكون علي جملا يستقي عليه أهله خير له مما كان عليه.

وكان مرة يقول: أما علي فسبقنا بحسناته، وابتلينا نحن بسيئاته.

العزة للمؤمنين

العزّة: هي القوة والغلبة والحمية، عزّ فلان: قويَ وبرئ من الذل، وأعزّه: قواه وأحبه وأكرمه وجعله عزيزا[1].

فالعزّة: هي الارتفاع بالنفس تعظيما عن مواضع الهوان والإهانة والدنو دون الاستعلاء أو الخيلاء.

هذه الصفة الرائعة هي صفة الحق جل وعلا فبها تسمّى بالعزيز، بل هي من الصفات التي تقتضيها الذات المقدسة، ولأهميتها وضرورتها وهبها الله تعالى لأنبيائه وعباده الصالحين فقال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

بل إن الله تعالى أدب أنبياءه وأولياءه وعباده الصالحين بالعزّة وألزمهم بالتحلي

---

(١) المعجم الوسيط: ص٥٩٨.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

بها ولم يرخّص لهم ترك هذه الصفة النبيلة وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام:

«إنَّ اللهَ فَوَّضَ إلى المُؤمِنِ أمورَهُ كُلَّها، وَلَمْ يُفَوِّضْ إلَيْهِ أنْ يَكونَ ذَليلاً، أمَا تَسْمَعُ اللهَ تَعالى يَقولُ:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ...﴾؟!

فَالمُؤمِنُ يَكونُ عَزيزاً وَلا يَكونُ ذَليلاً، إنَّ المُؤمِنَ أعَزُّ مِنَ الجَبَلِ؛ لأنَّ الجَبَلَ يُسْتَقَلُّ مِنْهُ بِالمَعاوِلِ، وَالمُؤمِنُ لا يُسْتَقَلُّ مِنْ دينِهِ بِشَيءٍ»[1].

ولذا نجد لسان الآيات الكريمة ومضامين الأحاديث الشريفة تؤكد أن العزّة صفة إلهية يجب التخلق بها كما في قوله تعالى:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[2].

بل لا يحق للمؤمن أن يتصف بغيرها كما بيّنه الحديث السابق؛ لما لهذه الصفة من دور في حفظ حالة الإيمان في قلب المؤمن ولما لها من دور في سمو المؤمن ورفعته.

نصائح لمن أراد العز

ورد في لسان الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ما يرشد إلى الطرق التي توصل المرء إلى العزّ والرفعة وهي كما يلي:

١ ـ أن يؤمن بالله تعالى ويتمسك بحبله ويسلّم له كما في قوله تعالى:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ

---

(١) التهذيب: ج٦، ص١٧٩، ح٣٦٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٦، ح١٢٨٢٣.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

٢ـ أن تهجر جميع العوامل التي تؤدي إلى عزّتك من دون الله تعالى؛ لما لها من مردود خطير وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«مَنِ اعْتَزَّ بِغَيْرِ اللهِ أهْلَكَهُ العِزُّ»[3].

وعنه عليه السلام قال:

«العَزيزُ بِغَيْرِ اللهِ ذَليلٌ»[4].

٣ـ تشير الأحاديث الشريفة إلى أن عزّ الدنيا واهن فانٍ فإن لا قيمة له كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«أُوصيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهذِهِ الدُّنْيا التّارِكَةِ لَكُمْ وَإنْ لَمْ تُحِبّوا تَرْكَها... فَلا تَنافَسوا في عِزِّ الدُّنْيا وَفَخْرِها... فَإنَّ عِزَّها وَفَخْرَها إلى انْقِطاعٍ»[5].

٤ـ عليك الالتزام بالحق والانتصار له والاذعان به حتى لو دعا ذلك إلى ذلٍّ ظاهر وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«العِزُّ أنْ تَذِلَّ لِلحَقِّ إذا لَزِمَكَ»[6].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٣) غرر الحكم: ٨٢١٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٨، ح١٢٨٢٥.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٠، ح٦٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٨، ح١٢٨٢٦.

(٥) نهج البلاغة: الخطبة ٩٩. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٨، ح١٢٨٢٩.

(٦) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٢٢٨، ح١٠٥. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٨، ح١٢٨٣١.

٥ـ اتخاذ الصدق صفة ثابتة في قولك وفعلك، وأن تحرص على التزود بالعلم؛ لما ورد عن إمامنا الصادق عليه السلام إذ يقول:

«الصّدق عِزٌ وَالجَهْلُ ذُلٌ»[1].

٦ـ التحلي باحترام الخلق وعدم العدوان عليهم كما جاء في حديث الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث يقول:

«شَرَفُ المُؤْمِنِ صَلاتُهُ بِاللّيلِ، وَعِزُّهُ كَفُّ الأذى عَنِ النّاسِ»[2].

٧ـ التحلي بالأخلاق الحميدة والترفع عن الثرثرة والخوض في الباطل والتنزه عن اللغو يوجب العز كما ورد ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«حُسْنُ خُلْقِ المُؤمِنِ مِنَ التَّواضُعِ...، وَعِزُّهُ تَرْكُ القالِ وَالقيلِ»[3].

٨ ـ ضبط النفس وتجرع الغيظ يؤدي إلى العز كما أكد ذلك الإمام علي عليه السلام بقوله:

«لاَ عِزَّ أَرْفَعُ مِنَ الحِلْمِ»[4].

٩ـ هجر المعاصي والتلبس بالطاعات يوجب عزاً ليس كمثله عز كما أكد ذلك الأئمة الأطهار عليهم السلام في أقوالهم:

«مَنْ أرادَ عِزّاً بِلا عَشيرَةٍ وغِنًى بِلا مالٍ، وهَيْبَةً بِلا سُلطانٍ، فَلْيُنْقَلْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللهِ إلى عِزِّ طاعَتِهِ»[5].

---

(١) تحف العقول: ص٣٥٦. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٨، ح١٢٨٣٣.

(٢) الخصال: ص٦، ص١٨. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٨، ح١٢٨٣٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٢٦٨، ح١. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٩، ح١٢٨٣٥.

(٤) بحار الأنوار: ج٧١، ص٤١٤، ح٣٢. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٩، ح١٢٨٣٦.

(٥) الخصال: ص١٦٩، ح٢٢٢. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٩، ح١٢٨٤٠.

وقال الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ أرادَ الغِنى بِلا مالٍ، والعِزَّ بِلا عَشيرَةٍ، وَالطّاعَةَ بِلا سُلْطانٍ، فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ اللهِ إلى عِزِّ طاعَتِهِ؛ فَإِنَّهُ واجِدُ ذلِكَ كُلَّهُ»[1].

١٠ـ الشعور بالمملوكية الحقة لله تعالى، والاعتقاد بأنه تعالى هو من يدير أمورك ويدبر شؤونك ويعطيك عزاً وفخراً، وهذا ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إلهي كَفى بي عِزّاً أنْ أكونَ لَكَ عَبْداً، وَكَفى بي فَخْراً أنْ تَكونَ لي رَبّاً»[2].

١١ـ إلزام النفس وتأديبها على الاستغناء عما في أيدي الناس يحقق العزّ الحقيقي، وهذا ما نلمسه في قول إمامنا الصادق عليه السلام إذ يقول:

«لا يَزالُ العِزُّ قَلِقاً حتّى يَأتِيَ داراً قَدِ اسْتَشْعَرَ أهْلُها اليَأسَ مِمّا في أيْدي النّاسِ فَيوطِنَها»[3].

١٢ـ عندما تكون طرفا في جدال أو نزاع أو غير ذلك لا تكابر ولا تأخذك العزة بالإثم بل عليك قبول الحق وإنصاف الناس من نفسك فإن ذلك يلبسك عزاً لا مثيل له وهذا ما نصحنا به أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«ألا إنَّهُ مَنْ يُنْصِفُ النّاسَ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إلاّ عِزّاً»[4].

١٣ـ التسامح والعفو يحتاج إلى نفس مملوءة بالإيمان تحرص على النجاة في الآخرة، فلذا من طلب النجاة من ذل الدنيا والآخرة فليعفُ، وهذا أرشدنا إليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

---

(١) تنبيه الخواطر: ج١، ص٥١. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٩، ح١٢٨٤١.

(٢) الخصال: ص٤٢٠، ح١٤. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٠، ح١٢٨٥٢.

(٣) كشف الغمّة: ج٢، ص٤١٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٠ ـ ٢٦٠١، ح١٢٨٥٤.

(٤) الكافي: ج٢، ص١٤٤، ح٤. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠١، ح١٢٨٥٨.

«مَنْ عَفا مِنْ مَظْلَمَةٍ أبْدَلَهُ اللهُ بِها عِزّاً في الدُّنيا وَالآخِرَةِ»[١].

١٤ــ إذا كنت ترى الاستعلاء سمواً والاعتداد بالنفس مع الله تعالى علواً، وتحصيل الحرام مكسبا فإنك مخطئ مخالف لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول:

«ثَلاثَةٌ لاَ يَزيدُ اللهُ بِهِنَّ إلاّ خَيْراً: التَّواضُعُ لاَ يَزيدُ اللهُ بِهِ إلاّ ارتِفاعاً، وذِلُّ النَّفْسِ لاَ يَزيدُ اللهُ بِهِ إلاّ عِزّاً، والتَّعَفُّفُ لاَ يَزيدُ اللهُ بِهِ إلاّ غِنًى»[٢].

١٥ـ اللسان يطيح بصاحبها ويورده الهلكة وتلبسه الذلة إلا إذا صانه من الزلل والخنا والفحش والبذاءة ومن كل قول سيئ وهذا ما أوصى به الإمام الكاظم عليه السلام رجلاً طلب منه الوصية في دينه فقال:

«إحْفَظْ لِسانَكَ تَعِزَّ ولاَ تُمَكِّنِ النّاسَ مِنْ قِيادِكَ فَتَذِلَّ رَقَبَتُكَ»[٣].

١٦ـ إذا عصفت بك البلايا وأصابتك المصائب فتحلى بالصبر فإن فيه عزاً يدخلك الجنة، وهو ما أمر به الإمام الباقر عليه السلام إذ يقول:

«مَنْ صَبَرَ عَلى مُصيبَةٍ زادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِزّاً عَلى عِزِّهِ، وأدْخَلَهُ جَنَّتَهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَأهْلِ بَيْتِهِ»[٤].

١٧ـ ورد في الحديث أن القناعة كنز لا يفنى؛ لما فيها من رفض لعبودية الشهوات ورفض لذل الطمع والجشع، فلذا جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ قَنَعَتْ نَفْسُهُ عَزَّ مُعْسِراً، مَنْ شَرِهَتْ نَفْسُهُ ذَلَّ موسِراً»[٥].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٧، ص١٢١، ح٢٠. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠١، ح١٢٨٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٥، ص١٢٣، ح٢٢. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠١، ح١٢٨٦١.

(٣) الكافي: ج٢، ص١١٣، ح٤. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٢، ح١٢٨٦٣.

(٤) بحار الأنوار: ج٨٢، ص١٢٨، ح٣. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٢، ح١٢٨٦٧.

(٥) غرر الحكم: ٨٤٣٩، ٨٤٤٠. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٢، ح١٢٨٧٢.

١٨ـ التفرقة والتشتت علامة الفشل وذهاب الريح، والألفة والتوحد علامة النجاح وقوة المجموعة، وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«والعَرَبُ اليَوْمَ وَإنْ كانوا قَليلاً، فَهُمْ كَثيرونَ بِالإسْلامِ، عَزيزونَ بِالاجتِماعِ»[١].

١٩ـ ثبت في محله أن غير المعصومين عليهم السلام ليس بمعصوم عن الخطأ وعن السهو والنسيان، وهذا يعني أن كثيراً من الناس قد يقع منه الخطأ في تخطيطه أو تفكيره أو قوله أو فعله مما يدعو إلى ضرورة اللجوء إلى الدعاء للتسديد والنجاح، فمثلا هناك من يفكر ويضع الخطط الكثيرة لينال السلطة أو الجاه أو العظمة أو المال إلاّ أنه يفشل فشلاً ذريعاً بسبب خطئه في تخطيطه أو تفكيره فيبقى حائراً ماذا يصنع، وهناك من يرى أن الأسباب الظاهرية هي التي تكسبه العزة والعظمة لكنه لا يصل إلى مبتغاه لسلوكه الأسباب الواهية، فإذن لابد من اللجوء والاستعانة بالله تعالى الذي هو بكل شيء محيط وعلى كل شيء قدير؛ ليسددنا ويرفعنا وهذا ما أشارت إليه الأدعية الشريفة كما في إقبال الأعمال ـ في الدّعاء يوم العشرين من شهر رمضان المبارك ـ:

«اللّهُمَّ وفي صُدورِ الكافِرينَ فَعَظِّمْني، وَفي أعْيُنِ الْمُؤْمِنينَ فَجَلِّلْني، وَفي نَفْسي وأهْلِ بَيْتي فَذَلِّلْني»[٢].

وجاء في إقبال الأعمال أيضا:

«وفي نَفْسي فَذَلِّلْني وَفي أعْيُنِ النّاسِ فَعَظِّمْني»[٣].

٢٠ـ لكي نحافظ على العزة التي وهبها الله تعالى لنا لابد من التحلي بالتواضع والتذلل الباطني لله تعالى والشعور بالفقر والحاجة الدائمة للغني المطلق جل وعلا وهذا

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٤٦. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٣، ح١٢٨٧٦.

(٢) إقبال الأعمال: ج١، ص٣٥٥. بحار الأنوار: ج٩٨، ص٥١. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٣، ح١٢٨٧٧.

(٣) إقبال الأعمال: ج١، ص٣٠٦. بحار الأنوار: ج٩٨، ص٤٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٣، ح١٢٨٧٨.

ما ورد في أدعية أهل البيت عليهم السلام:

«وَذَلِّلْني بَيْنَ يَدَيْكَ، وأعْزِزْني عِنْدَ خَلْقِكَ، وَضَعْني إذا خَلَوْتُ بِكَ، وارْفَعْني بَيْنَ عِبادِكَ، وأغْنِني عَمَّنْ هو غَنيّ عَني، وَزِدْني إلَيْكَ فاقَةً وَفَقْراً»[1].

ـ الإمام وعلم الغيب

العِلم في اللغة: هو إدراك الشيء بحقيقته، واليقين، نور يقذفه الله في قلب من يحب ويطلق العلم على مجموع المسائل والأصول الكلية جمعها جهة واحدة[2].

الغيب في اللغة: هو إدراك حقيقة الأشياء الغائبة عن الإنسان أو غيره من المخلوقات.

وردت آيات كريمة كثيرة تشير إلى أن علم الغيب علم مختص بالله تعالى يهبه إلى عباده الذين ارتضى لهم ذلك لحكمة هو يعلمها كما جاء ذلك في قوله تعالى:

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا

(١) الصحيفة السجادية: ص١٩٨. الدعاء ٤٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٣ ـ ٢٦٠٤، ح١٢٨٨٠.

(٢) المعجم الوسيط: ص٦٢٤.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[2].

ووردت آيات كريمة أخرى تشير إلى وقوع بعض الحوادث والأمور في الزمن المستقبل كما في قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[4].

كما وردت أحاديث شريفة تشير إلى وقوع حوادث وأمور مستقبلية كما في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لِنسائِهِ وهُنَّ عِنْدَهُ جَميعاً:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ و٢٧.

(٣) سورة الروم، الآيات: ١ إلى ٦.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

«لَيْتَ شِعْري! أيَّتُكُنَّ صاحِبَةُ الجَمَلِ الأدبَبِ[1] تَنبَحُها كِلابُ الحَوأبِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِها وَشِمالِها قَتلى كَثيرَةٌ كُلُّهُمْ في النّارِ، وَتَنْجُو بَعْدَ ما كادَتْ؟!»[2].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم (قال لأزواجه:

«أيَّتُكُنَّ الّتي تَنبَحُها كِلابُ الحَوأبِ؟!».

فَلَمّا مَرَّت عائِشَةِ نَبَحَتْ الكِلابُ، فَسَأَلَتْ عَنْهُ فَقيلَ لها: هذا ماءُ الحَوأبِ، قالت: ما أظُنُّني إلاّ راجِعَةً، قيلَ لها: يا أُمَّ المُؤْمِنينَ، إنّما تُصْلِحينَ بينَ النّاسِ!)[3].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ــ لَمّا لَقِيَ عَلِيّاً عليه السلام والزُّبَيرَ في سَقيفَةِ بني ساعِدَةَ:

«أتُحِبُّهُ يا زُبَيرُ؟

قالَ: وَما يَمْنَعُني؟! قال:

فَكَيْفَ بِكَ إذا قاتَلْتَهُ وَأنْتَ ظالِمٌ لَهُ؟!»[4].

وجاء في كنز العمال (عن حذيفة: عليكم بالفئة التي فيها ابن سمية؛ فإنّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ»)[5].

وجاء أيضا في كنز العمال (عن أمّ سَلَمة: دَخَلَ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأنا جالِسَةٌ عَلَى الباب، فَتَطَلَّعْتُ فَرَأيْتُ في كَفِّ النَّبِيِّ صَلّى

---

(١) الأدبب: الكثير الشّعر (كما في هامش المصدر).

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٩، ص٣١١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٧٠، ح١٥٣٩٧

(٣) التشريف بالمنن: ص٧٦، ح١٨. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٧٠ ـ ٣٠٧١، ح١٥٣٩٩.

(٤) كنز العمال: ٣١٦٥١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٧١، ح١٥٤٠٠.

(٥) كنز العمال: ٣١٧١٩، والظاهر أن الأخبار في هذا المعنى متواترة، فراجع كنز العمال: ج١١، ص٧٢٣ ــ ٧٢٨. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٧١، ح١٥٤٠٢.

اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً يُقَلِّبُهُ وَهُوَ نائِمٌ عَلى بَطْنِهِ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ الله، تَطَلَّعْتُ فَرَأَيْتُكَ تُقَلِّبُ شَيْئاً في كَفِّكَ والصَّبيُّ نائِمٌ عَلى بَطْنِكَ ودُموعُكَ تَسيلُ! فَقالَ:

«إنَّ جِبْرائيلَ أتاني بالتُّرْبَةِ التي يُقْتَلُ عَلَيْها فَأخْبَرَني أنَّ أُمَّتي يَقْتُلُونَهُ»[1].

وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة التي تؤكد أن كثيراً من الأمور الغائبة عن الناس ستحدث مستقبلاً وهذا يدل على أن الله تعالى أطلع نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الغيب لإكمال حجته على الناس ولحكمة أخرى لا يعلمها إلا الله تعالى ورسوله وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام.

ولكي يتضح المطلب لابد من الوقوف على النقاط التالية:

١ ـ أن علم الغيب مختص بالله تعالى كما في قوله تعالى:

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾[2].

٢ ـ أن الله تعالى يطلع أنبياءه ورسله على ذلك الغيب كما في قوله تعالى:

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[3].

٣ ـ أن الله تعالى أطلع نبيه على الغيب وحسب ما تقتضيه الحكمة كما في قوله تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

(١) كنز العمال: ٣٧٦٦٨. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٧١، ح١٥٤٠٥.

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الجن، الآيتان: ٢٦ و٢٧.

(٤) سورة هود، الآية: ٤٩.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

٤ـ أن الله تعالى أطلع نبيه على الغيب وحسب ما تقتضيه الحكمة كما في الأحاديث الشريفة.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ضَلَّتْ ناقَتُهُ، فَقالَ النّاسُ فيها: يُخْبِرُنا عَنِ السَّماءِ وَلاَ يُخْبِرُنا عَنْ ناقَتِهِ! فَهَبَطَ عَلَيْهِ جَبْرَئيلُ فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، ناقَتُكَ في وادِي كَذا وكَذا، مَلفوفٌ خِطامُها بِشَجَرَةِ كَذا وكَذا.

قالَ: فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنى عَلَيْهِ وَقالَ:

يا أَيُّها النّاسُ، أَكْثَرْتُمْ عَلَيَّ في ناقَتي، ألا وَما أعْطانيَ اللهُ خَيْراً مِمّا أخَذَ مِنّي، ألا وإنَّ ناقَتي في وادِي كَذا وكَذا، مَلفوفٌ خِطامُها بِشَجَرَةِ كَذا وكَذا.

فَابتَدَرَها النّاسُ فَوَجَدوها كما قالَ رَسولُ الله»[2].

وقال عليه السلام:

«ضَلَّتْ ناقَةُ رَسولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في غَزْوَةِ تَبوكَ، فَقالَ المُنافِقونَ: يُحَدِّثُنا عَنِ الغَيْبِ وَلاَ يَعْلَمُ مَكانَ ناقَتِهِ! فَأتاهُ جَبْرَئيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَأخْبَرَهُ بِما قالوا، وَقالَ: إنَّ ناقَتَكَ في شِعْبِ كَذا، مُتَعَلِّقٌ زِمامُها بِشَجَرَةِ بَحْرٍ، فَنادى رَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الصَّلاةَ جامِعَةً، قالَ: فاجْتَمَعَ النّاسُ، فقالَ: أيُّها

---

(١) سورة الروم، الآيات: ١ إلى ٦.

(٢) بحار الأنوار: ج١٨، ص١٢٩، ح٣٨. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٨٣، ح١٥٤٥٧.

النّاسُ، إنّ ناقَتي بِشِعْبِ كَذا، فَبادَرُوا إلَيْها حتّى أتوها»[1].

٥ـ أن الله تعالى أطلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصياءه على الغيب وحسب ما تقتضيه الحكمة والحاجة كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أخْبَرَني الصّادِقُ المَصْدوقُ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنّي أمُوتُ حَتّى أُضْرَبَ عَلى هذِهِ ـ وَأشارَ إلى مُقَدَّمِ رَأسِهِ الأيْسَرِ ـ فَتُخْضَبُ هذِهِ مِنْها بِدَمٍ»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا عليُّ، إنَّكُمْ سَتُقاتِلونَ بَني الأصْفَرِ، ويُقاتِلونَهُمُ الذينَ مِنْ بَعْدِكُمْ، حَتّى، يَخْرُجَ إلَيْهِمْ رَوْقَةُ الإسْلامِ أهْلُ الحِجازِ الذينَ لا يَخافونَ في اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، وَيَفْتَتِحُونَ القُسْطَنطينِيَّةَ بالتَّسْبيحِ وَالتَّكْبيرِ فَيُصيبُونَ غَنائِمَ لَمْ يُصيبُوا مِثْلَها»[3].

٦ ـ الإمام يعلم ما غاب عن الناس بتعليم من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كما أكد ذلك الإمام علي عليه السلام بقوله:

«يا أخا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإنَّما هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ، وَإنَّما عِلْمُ الغَيْبِ عِلْمُ السّاعَةِ، وَما عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحانَهُ بِقَوْلِهِ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾[4].

فَيَعْلَمُ اللهُ سُبْحانَهُ ما في الأرْحامِ مِنْ ذَكَرٍ أوْ أنثى، وَقَبيحٍ أوْ جَميلٍ، وَسَخيٍّ أوْ بَخيلٍ، وَشَقيٍّ أوْ سَعيدٍ، وَمَنْ يَكونُ في النّارِ حَطباً، أوْ في الجِنانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرافِقاً،

---

(١) قصص الأنبياء: ص٣٠٨، ح٤٠٨. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٨٣، ح١٥٤٥٩.

(٢) كنز العمال: ح٣٦٥٧١، وأنظر أيضا: ح٣٥٥٧٦، ح٣٦٥٧٧، ح٣٦٥٨٠، ح٣٦٥٨٧، ح٣٦٥٩٠ ومنه، ج١٣، ص١٩٢ وما بعدها، وأيضاً: تاريخ دمشق (ترجمة الإمام علي عليه السلام): ج٣، ص٢٦٦ ـ ٢٦٨، وص٢٧٨، وص٢٨٦ ـ ٢٨٩. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٧٢، ح١٥٤٠٧.

(٣) كنز العمال: ٣٨٤١٩. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٧٢، ح١٥٤٠٨.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

فهذا عِلْمُ الغَيْبِ الذي لاَ يَعْلَمُهُ أحَدٌ إلاّ اللهُ، وَما سِوى ذلِكَ فَعِلمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبيَّهُ فَعَلَّمَنيهِ، ودَعا لِي بِأنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضطَمَّ عَلَيْهِ جَوانِحي»[١].

٧ـ الإمام يعلم ما غاب عن الناس بتعليم من الله تعالى وهذا ما أكده الإمام الصادق عليه السلام بقوله لَمّا سُئِلَ: هل يعلَمُ الإمامُ بالغَيب؟ قال:

«لاَ، وَلكِنْ إذا أرادَ أنْ يَعْلَمَ الشيءَ أعْلَمَهُ اللهُ ذلكَ»[٢].

٨ـ الإمام يعلم ما غاب عن الناس إذا علمه الله تعالى وإذا منع ذلك فلا يعلم من دون الله تعالى كما أشار إلى ذلك الإمام الكاظم عليه السلام بقوله، لَمّا سأله رجُلٌ مِنْ أهْلِ فارِسَ: أتَعْلَمُونَ الغَيْبَ؟:

«يُبْسَطُ لَنا العِلْمُ فَنَعْلَمُ، وَيُقْبَضُ عَنّا فَلا نَعْلَمُ، وَقالَ سِرُّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أسَرَّهُ إلى جَبْرَئيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَأسَرَّهُ جَبْرَئيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ إلى مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأسَرَّهُ مُحَمَّدٌ إلى مَنْ شاءَ اللهُ»[٣].

فتحصل لما تقدم أن الإمام يعلم الغيب بتعليم من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم حسب ما تقتضيه الحكمة والحاجة.

سؤال مهم

السؤال: لماذا يجب أن يكون الإمام أعلم الناس؟ ولماذا يعلم الأمور الغائبة عن الناس؟

الجواب: ١ ـ لا يصح أن يكون الجاهل إماما على الناس لمخالفة ذلك للعقل والنقل، فمن جهة العقل يحكم بوجوب تقديم الفاضل على المفضول والعالم هو الفاضل والجاهل مفضول فلا يصح أن يتقدم على العالم،

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٢٨. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٨٤، ح١٥٤٦٠.

(٢) الكافي: ج١، ص٢٥٧، ح٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٨٤، ح١٥٤٦١.

(٣) الكافي: ج١، ص٢٥٦، ح١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣٠٨٤، ح١٥٤٦٢.

في قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

كما أن العقل يحكم بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم لا بالعكس:

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وأما من جهة النقل فالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تمنع ذلك كما في قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٣].

وقوله تعالى:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٤].

٢ـ ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«أنْ يَكونَ أعْلَمَ النّاسِ بِحَلالِ اللهِ وَحَرامِهِ وَضُرُوبِ أحْكامِهِ وَأمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَجَميعِ ما يَحْتاجُ إلَيْهِ النّاسُ. (فَيَحْتاجُ النّاسُ إلَيْهِ) وَيَسْتَغْني عَنْهُمْ»[٥].

ففي هذا الحديث تصريح بوجوب أعلمية الإمام على الناس لحاجة الناس إليه في كل شؤون الحياة ولاستغنائه عنهم، وإلا يلزم عجزه عن علمه بما يحتاج إليه الناس كما يلزم منه أن يكون في الناس من هو أفضل منه فلا يستحق حينها الإمامة على الناس، كما لا يكون له حجة عليهم.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٨٩.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٥) بحار الأنوار: ج٢٥، ص١٦٤. ميزان الحكمة: ج٧، ص١٥٩، ح٨٦١.

ـ علم الغيب وفوائده

قبل التعرض إلى هذا البحث العقائدي الذي ارتكز عليه إيمان الفرد من خلال تسليمه لما جاءت به الرسل عن الغيب الإلهي كالإيمان بالملائكة والعرش والكرسي والبعث والنشور والجنة والنار، نريد أن نقف على المعنى اللغوي لـ(الغيب) وكذلك المعنى الاصطلاحي:

الغيب في اللغة: غاب: غيبا وغيبة وغيبوبة وغياباً: خلاف شهد وحضر، يقال غاب فلان: بَعُدَ، وغاب فلان عن بلده: سافر، وغابت الشمس: غربت واستترت عن العين، ويقال غاب الشيء في الشيء: توارى فيه، غاب عنه الأمر: خفي، غيبوبة: فقد وعيه أو حسد، الغِيبَة: ذكر عيوب المرء المستورة من ورائه ويسوؤه ذكرها.

الغيب: كل ما غاب عن الإنسان سواء أكان مُحصَّلاً في القلوب أم غير محصّل[1].

الغيب في الاصطلاح: هو كل ما خفي خبره من أسرار قصص الماضي كالتي تحدث عنها القرآن الكريم كقصص الأنبياء السابقين كما في قوله تعالى:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[2].

أو هو كل ما لم يستطيع الإنسان معرفته من الغيب الإلهي كالكرسي والعرش والبعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وهذا ما أشارت إليه الآية الشريفة في قوله تعالى:

---

(١) المعجم الوسيط: ص٦٦٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٣.

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1].

وقال عزّ وجل أيضا:

﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾[3].

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴾[4].

وقوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٣.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٤٩.

هذه الآيات المتقدمة هي من الغيب الذي يجب أن يؤمن به الإنسان فلذا أشار الله تبارك وتعالى إليه في الآية الكريمة:

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(١).

وغير ذلك.

وحيث إن الإنسان خلق لغاية سامية إلا وهي معرفة الله تعالى وعبادته وطاعته والتسليم إليه كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢).

لينال بذلك سعادته وفوزه في الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى:

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٣).

وقوله تعالى:

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٤).

وغيرها من الآيات الكريمة التي تؤكد هذا المعنى، فصار لابد له من معرفة مبدئه ومعاده وهذا لا يتم إلا من خلال الإيمان بما جاءت به رسل الله تعالى كما أشارت إلى ذلك الآيات الكريمة في سورة البقرة:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧١.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فوائد الإيمان بالغيب

إن للإيمان بالغيب دوراً مهما في عقيدة المؤمن بل لا إيمان للإنسان دون ذلك، ولذا أصبح الحديث عن الغيب وعلاقته بإيمان الفرد من الضروريات التي لا يستغني عنها مؤمن يهتم بإيمانه، والذي يتأمل ويتدبر الآيات الكريمة التي تتحدث عن الغيب يقف على أهمية هذا الأمر وفائدته وتأثيره في نفوس العقلاء الذين ينشدون الحقيقة، ولكي نقف على بعض الفوائد التي تظهر من الآيات الكريمة التي تذكر لنا ما غاب عنا من أخبار الماضين ونشير إلى ما فيها من فوائد باختصار.

ألف: الآيات التي تذكر أخبار ما غاب عنّا من قصص الأمم السالفة:

١ـ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾[2].

٢ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٣ و٤ و٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ١١ إلى ١٥.

لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[1].

٣ـ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٥١ إلى ٦٩.

قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

٤- ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ

---

(١) سورة هود، الآيات: ٣٦ إلى ٤٩.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾(١).

٥ ـ ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم

(١) سورة يونس، الآيات: ٧٥ إلى ٩٢.

مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾[1].

٦ ـ ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا

---

(١) سورة هود، الآيات: ٥٠ إلى ٦٠.

وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾[1].

الباقة العطرة الأولى: (سورة الأنبياء، الآيات: ١١ـ١٥)

فوائد

١ـ في هذه الآيات الكريمة تصريح بقمع المجاميع الضالة واستبدالهم بمن هم عادلون وحسنو السيرة والسلوك، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾[2].

٢ـ يظهر أن بعض الناس لا يرجع عن غيه إلا بعد أن يشعر بقرب الردع والتأديب، قال الله تعالى:

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾[3].

٣ـ فيها إشارة إلى أن الترف سبب من أسباب الظلم أحياناً فلينتبه المترفون ويسخروا ما لديهم من نعمة في طاعة الله تعالى.

﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾[4].

٤ـ الإقرار بالظلم دون الإقلاع عنه لا يدفع العذاب عن الظالمين، قال الله تبارك وتعالى:

---

(١) سورة هود، الآيات: ٦١ إلى ٦٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١١.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٢.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٣.

﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾[1].

الباقة العطرة الثانية (سورة إبراهيم، الآيات: ٥١ ـ ٦٩)

فوائد

١ـ لا يصلح لقيادة الأمة إلا الراشد حسب الموازين الشرعية، قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾[2].

٢ـ في هذه الآية الكريمة:

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾[3].

إشارة إلى:

ألف: لا يمنع أن يكون الولد حجة على أبيه أو عمه أو من هو أكبر منه سنا طالما يمتلك الأهلية لذلك.

باء: إن هذه الأصنام ما هي إلاّ تماثيل مثّلها صانعوها فهي مخلوقة حادثة عاجزة لا تضر ولا تنفع بل لا تدفع عن نفسها ضرراً أو تجلب لنفسها نفعاً، وكل مَنْ هذه صفته لا يستحق أن يكون معبوداً لغيره.

جيم: في هذه الآية شعور بالاستغراب والتعجب من قوم يلتزمون بعبادة تماثيل بالرغم من عدم نفعها.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٤ و١٥.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥١.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥٢.

٣ـ في هذه الآية تصريح بالتقليد الأعمى الذي يرفضه الشرع المقدس.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾(١).

٤ـ في هذه الآية:

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

إشارة إلى:

ألف: أن ضلال الآباء اكتسبه الأبناء مما يدل على تأثير الآباء في الأبناء، فلذا ينبغي بالآباء أن يكونوا قدوة صالحة للأبناء.

باء: وقوع الأبناء في الضلال لا يبرره شيء، فلذا يستحقون العقوبة على ذلك.

جيم: لم يكن وقوعهم في الضلال نتيجة رؤية ضبابية أو شبهة غير واضحة بل هو انحراف واضح ظاهر.

٥ـ في هذه الآية:

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾(٣).

إشارة إلى:

ألف: عدم صحة نقض الأفكار الباطلة بمثلها، بل لابد من نقضها بأفكار صحيحة تجسد الحق الذي لا ريب فيه.

باء: عدم صحة اللعب في الأمور المهمة كبيان العقائد الحقة.

جيم: ذم اللعب بالباطل.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٥٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥٤.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥٥.

٦ـ في هذه الآية:

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

إشارة إلى:

ألف: إرشاد إلى مدبر المخلوقات ألا وهو الله سبحانه، بل هو تعالى رب هذه التماثيل كما هو رب عبّادها ورب السماوات والأرضين.

باء: شهادة إبراهيم عليه السلام شهادة بصيرة وبصر، وشهادة ظاهر وباطن، وشهادة قول وفعل.

٧ـ في هذه الآية يؤكد إبراهيم عليه السلام ضعف هذه الأصنام وعجزها، فهي لا تدفع عن نفسها ضرراً لو خليت ونفسها دون أن يجمعها أحد.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾[2].

٨ ـ في هذه الآية أكد إبراهيم عليه السلام عمليا عجز هذه الأصنام وعدم أهليتها للألوهية.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[3].

٩ـ في الآيات الكريمة (٥٩ ـ ٦٩):

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٥٦.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥٧.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٥٨.

ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[1].

نستفيد منها ما يلي:

ألف: أن إبراهيم عليه السلام نبيّ رغم كونه في عمر الفتوة، فيظهر من هذه الآية ومن غيرها أن العمر الزمني لا يكون حائلا بين النبوّة وصاحبها طالما تتوفر فيه المؤهلات لذلك.

باء: لم يقدموا على معاقبة إبراهيم عليه السلام قبل أن يحاكموه وبحضور شهود عليه.

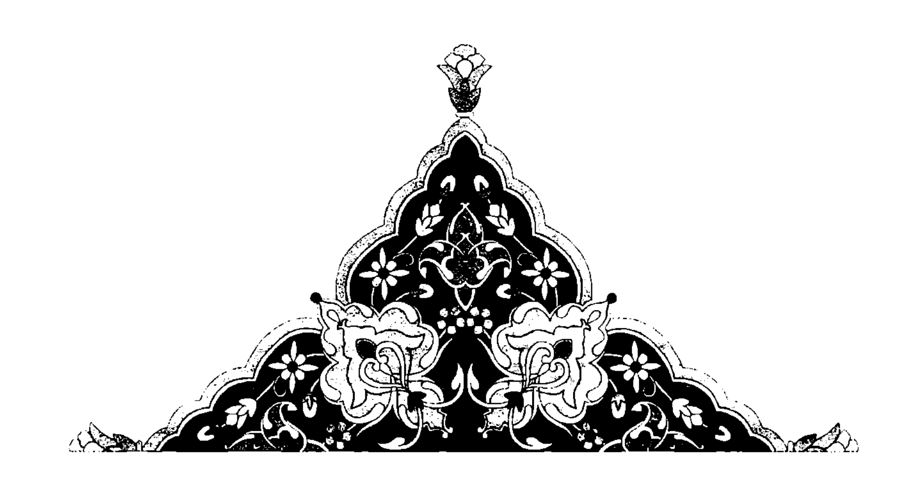
جيم: كان جواب إبراهيم عليه السلام تأكيداً لعجز هذه الأصنام عن فعل أي شيء وقوله.

دال: لم يكن رد إبراهيم عليه السلام كذباً بل كان قوله صدقا. (أنظر الاحتجاج)

هاء: إذا كانت المحاججة بين مشرك ومسلم بهذه الطريقة الجيدة، فالأولى أن تكون بين أصحاب الدين الواحد عند اختلافهم في بعض المسائل العقائدية أو الفقهية دون اللجوء إلى التكفير أو الإقصاء والسخرية.

---

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٥٩ إلى ٦٩.



الخطبة السادسة عشرة

وفيها يذكر منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يصف أهل بيته وأصحابه، قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

دنوتُ منه لأسمع ما يقول لهم، فسمعتُ أبي يقول لأصحابه:

نص الخطبة

«أُثْنِي عَلَى اللهِ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنُّبُوَّةِ وَعَلَّمْتَنَا الْقُرآنَ وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ، وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً، فَاجْعَلْنا مِنَ الشَّاكِرِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لا أَعْلَمُ أَصْحاباً أَوْفَى وَلا خَيْراً مِنْ أَصْحابي، وَلا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنِّي خَيْراً، أَلا وَإِنِّي لأَظُنُّ أَنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنا مِنْ هَؤُلاءِ، أَلا وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمامٌ[1]، هذا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً».

المعنى العام

أطري وأمدح ربي خير مدح وإطراء، وأشكره في الرخاء والشدة واليسر والعسر، اللهم إني أشكرك على النعمة التي جدت بها علينا إذ جعلت منا النبي وعرفتنا القرآن وفهمتنا وعرفتنا في الشريعة التي أنزلتها، ووهبتنا أذانا نسمع بها الأصوات وأعينا نبصر

(١) الحلّ: المباح. والذمام: العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة.

بها الأشياء وقلوباً وبصائراً، فاجعلنا من الشاكرين الحامدين لك على هذه النعم.

إني لا أعرف مرافقين وأتباعاً أكثر التزاما بأداء عهدهم ولا أحسن صدقا في وعدهم من أصحابي ولا أهل بيت وأسرة أشفق والطف وأطوع من أهل بيتي، ولا أكثر عطاءً منهم، فأثابكم الله نيابة عني حسن الدنيا والآخرة، ألا وإني لأعتقد أن هذا اليوم هو آخر يوم من المهلة التي أمهلنا إياها هؤلاء الأعداء، ألا وإني قد رخصت لكم وسمحت لكم فاذهبوا كلكم في إجازة وإباحة لكم ليس عليكم مني عهد وحق وحرمة، وهذا الليل قد غطاكم فاتخذوه جملا أي سيروا فيه واستغلوا ظلمته.

شكر المنعم

الشكر: هو عرفان النعمة وإظهارها والثناء بها[1]، لقد حكم العقل بوجوب شكر المنعم كما حث القرآن الكريم على ذلك تأييداً لحكم العقل الذي لا يتقاطع مع الشرع المقدس، وكذلك حثت الأحاديث الشريفة على هذا الفعل الحسن الذي يثمر الزيادة في النعمة.

قبل الخوض في هذا الموضوع لابد لنا من الوقوف على حقيقة الشكر الذي ينبغي التعبد به:

فأقول: الشكر هو أن يعرف العبد النعمة والمنعم لكي يعطيها حقها من الشكر وهذا ما أشار إليه الإمام العسكري عليه السلام بقوله:

«لاَيَعْرِفُ النِّعْمَةَ إلاّ الشاكِرُ، وَلاَيَشْكُرُ النِّعْمَةَ إلاّ العارِفُ»[2].

وهذه المعرفة تتم من خلال الإقرار بأن النعمة من الله تعالى وحده لا شريك له، وهو ما صرح به الإمام الصادق عليه السلام:

---

(١) المعجم الوسيط: ص٤٩٠.

(٢) أعلام الدين: ص٣١٣. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٠، ح٩٥٨٦.

«أَوْحَى اللهُ تَعالى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلام يا موسى، اشْكُرْني حَقَّ شُكْرِي، فَقالَ: يا رَبِّ كَيْفَ أَشْكُرُكَ حَقَّ شُكْرِكَ، وَلَيْسَ مِنْ شُكْرٍ أَشْكُرُكَ بِهِ إلاّ وَأَنْتَ أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ؟! فَقالَ: يا موسى شَكَرْتَني حَقَّ شُكْري حينَ عَلِمْتَ أنَّ ذلِكَ مِنّي»[1].

فإذا غفل العباد عن النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم وقعوا في الجحود وكفران النعمة، فلذا لابد من معرفة النعم لكي يتسنى للعباد شكر المنعم الذي أنعم بها عليهم، وإلا لخرجوا من عنوان الإنسانية إلى عنوان الحيوانية كما أشار الإمام زين العابدين عليه السلام إلى ذلك بقوله:

«الحَمْدُ للهِ الذي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلى ما أَبْلاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ المُتَتابِعَةِ، وأسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ المُتَظاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا في مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا في رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَلَوْ كانوا كَذلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدودِ الإنْسانيَّةِ إلى حَدِّ البَهيميَّةِ، فَكانوا كَما وَصَفَ في مُحْكَمِ كِتابِهِ:

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2]»[3].

ـ أسئلة حول الشكر

السؤال: أواجب شكر المنعم أم مستحب؟

الجواب: إن شكر المنعم واجب لاتفاق العقلاء على ذلك، إذ إن العقلاء اتفقوا على مدح الشاكر وذم التارك لذلك، وما يؤيد هذا القول أمير المؤمنين عليه السلام:

«لَوْ لَمْ يَتَواعَدِ اللهُ عِبادَهُ عَلى مَعْصِيَتِهِ، لَكانَ الواجِبَ ألاّ يُعْصى شُكْراً

---

(١) قصص الأنبياء للراونديّ: ص١٦١، ح١٧٨. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٣، ح٩٦٠٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

(٣) الصحيفة السجادية: ص٢٠، الدعاء١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٦٨، ح٩٥٧١.

لِنِعَمِهِ»[١].

السؤال: كيف يتم شكر المنعم؟

الجواب: ١ـ يجب شكر المنعم بما يناسب حاله لا بما يراه الشاكر، فيلزم من هذا وجوب معرفة المنعم أولاً، ومعرفة نوع الشكر الذي يريده فنأتي به كما يريد، فإن كان طاعة فطاعة وإن كان تركاً لمعصية فترك المعصية، وهذا ما أشار إليه الإمام علي عليه السلام بقوله:

«شُكْرُ الْمُؤْمِنِ يَظْهَرُ فِي عَمَلِهِ، وشُكْرُ الْمُنافِقِ لاَ يَتَجاوَزُ لِسانَهُ»[٢].

وقوله عليه السلام:

«شُكْرُ كُلِّ نِعْمَةٍ الْوَرَعُ عَنْ مَحارِمِ اللهِ»[٣].

٢ـ تقدم الكلام بوجوب معرفة النعمة أنها من الله تعالى فقط كما جاء ذلك في قول الإمام الصادق عليه السلام لَمّا سُئِلَ عَن شُمولِ قَولِهِ تعالى:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ ...﴾[٤].

«لِلشُّكْرِ عَلى النِّعْمَةِ الظاهِرَةِ: نَعَمْ، مَنْ حَمِدَ اللهَ عَلى نِعَمِهِ وَشَكَرَهُ وَعَلِمَ أَنَّ ذلِكَ مِنْهُ لاَ مِنْ غَيْرِهِ (زادَ اللهُ نِعَمَهُ)»[٥].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٦٩، ح٢١. ومن هنا أخذ القائل ـ وقيل إنّها لأمير المؤمنين عليه السلام ـ:

هَبِ البعثَ لَمْ تأتِنا رُسْلُهُ ... وجاحِمَةَ النّارِ لم تُضْرَمِ

أَلَيْسَ مِنْ الواجِبِ المُسْتَحِقّ ... حَياءُ العِبادِ مِنَ المُنعِمِ؟!

ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٦٨، ح٩٥٧٦.

(٢) غرر الحكم: ٥٦٦١، ٥٦٦٢. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٤، ح٩٦٠٥.

(٣) مشكاة الأنوار: ص٣٥. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٤، ح٩٦٠٨.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٥) تفسير العياشي: ج٢، ص٢٢٢، ح٥. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٢، ح٩٥٩٠.

وقوله عليه السلام:

«مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَعَرَفَها بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَدّى شُكْرَها»[١].

وعنه عليه السلام قال:

«ما مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَعَرَفَ أَنَّها مِنْ عِنْدِ اللهِ، إلاّ غَفَرَ اللهُ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ»[٢].

٣ـ ينبغي أن يشكر العبد نعمة الله تعالى قلبا ولساناً، وهذا ما يؤكده قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما أَنْعَمَ اللهُ على عَبْدٍ نِعْمَةً فَشَكَرَها بِقَلْبِهِ، إلاّ اسْتَوْجَبَ المَزِيدَ فيها قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَ شُكْرَها على لِسانِهِ»[٣].

وعنه عليه السلام قال:

«مَنْ شَكَرَ النِّعَمَ بِجَنانِهِ اسْتَحَقَّ المَزيدَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَى لِسانِهِ»[٤].

٤ـ التحلي ببعض الصفات تعد شكراً لله تعالى على نعمه، وكما يلي:

ألف: العفو والمسامحة وترك الانتقام كما في قول الإمام علي عليه السلام:

«إذا قَدَرْتَ عَلى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ العَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ»[٥].

باء: النظر إلى من هو أدنى منك كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام مِنْ كتابٍ لَهُ إلى الحارث الهمداني:

---

(١) الكافي: ج٢، ص٩٦، ح١٥. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٥، ح٩٦١٣.

(٢) الكافي: ج٢، ص٤٢٧، ح٨. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٥، ح٩٦١٤.

(٣) أمالي الطوسي: ص٥٨٠، ص١١٩٧. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٢، ح٩٥٩٢.

(٤) غرر الحكم: ٩١٠٢. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٢، ح٩٥٩٧.

(٥) نهج البلاغة: الحكمة ١١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٤، ح٩٦١٢.

«وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إلى مَنْ فضِّلْتَ عَلَيْهِ؛ فَإنَّ ذلِكَ مِنْ أبْوابِ الشُّكْرِ»[1].

جيم: التحلي بالقناعة والرضا بعطاء الله تعالى والتخلي عن الطمع والحرص، كما أكد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام:

«أشْكَرُ النّاسِ أقْنَعُهُمْ، وأكْفَرُهُمْ لِلنِّعَمِ أجْشَعُهُمْ»[2].

دال: شكر المخلوقين من أبواب شكر الله تعالى، هذا ما صرح به الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله:

«أشْكَرُكُمْ للهِ أشْكَرُكُمْ لِلنّاسِ»[3].

وقوله عليه السلام:

«يَقولُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى لِعَبْدٍ مِنْ عَبيدِهِ يَوْمَ القِيامَةِ: أشَكَرْتَ فُلاناً؟ فَيَقُولُ: بَلْ شَكَرْتُكَ يا رَبِّ، فَيَقُولُ: لَمْ تَشْكُرْني إذْ لَمْ تَشْكُرْهُ»[4].

هاء: الاعتقاد بالله تعالى والموالاة لأهل البيت عليهم السلام وإعانة المؤمنين هو باب من أبواب الشكر، كما جاء ذلك في قول الإمام الرضا عليه السلام:

اعْلَمُوا أنَّكُمْ لاَ تَشْكُرونَ اللهَ تَعالى بِشَيْءٍ ـ بَعْدَ الإيمانِ بِاللهِ، وَبَعْدَ الاعتِرافِ بِحُقُوقِ أوْلِياءِ اللهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ مُعاوَنَتِكُمْ لإخْوانِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ عَلى دُنْياهُمْ»[5].

واو: المواظبة على شكر النعم من خلال سجدة الشكر ووضع الخد على التراب لتتعظ النفس وهي مستحبة عند حدوث كل نعمة أو تجددها أو عند ذكرها وقد فات

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٦٩. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٤، ح٩٦١١.

(٢) الإرشاد: ج١، ص٣٠٤. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٥، ح٩٦١٩.

(٣) الكافي: ج٢، ص٩٩، ح٣٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٦، ح٩٦٢٠.

(٤) الكافي: ج٢، ص٩٩، ح٣٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٩، ح٩٦٣٧.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص١٦٩. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٦، ح٩٦٢١.

شكرها وهذا ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة:

«إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كانَ فِي سَفَرٍ يَسِيرُ عَلى ناقَةٍ لَهُ، إذْ نَزَلَ فَسَجَدَ خَمْسَ سَجَداتٍ. فَلَمَّا أنْ رَكِبَ قالوا: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّا رَأيْناكَ صَنَعْتَ شَيْئاً لَمْ تَصْنَعْهُ! فَقالَ: نَعَمْ، اسْتَقْبَلَنِي جَبْرَئيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ فَبَشَّرَنِي بِبِشاراتٍ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَسَجَدْتُ للهِ شُكْراً لِكُلِّ بُشْرى سَجْدَةً»[1].

وجاء في الكافي عن هشام بن أحمر:

(كُنْتُ أسيرُ مَعَ أبي الحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ في بَعْضِ أطْرافِ المَدينَةِ إذْ ثَنى رِجْلَهُ عَنْ دابَّتِهِ فَخَرَّ ساجِداً، فَأطالَ وَأطالَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ وَرَكِبَ دابَّتَهُ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِداكَ، قَدْ أطَلْتَ السُّجودَ؟! فَقالَ:

«إنِّي ذَكَرْتُ نِعْمَةً أنْعَمَ اللهُ بِها عَلَيَّ فَأحْبَبْتُ أنْ أشْكُرَ رَبِّي»)[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا ذَكَرَ أحَدُكُمْ نِعْمَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلى التُّرابِ شُكْراً للهِ، فَإنْ كانَ راكِباً فَلْيَنْزِلْ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى التُّرابِ، وَإنْ لَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ عَلى النُّزولِ لِلشُّهْرَةِ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلَى قَرَبُوسِهِ، وَإنْ لَمْ يَقْدِرْ فَلْيَضَعْ خَدَّهُ عَلى كَفِّهِ، ثُمَّ لِيَحْمَدِ اللهَ عَلى ما أنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ»[3].

زاي: إن ترد على من أنعم عليك بأكثر مما أنعم عليك وليس بمقدار ما أنعم عليك، وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«مَنْ صَنَعَ مِثْلَ ما صُنِعَ إلَيْهِ فَإنَّما كافَأ، وَمَنْ أضْعَفَ كانَ شاكِراً»[4].

---

(١) الكافي: ج٢، ص٩٨، ح٢٤. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٦، ح٩٦٢٢.

(٢) الكافي: ج٢، ص٩٨، ح٢٦. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٦، ح٩٦٢٣.

(٣) الكافي: ج٢، ص٩٨، ح٢٥. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٦، ح٩٦٢٤.

(٤) معاني الأخبار: ص١٤١، ح١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٩، ح٩٦٣٦.

حاء: الثناء على الله تعالى المنعم باللسان وهذا ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مـا أنْعَـمَ اللهُ عَلـى عَبْـدٍ بِنِعْمَـةٍ صَـغُرَتْ أوْ كَبُـرَتْ فَقـالَ: الحَمْـدُ للهِ، إلاّ أدّى شُكْرَها»[1].

طاء: يجب شكر الله تعالى باللسان والقلب معاً في السراء والضراء وهذا ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«كانَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا وَرَدَ عَلَيْهِ أمْرٌ يَسُرُّهُ قالَ: الحَمْدُ للهِ عَلى هذِهِ النِّعْمَةِ. وَإذا وَرَدَ عَلَيْهِ أمْرٌ يَغْتَمُّ بِهِ قالَ: الحَمْدُ للهِ عَلى كُلِّ حالٍ»[2].

ياء: ورد في مفاتيح الجنان مناجاة الشاكرين للإمام زين العابدين عليه السلام يستحب قراءتها من باب شكر المنعم كما يستحب؟

وورد أيضا في نفس الكتاب أن من قال: (الحمد لله على كل نعمة كانت أو هي كائنة) سبع مرات يكون ممن أدى شكر ما مضى من النعم وما هو حاضر وما هو آت.

كاف: إخراج الحقوق من المال هو شكر على نعمة المال وأجاب الإمام الصادق عليه السلام (لّما سأله أبو بصير: هَل لِلشُّكْرِ حَدٌّ إذا فَعَلَهُ العَبْدُ كانَ شاكِراً؟ فقال:

«نعم».

قُلْتُ: ما هُوَ؟ قالَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ:

«يَحْمَدُ اللهَ عَلى كُلِّ نِعْمَةٍ عَلَيْهِ في أهْلٍ وَمالٍ، وَإنْ كانَ فيما أنْعَمَ عَلَيْهِ في مالِهِ حَقٌّ أدّاهُ وَمِنْهُ قَولُهُ جَلَّ وَعَزَّ:

---

(١) الكافي: ج٢، ص٩٦، ح١٤. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٥، ح٩٦١٦.

(٢) الكافي: ج٢، ص٩٧، ح١٩. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٥، ح٩٦١٧.

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾[1]»[2].

السؤال: ما هي فوائد الشكر؟

الجواب: لا يختلف العقلاء ولا يشكّون في وجود فوائد للشكر إلاّ أننا نريد أن نجيب عن هذا السؤال من خلال ما ورد من آيات كريمة وأحاديث شريفة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام:

١ـ إن شكر النعم هو امتثال لأمر الله تعالى وكسبا لرضاه، وهذا ما دل عليه قوله تعالى:

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[4].

٢ـ إن الشكر يعود نفعه للشاكر في الدنيا والآخرة، وهو ما صرحت به الآيات الكريمة كما في قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾[5].

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

(٢) الكافي: ج٢، ص٩٦، ح١٢. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٥، ح٩٦١٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.

(٥) سورة النمل، الآية: ٤٠.

وقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1].

٣ـ الشكر ينجي من الحيرة أو الابتلاء وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«الشُّكْرُ عِصْمَةٌ مِنَ الفِتْنَةِ»[2].

٤ـ الشكر يدفع الضرر والأذى وهو ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام:

«شُكْرُ النِّعْمَةِ أمانٌ مِنْ حُلُولِ النَّقْمَةِ»[3].

٥ـ الشكر يوجب الزيادة في النعمة التي شكرها، وهذا ذكر في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[4].

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما فَتَحَ اللهُ عَلى عَبْدٍ بابَ شُكْرٍ فَخَزَنَ عَنْهُ بابَ الزِّيادَةِ»[5].

وقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما أنْعَمَ اللهُ عَلى عَبْدٍ نِعْمةً فَشَكَرَها بِقَلْبِهِ، إلاّ اسْتَوْجَبَ المَزيدَ فيها قَبْلَ أنْ يُظْهِرَ شُكْرَها عَلى لِسانِهِ»[6].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٥٣، ح٨٦. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٦٨، ح٩٥٧٣.

(٣) غرر الحكم: ٥٦٦٦. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٦٨، ح٩٥٧٤.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٥) الكافي: ج٢، ص٩٤، ح٢. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٢، ح٩٥٩٣.

(٦) أمالي الطوسي: ص٥٨٠، ح١١٩٧. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٢، ح٩٥٩٢.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام (لَمّا سُئِلَ عَنْ شُمولِ قَوْلِهِ تعالى:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ ...﴾.

للشكر على النّعمة الظاهرة، قال:

«نَعَمْ، مَنْ حَمِدَ اللهَ عَلى نِعَمِهِ وَشَكَرَهُ، وَعَلِمَ أنَّ ذلِكَ مِنْهُ لاَ مِنْ غَيْرِهِ (زادَ اللهُ نِعَمَهُ)»)[1].

٦ ـ الشكر يوجب السمعة الحسنة بين الناس كما دل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أحْسَنُ السُّمْعَةِ شُكْرٌ يُنْشَرُ»[2].

وهناك تفسير آخر لهذه العبارة وهو انتشار الشكر الذي يأتيك من الناس، أي انتشار المدح والثناء لك بين الناس.

السؤال: ما هو ضرر ترك الشكر؟

الجواب: ١ ـ اتفق العقلاء على ذم تارك الشكر وأيدهم في ذلك الشارع المقدس كما في قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى

(١) تفسير العياشي: ج٢، ص٢٢٢، ح٥. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٢، ح٩٥٩٠.

(٢) غرر الحكم: ٣٠١٣. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٨، ح٩٦٢٧.

(٣) سورة غافر، الآية: ٦١.

﴿ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[2].

٢ـ عدم الشكر يوجب الحرمان من الزيادة، وهذا ما صرح به الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«لاَ يَنْقَطِعُ المَزِيدُ مِنَ اللهِ حَتّى يَنقَطِعَ الشُكْرُ مِنَ العِبادِ»[3].

٣ـ عدم الشكر يوجب انقلاب النعمة إلى نقمة وبلاء كما في قول الصادق عليه السلام:

«إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أنْعَمَ عَلى قَوْمٍ بِالمَواهِبِ فَلَمْ يَشْكُرُوا فَصارَتْ عَلَيْهِمْ وَبالاً، وابْتَلى قَوْماً بِالمَصائِبِ فَصَبَرُوا فَصارَتْ عَلَيْهِمْ نِعْمَةً»[4].

٤ ـ أنزل الإمام الجواد عليه السلام عدم شكر النعمة منزلة السيئة كما في قوله عليه السلام:

«نِعْمَةٌ لاَ تُشْكَرُ كَسَيِّئَةٍ لاَ تُغْفَرُ»[5].

٥ـ تارك الشكر يتلبس بصفة رذيلة وهي صفة اللؤم وهذا ما أورده الإمام الحسن عليه السلام:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧.

(٣) بحار الأنوار: ج٧١، ص٥٦، ح٨٦. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٢، ح٩٥٩٥.

(٤) أمالي الصدوق: ص٢٤٩، ح٤. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٢، ح٩٥٩٩.

(٥) أعلام الدين: ص٣٠٩. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٣، ح٩٦٠٠.

«اللّؤْمُ أنْ لاَ تشْكُرَ النعْمَة»[1].

٦ـ تارك الشكر يكون ممن تسبب بقطع المعروف فاستحق بذلك لعنة الله تعالى، كما صرح بذلك الإمام الصادق عليه السلام:

«لعَنَ اللهُ قاطِعِي سَبيلِ المَعْرُوفِ، وَهُوَ الرَّجُلُ يُصنَعُ إلَيْهِ المَعْروفُ فَيَكْفُرُهُ، فَيَمْنَعُ صاحِبَهُ مِنْ أنْ يَصْنَعَ ذلِكَ إلى غَيْرِهِ»[2].

السؤال: ما هي منزلة الشاكرين؟

الجواب: اختلف الناس في مراتبهم ومنازلهم عند الله تعالى تبعا لعلاقتهم به وطاعتهم له، وممن خصوا بمنزلة عالية هم الشاكرون، إذ جعلهم الله تعالى من الصفوة القلة كما صرح بذلك أمير المؤمنين بقوله:

«أوصِيكُمْ بِتَقْوى اللهِ... فَما أقَلَّ مَنْ قَبِلَها، وَحَمَلَها حَقَّ حَمْلِها! أولئِكَ الأقَلُّونَ عَدَداً، وَهُمْ أهْلُ صِفَةِ اللهِ سُبْحانَهُ إذْ يَقولُ:

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[3]»[4].

الشاكر ممن نال خير الدنيا والآخرة وهذا ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مَنْ أوتِيَ قَلْباً شاكِراً، ولِساناً ذاكِراً وَزَوجَة مُؤْمِنَة تُعينُهُ عَلى أمرِ دُنْياهُ وَأُخْراه فَقَدْ أوتِيَ في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَوُقيَ عَذابَ النّارِ»[5].

(١) تحف العقول: ص٢٣٣. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٨، ح٩٦٣٠.

(٢) الاختصاص: ص٢٤١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٨٠، ح٩٦٤٥.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٩١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧١، ح٩٥٨٩.

(٥) مئة موضوع أخلاقي، آية الله العظمى مكارم الشيرازي: ص٣٦٩. تفسير مجمع البيان: ج١، ص٢٩٨.

ـ نصيحة

إذا أردت أن تشكر من أنعم عليك سرا وعلانية فعليك أن تشير إلى صانع المعروف وتذكر معروفه عليك بين الناس وتتحدث عنه بما هو حسن من الحديث، وتحبه لذلك وهذا ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام وولده الإمام زين العابدين عليهما السلام بقولهما:

«حَقٌّ عَلى مَنْ أُنعِمَ عَلَيْهِ أنْ يُحْسِنَ مُكافَأةَ المُنْعِمِ، فَإنْ قَصُرَ عَنْ ذلِكَ وُسْعُهُ فَعَلَيْهِ أنْ يُحْسِنَ الثَّناءَ، فَإنْ كَلَّ لِسانُهُ فَعَلَيْهِ بِمَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَمَحَبَّةِ المُنْعِمِ بِها، فَإنْ قَصُرَ عَنْ ذلِكَ فَلَيْسَ لِلنِّعْمَةِ بِأهْلٍ»[1].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«أمّا حَقُّ ذِي المَعْروفِ عَلَيْكَ فَأنْ تَشْكُرَهُ وَتَذْكُرَ مَعْروفَهُ، وَتُكْسِبَهُ المَقالَةَ الحَسَنَةَ، وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعاءَ فيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإذا فَعَلْتَ ذلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرّاً وَعَلانِيَةً، ثُمَّ إنْ قَدَرْتَ عَلى مُكافَأتِهِ يَوْماً كافَيْتَهُ»[2].

ـ شهادة لا تُرد

(أمّا بَعْدُ، فَإنّي لا أعْلَمُ أصْحاباً أوْفَى وَلا خَيْراً مِنْ أصْحابي، وَلا أهْلَ بَيْتٍ أبَرَّ وَلا أوْصَلَ مِنْ أهْلِ بَيْتي، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي خَيْراً، ألا وَإنّي لأظُنُّ أنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنا مِنْ هَؤُلاءِ ألا وَإنّي قَدْ أذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَميعاً في حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنّي ذمامٌ. هذا الليل قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهِ جَمَلا).

عندما يشهد المؤمن الصالح الثقة شهادة حق تكون شهادته حجة على من يسمعها، ويكون لها الأثر الكبير في إحقاق الحق ودحض الباطل، وهذا ما أشارت إليه

(١) أمالي الطوسي: ص٥٠١، ح١٠٩٧. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٨ ـ ١٩٧٩، ح٩٦٣٤.

(٢) الخصال: ص٥٦٨، ح١. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٧٨، ح٩٦٣٣.

الأحاديث الشريفة:

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«إعْلَمْ أنَّ المُسْلِمينَ عُدولٌ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ، إلاّ مَجْلوداً في حَدٍّ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ، أوْ مَعْروفاً بِشَهادَةِ الزُّورِ، أوْ ظَنيناً»[1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ صَلّى خَمْسَ صَلَواتٍ في اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ في جَماعَةٍ فَظُنُّوا بِهِ خَيْراً وَأجيزُوا شَهادَتَه»[2].

وجاء عن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام:

«كُلُّ مَنْ وُلِدَ عَلى الفِطْرَةِ وَعُرِفَ بِصَلاحٍ في نَفْسِهِ جازَتْ شَهادَتُهُ»[3].

وبناء على ما تقدم لو شهد رجل مؤمن صالح ثقة بأن أصحابه أوفى وأفضل من أصحاب غيره لأجزنا شهادته وقبلناها قبولاً حسناً، فكيف إذا كان هذا الشاهد هو حجة الله تعالى في زمانه وسيد شباب أهل الجنة وإماماً معصوماً وبضعة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟

ولكي نعلم أن شهادة الإمام الحسين عليه السلام لأصحابه شهادة حق لا شك فيها لابد من الوقوف عند الآتي:

١ ـ شهد القرآن الكريم بعصمة الإمام الحسين عليه السلام كما في آية التطهير:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص١٥، ح٣٢٤٣. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٩٧، ح٩٧٢٣.

(٢) أمالي الصدوق: ص٢٧٨، ح٢٣. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٩٨، ح٩٧٢٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٤٦، ح٣٢٩٨. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٩٩٨، ح٩٧٢٦.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

وهذا يدل على صدق قول الإمام عليه السلام، ودقته كما يدل على أن شهادته شهادة حق لا زور فيها.

٢ـ أمر الله تعالى الأمة بمودة الإمام الحسين عليه السلام كما في آية المودة:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

دون أن يقيد ذلك بزمان أو مكان، وهذا يدل على أن الإمام الحسين عليه السلام لا يخرج عن مرضاة الله تعالى بقول أو فعل حتى يلقى الله تعالى وهو عنه راضٍ، وإلاّ يلزم أن يتعبد الله تعالى الأمة بمودة رجل لا صدق ولا دقة في قوله وهذا محال.

٣ـ شهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لولده الإمام الحسين عليه السلام بصدق القول ودقته وصحة الفعل وعصمته من حديث السيادة في الجنة، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[2].

وحديث المحبة، قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«اللهم إني أحبهما فأحبهما»، «اللهم إني أحبه فأحب من يحبه»[3].

وفي حديث آخر يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله».

وحديث الإمامة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٣، ص٤.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض: ج٢، ص٢٦.

«الحسن والحسين ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[1].

وحديث حسين مني، قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»[2].

وإلاّ لو لم يكن كذلك لانخدشت هذه الأحاديث وللزم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمدح باطلاً حاشاه عن ذلك أو يتكلم عن الهوى والعاطفة وهذا مخالف لصريح القرآن الكريم:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[3].

٤ ـ لاشك أن الإمام الحسين عليه السلام محيط بمنزلة أصحاب جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه المرتضى وأخيه المجتبى عليهما السلام، ومع ذلك صرح بهذا التصريح في حق أصحابه، وشهد لهم هذه الشهادة التي هي فخر وزينة لهم في الدنيا والآخرة.

فيتضح مما تقدم أن صفة الشهادة تجعل أصحاب الحسين عليه السلام أفضل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والحسن عليهما السلام وهي شهادة لا ترد.

ـ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام

لقد ثبت في محله أن الإمام الحسين عليه السلام جزء لا يتجزأ من جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فهو بضعة منه، دمه دمه ولحمه لحمه وحربه حربه وسلمه سلمه بل هما نور واحد وفكر واحد ونهج واحد، وهذا ما يؤكده قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ولا عن العاطفة والميل المتعارف؛

(١) جامع الخلاف والوفاق، علي بن محمد القمي: ص٤٠٤.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج٨، ص٢٢٥.

(٣) سورة النجم، الآية: ٣.

بل أن كلامه وحي بوحي كما في قوله تعالى:

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾.

فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق ولده الإمام الحسين عليه السلام:

«حسين مني وأنا من حسين»[1].

وورد في مسند احمد بن حنبل (عن قابوس بن المخارق عن أم الفضل قالت: رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم قالت: فخرجت من ذلك فأتيت رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فذكرت ذلك له فقال:

«خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فتكفلينه بلبن ابنك قثم».

قال: فولدت حسناً فأعطيته فأرضعته (الحديث))[2].

وروى الحاكم في المستدرك بسنده (عن أم الفضل بنت الحارث إنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلماً منكراً الليلة قال:

«وما هو؟».

قالت: إنه شديد، قال:

«وما هو؟».

---

(١) فضائل الخمسة: ج٣، ص٣٢١.

(٢) فضائل الخمسة للفيروز آبادي: ج٣، ص٢٢٣. مسند أحمد بن حنبل: ج٦، ص٣٩٩. ورواه بطريق آخر أيضا مثله، ورواه ابن الأثير أيضا في أسد الغابة: ج٢، ص١٠. وذكره ابن حجر أيضا في إصابته: ج٥، ص٢٣١. وقال: أخرجه البغوي.

قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري، فقال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

«رأيت خيراً تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً فيكون في حجرك».

فولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم (الحديث))[١].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«علي بن أبي طالب قائد البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، الشاك في علي هو الشاك في الإسلام، وخير من أخلف بعدي وخير أصحابي علي، لحمه لحمي ودمه دمي وأبو سبطي، ومن صلب الحسين يخرج الأئمة التسعة، ومنهم مهدي هذه الأمة».

وهذه الأقوال والشهادات التي صدرت عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم تدل على أن الإمام الحسين عليه السلام له ما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا النبوّة، فله من الطهارة والعصمة ما لجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وله من الصدق في القول والفعل ما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك له من الفضائل الأخرى ما لخاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم ويظهر من هذه الأحاديث وغيرها الذي لا نحتاج إلى ذكرها أن الإمام الحسين عليه السلام صادق القول والفعل ولا يتحدث عن هوى أو مزاج أو عاطفة أو انفعال وتأثر، ولا يمكن أن يلقي الكلام جزافاً دون حكمة أو دراية، فإذن لابد من التسليم له والتصديق بقوله عليه السلام.

فإذا عرفت ذلك فنقول: إن الإمام الحسين عليه السلام قال بعصمته وطهارته وسيادته على شباب الجنة قولاً في أصحابه وهو:

---

(١) فضائل الخمسة للفيروز آبادي: ج٣، ص٢٢٤. المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٧٦.

(أمّا بَعْدُ، فَإنّي لا أعْلَمُ أصْحاباً أوْفَى وَلا خَيْراً مِنْ أصْحابي، وَلا أهْلَ بَيْتٍ أبَرَّ ولا أوْصَلَ مِنْ أهْلِ بَيْتِي، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنِّي خَيْراً، ألا وَإنِّي لأظُنُّ أنَّهُ آخِرُ يَوْمٍ لَنا مِنْ هؤُلاءِ ألا وَإنِّي قَدْ أذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَميعاً في حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمامٌ، هذا الليل قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهِ جَمَلاً).

فيا لها من شهادة صادرة من إمام معصوم مطهر لا ريب فيها ولا خلل.

وقبل الخوض في إثبات أن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام خير من غيرهم لابد من التعرض لبعض النقاط التي تنفع في المقام:

معنى الصحابة

الصحبة في اللغة: هي الرفقة، صاحبه: رافقه، الصاحب: الرافق، مالك الشيء، القائم على الشيء.

الصحابي: هو من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مؤمنا به ومات على الإسلام[1].

صحب فلانا: يصحبه صَحابة وصِحابة وصُحبة عاشره ورافقه ملازماً له[2].

الصحابي: منسوب إلى الصحابة وهو في العرف من رأى النبي من المسلمين وطالت صحبته معه وإن لم يرو عنه وقيل غير ذلك[3].

وهناك في كتب اللغة يأتي معنى صاحبَ: عاشر، رافق، جالس، انقاد، تابع.

الصحابة في الاصطلاح:

---

(١) المعجم الوسيط: ص٥٠٦ـ٥٠٧.

(٢) البستان معجم لغوي مطول: ص٥٩٢.

(٣) البستان معجم لغوي مطول: ص٥٩٣.

الصحابي عند ابن حجر العسقلاني: هو من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام[١].

الصحابي عند البخاري: هو من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه[٢].

ولا نريد التعرض لهذا المبحث لكثرة تفريعاته ولعدم الحاجة إليه فإذا شئت المزيد فراجع كتاب عدالة الصحابة للمؤلف أحمد حسين يعقوب[٣].

وبناء على ما تقدم فإن من لقي الإمام عليه السلام مؤمنا به ومات على الإيمان فهو من أصحابه.

ـ نظرية عدالة جميع الصحابة

إن من يتبنى هذه النظرية يقول: إن جميع الصحابة عدول ولا يجوز جرح أحدهم أو الطعن في أفعاله ولو كانت هذه الأفعال أفعالاً منكرة، فيظهر من هذا (أن الطبقة الأدهى من بني أمية كأبي سفيان وأولاده والمروانيين بما فيهم طريد رسول الله)[٤] وغيرهم عدول لا يجوز المساس بهم أو انتقاد أفعالهم وسلوكهم.

ولكي يقف القارئ الكريم على صحة هذه النظرية أو عدم صحتها ننقل له باختصار ما ورد في كتب التاريخ من صور تبيّن عدم صحة نظرية عدالة جميع الصحابة، ولكن لابد من الإشارة إلى أننا لا نريد أن نتعرض إلى الصحابة بالقدح أو الانتقاص بقدر ما نريد أن نبيّن أن الصحبة بذاتها غير كافية للأفضلية أو لترجيح أحد

(١) الإصابة في معرفة الصحابة: ج١، ص١٥٨.

(٢) صحيح البخاري: ج١٠، ص٣٦٥، ح٢٨٩٧.

(٣) عدالة الصحابة، أحمد حسين يعقوب: ص١١ ـ ١٨.

(٤) عدالة الصحابة: ص٢٠.

على آخر، بل أن هذا المدعى (عدالة جميع الصحابة) لا ينسجم مع ما شهد به القرآن الكريم من وجود تفاوت بين الصلحاء من الصحابة فلذا قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[١].

وقوله تعالى:

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٢].

وشهد القرآن الكريم بأن بعض الصحابة الذين ينطبق عليهم معنى الصحبة حسب تعريف البخاري أو غيره للصحابي لم يلتزموا بما يحفظ عدالتهم كما في قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[٣].

وقوله تعالى:

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾[٤].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(٣) سورة التوبة، الآيتان: ٧٥ و٧٦.

(٤) سورة السجدة، الآية: ١٨.

وأما ما جاء في القرآن الكريم فيمن رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجلس معه وسمع عنه وهو لا يزال منافقا فذلك لا حاجة للإشارة إليه لوجود سورة المنافقين وآيات عديدة تتكلم عنهم في سور أخرى، كقوله تعالى:

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[1].

وعند الوقوف عند كتب التاريخ والسيرة ترى بوضوح بعض الصحابة الذين وقعوا في مخالفة الشرع بل مخالفة ما أمر به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، لاسيما لما أوصى به في حفظ عترته الكريمة، وهذا ما نلمسه في الإساءة إلى أمير المؤمنين وإلى سيدة نساء العالمين عليهما السلام وإلى سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام.

وإليك بعض الصور السيئة لمواقف بعض صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٦٤ و٦٥ و٦٦ و٦٧ و٦٨.

١ـ إساءة بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السلام

(وقعة الجمل) قالوا: (ولما قضى الزبير وطلحة وعائشة حجهم تآمروا في مقتل عثمان، فقال الزبير وطلحة لعائشة: (إن أطعتنا طلبنا بدم عثمان)، قالت: (وممن تطلبون دمه؟)، قالا: (إنهم قوم معروفون، وإنهم بطانة علي ورؤساء أصحابه، فاخرجي معنا حتى نأتي البصرة فيمن تبعنا من أهل الحجاز، وإن أهل البصرة لو قد رأوك لكانوا جميعا يدا واحدة معك).

فأجابتهم إلى الخروج، فسارت والناس حولها يمينا وشمالا، ولما فصل علي من المدينة نحو الكوفة بلغه خبر الزبير وطلحة وعائشة، فقال لأصحابه:

«(إن هؤلاء القوم قد خرجوا يؤمون البصرة) لما دبروه بينهم، فسيروا بنا على أثرهم، لعلنا نلحقهم قبل موافاتهم، فإنهم لو قد وافوها لمال معهم جميع أهلها».

قالوا: (سر بنا يا أمير المؤمنين)، فسار حتى وافى ذاقار، فأتاه الخبر بموافاة القوم البصرة، ومبايعة أهل البصرة لهم إلا بني سعد، فإنهم لم يدخلوا فيما دخل فيه الناس، وقالوا لأهل البصرة: (لا نكون معكم ولا عليكم).

ولما بلغ طلحة والزبير ورود علي رضي الله عنه بالجيوش، وقد أقبل حتى نزل (الخريبة) فعباهم طلحة والزبير، وكتباهم كتائب، وعقدا الألوية، فجعلا على الخيل محمد بن طلحة، وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير، ودفعا اللواء الأعظم إلى عبد الله بن حرام بن خويلد، ودفعا لواء الأزد إلى كعب بن سور، ووولياه الميمنة، ووليا قريشا وكنانة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ووليا أمر الميسرة عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وهو الذي قالت عائشة فيه: (وددت لو قعدت في بيتي ولم أخرج في هذا الوجه لكان ذلك أحب إلي من عشرة أولاد، لو رزقتهن من رسول الله صلى الله عليه ـ وآله وسلم ـ على فضل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعقله وزهده).

ووليا على قيس مجاشع بن مسعود، وعلى تيم الرباب عمرو بن يثربي، وعلى

قيس والأنصار وثقيف عبد الله بن عامر بن كريز، وعلى خزاعة عبد الله بن خلف الخزاعي، وعلى قضاعة عبد الرحمن بن جابر الراسي، وعلى مذحج الربيع بن زياد الحارثي، وعلى ربيعة عبد الله بن مالك.

قالوا: وأقام علي رضي الله عنه ثلاثة أيام يبعث رسله إلى أهل البصرة، فيدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة والدخول في الجماعة، فلم يجد عند القوم إجابة، فزحف نحوهم يوم الخميس لعشر مضين من جمادى الآخر، وعلى ميمنته الأشتر، وعلى ميسرته عمار بن ياسر، والراية العظمى في يد ابنه محمد بن الحنفية، ثم سار نحو القوم حتى دنا بصفوفه من صفوفهم، فواقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر، يدعوهم ويناشدهم، وأهل البصرة وقوف تحت رايتهم، وعائشة في هودجها أمام القوم.

قالوا: وإن الزبير لما علم أن عمارا مع علي رضي الله عنه ارتاب بما كان فيه، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحق مع عمار، وتقتلك الفئة الباغية»[1].

قالوا: ثم إن عليا دنا من صفوف أهل البصرة، وأرسل إلى الزبير يسأله، ليدنو، فيكلمه بما يريد، وأقبل الزبير حتى دنا من علي رضي الله عنه، فوقفا جميعا بين الصفين حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال له علي:

«ناشدتك الله يا أبا عبد الله، هل تذكر يوما مررنا أنا وأنت برسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ويدي في يدك، فقال لك رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم: أتحبه؟. قلت: نعم يا رسول الله. فقال لك: أما إنك تقاتله، وأنت له ظالم...؟».

فقال الزبير: (نعم، أنا ذاكر له)، ثم انصرف علي إلى قومه)[2].

---

(١) الأخبار الطوال، الدينوري: ص١٤٧.

(٢) الأخبار الطوال، الدينوري: ص١٤٤ ـ ١٤٩.

٢ـ إساءة بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام

(حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال:

«جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر وقالت: إن أبي أعطاني فدك وعلي وأم أيمن يشهدان».

فقال: ما كنت لتقولي على أبيك إلا الحق قد أعطيتكها ودعا بصحيفة من أدم فكتب لها فيها فخرجت فلقيت عمر، فقال: من أين جئت يا فاطمة؟ قالت:

«جئت من عند أبي بكر أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أعطاني فدك وأن عليا وأم أيمن يشهدان لي بذلك فأعطانيها وكتب لي بها».

فأخذ عمر منها الكتاب ثم رجع إلى أبي بكر فقال: أعطيت فاطمة فدك وكتبت بها لها؟ قال: نعم، فقال: إن عليا يجر إلى نفسه وأم أيمن امرأة، وبصق في الكتاب فمحاه وخرقه)[1].

(وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله أنه رضي الله تعالى عنه كتب لها بفدك ودخل عليه عمر رضي الله تعالى عنه فقال: ما هذا فقال كتاب كتبته فاطمة بميراثها من أبيها، فقال: مماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى، ثم أخذ عمر الكتاب فشقه)[2].

(فقال عمر لأبي بكر، رضي الله عنهما، انطلق بنا إلى فاطمة، فإنا أغضبناها، فانطلقا جميعا، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليا فكلماه، فأدخلهما

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٦، ص٢٧٤.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي: ج٣، ص٤٨٨.

عليها، فلما قعدا عندها، حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها، فلم ترد عليهما السلام، فتكلم أبو بكر فقال:

يا حبيبة رسول الله والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي، وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني مت، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلا أني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه ـ وأله ـ وسلم يقول: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، فقالت:

«أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم تعرفانه وتفعلان به؟».

قالا: نعم، فقالت:

«نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟».

قالا نعم: سمعناه من رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، قالت:

«فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه».

فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول:

«والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها».

ثم خرج باكيا)[١].

---

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري: ج١، ص٢٠.

٣- إساءة بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسن عليه السلام

(لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل أكثر ضجيجا ولا أعلى كلاما ولا أشد مبالغة في قول من يوم الاحتجاج اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان وعمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة بن أبي معيط والمغيرة بن أبي شعبة وقد تواطأوا على أمر واحد فقال عمرو بن العاص لمعاوية ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره فقد أحيا سنة أبيه وخفقت النعال خلفه إن أمر فأطيع وقال فصدق وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه وسببناه وسببنا أباه وصغرنا بقدره وقدر أبيه وقعدنا لذلك حتى صدق لك فيه، فقال لهم معاوية إني أخاف أن يقلدكم قلائد يبقى عليكم عارها حتى يدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قط إلا كرهت جنابه وهبت عتابه وإني إن بعثت إليه لأنصفنه منكم قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقنا ومرضه على صحتنا؟ قال: لا قال: فابعث إذا إليه فقال عتبة هذا رأي لا أعرفه والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم مما في أنفسكم عليه ولا يلقاكم بأعظم مما في نفسه عليكم وإنه لأهل بيت خصم جدل فبعثوا إلى الحسن فلما أتاه الرسول قال له يدعوك معاوية قال:

«ومن عنده».

قال الرسول: عنده فلان وفلان وسمى كلا منهم باسمه فقال الحسن عليه السلام:

«ما لهم خر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون».

ثم قال:

«يا جارية أبلغيني ثيابي».

ثم قال:

«أللهم إني أدرأ بك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم بما شئت وأنى شئت من حولك وقوتك يا أرحم الراحمين».

وقال للرسول:

«هذا كلام الفرج».

فلما أتى معاوية رحب به وحياه وصافحه، فقال الحسن:

«إن الذي حييت به سلامة والمصافحة أمن».

فقال معاوية: أجل إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقروك أن عثمان قتل مظلوما وأن أباك قتله فاسمع منهم ثم أجبهم بمثل ما يكلمونك فلا يمنعك مكاني من جوابهم، فقال الحسن:

«سبحان الله البيت بيتك والإذن فيه إليك والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا إني لأستحيي لك من الفحش وإن كانوا غلبوك على ما تريد إني لأستحيي لك من الضعف فبأيهما تقر ومن أيهما تعتذر وأما إني لو علمت بمكانهم واجتماعهم لجئت بعدتهم من بني هاشم مع أني مع وحدتي هم أوحش مني من جمعهم فإن الله عز وجل لوليي اليوم وفيما بعد اليوم فمرهم فليقولوا فاسمع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان فقال ما سمعت كاليوم إن بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان وكان ابن أختهم والفاضل في الإسلام منزلة الخاص برسول الله إثرة فبئس كرامة الله حتى سفكوا دمه اعتداء وطلبا للفتنة وحسدا ونفاسة وطلب ما ليسوا بآهلين لذلك مع سوابقه ومنزلته من الله ومن رسوله ومن الإسلام فيا ذلاه أن يكون حسن وسائر بني عبد المطلب قتلة

عثمان أحياء يمشون على مناكب الأرض وعثمان بدمه مضرج مع أن لنا فيكم تسعة عشر دما بقتلى بني أمية ببدر.

ثم تكلَّم عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أي ابن أبي تراب بعثنا إليك لنقررك أن أباك سم أبا بكر الصديق واشترك في قتل عمر الفاروق وقتل عثمان ذي النورين مظلوما وادعى ما ليس له حق ووقع فيه وذكر الفتنة وعيره بشأنها ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك فتركبون فيه ما لا يحل لكم ثم أنت يا حسن تحدث نفسك بأنك كائن أمير المؤمنين وليس عندك عقل ذلك ولا رأيه وكيف وقد سلبته وتركت أحمق في قريش وذلك لسوء عمل أبيك وإنما دعوناك لنسبك وأباك ثم إنك لا تستطيع أن تعيب علينا ولا أن تكذبنا به فإن كنت ترى أن كذبناك في شيء وتقولنا عليك بالباطل وادعينا عليك خلاف الحق فتكلم وإلا فاعلم أنك وأباك من شر خلق الله فأما أبوك فقد كفانا الله قتله وتفرد به وأما أنت فإنك في أيدينا نتخير فيك والله أن لو قتلناك ما كان في قتلك إثم عند الله ولا عيب عند الناس.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فكان أول ما ابتدأ به أن قال يا حسن إن أباك كان شر قريش لقريش أقطعه لأرحامها وأسفكه لدمائها وإنك لمن قتلة عثمان وإن في الحق أن نقتلك به وإن عليك القود في كتاب الله عز وجل وإنا قاتلوك به وأما أبوك فقد تفرد الله بقتله فكفانا أمره وأما رجاؤك الخلافة فلست فيها لا في قدحة زندك ولا في رجحة ميزانك.

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه فقال يا معشر بني هاشم كنتم أول من دب بعيب عثمان وجمع الناس عليه حتى قتلتموه حرصا على الملك وقطيعة للرحم واستهلاك الأمة وسفك دمائها حرصا على الملك وطلبا للدنيا الخبيثة وحبا لها وكان عثمان خالكم فنعم الخال كان لكم وكان صهركم فكان نعم الصهر لكم قد كنتم أول من حسده وطعن عليه ثم وليتم قتله فكيف رأيتم صنع الله بكم.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة فكان كلامه وقوله كله وقوعا في علي عليه السلام ثم قال يا حسن إن عثمان قتل مظلوما فلم يكن لأبيك في ذلك عذر بريء ولا اعتذار مذنب غير أنا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمه قتلة عثمان وإيوائه لهم وذبه عنهم أنه يقتله راض وكان والله طويل السيف واللسان يقتل الحي ويعيب الميت وبنو أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية وقد كان أبوك ناصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وأجلب عليه قبل موته وأراد قتله فعلم ذلك من أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم كره أن يبايع أبا بكر حتى أتي به قودا ثم دس عليه فسقاه سما فقتله ثم نازع عمر حتى هم أن يضرب رقبته فعمد في قتله ثم طعن على عثمان حتى قتله كل هؤلاء قد شرك في دمهم فأي منزلة له من الله يا حسن وقد جعل الله السلطان لولي المقتول في كتابه المنزل فمعاوية ولي المقتول بغير حق فكان من الحق لو قتلناك وأخاك والله ما دم علي بأخطر من دم عثمان وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوة ثم سكت.

فتكلم أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام فقال:

«الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا وآخركم بآخرنا وصلى الله على جدي محمد النبي وآله وسلم، اسمعوا مني مقالتي وأعيروني فهمكم وبك أبدأ يا معاوية إنه لعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك وما هؤلاء شتموني ولا سبني غيرك وما هؤلاء سبوني ولكن شتمتني وسببتني فحشا منك وسوء رأي وبغيا وعدوانا وحسدا علينا وعداوة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قديما وحديثا وإنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق مشاورين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحولنا المهاجرون والأنصار ما قدروا أن يتكلموا به ولا استقبلوني بما استقبلوني به فاسمعوا مني أيها الملأ المجتمعون المتعاونون عليّ ولا تكتموا حقا علمتموه ولا

تصدقوا بباطل إن نطقت به وسأبدأ بك يا معاوية ولا أقول فيك إلا دون ما فيك أنشدكم بالله هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كلتيهما وأنت تراهما جميعا وأنت في ضلالة تعبد اللات والعزى وبايع البيعتين كلتيهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح وأنت يامعاوية بالأولى كافر وبالأخرى ناكث ثم قال أنشدكم بالله هل تعلمون أن ما أقول حقا إنه لقيكم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ومعه راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ومعك يا معاوية راية المشركين وأنت تعبد اللات والعزى وترى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرضا واجبا ولقيكم يوم أحد ومعه راية النبي ومعك يا معاوية راية المشركين ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعك يا معاوية راية المشركين كل ذلك يفلج الله حجته ويحق دعوته ويصدق أحدوثته وينصر رايته وكل ذلك رسول الله عنه راضيا في المواطن كلها ساخطا عليك ثم أنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاصر بني قريظة وبني النظير ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار فأما سعد بن معاذ فخرج وحمل جريحا وأما عمر فرجع هاربا وهو يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار ثم لا يرجع حتى يفتح الله على يديه فتعرض لها أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار وعلي يومئذ أرمد شديد الرمد فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتفل في عينه فبرأ من رمده وأعطاه الراية فمضى ولم يثن حتى فتح الله عليه بمنه»[1].

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ج١، ص٢٧١ ـ ٢٧٣.

٤ـ إساءة بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحسين عليه السلام

(قال مروان بن الحكم يوما للحسين بن علي عليه السلام لولا فخركم بفاطمة بم كنتم تفتخرون علينا فوثب الحسين عليه السلام وكان عليه السلام شديد القبضة فقبض على حلقه فعصره ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه ثم تركه وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش فقال:

«أنشدكم بالله إلا صدقتموني إن صدقت أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مني ومن أخي أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي».

قالوا: اللهم لا، قال:

«واني لا أعلم أن في الأرض ملعون ابن ملعون غير هذا وأبيه طريدي رسول الله والله ما بين جابرس وجابلق أحدهما بباب المشرق والآخر بباب المغرب رجلان ممن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذا كان وعلامة قولي فيك أنك إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك».

قال: فو الله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب فانتفض وسقط رداؤه عن عاتقه)[١].

٥ـ إساءة بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعضهم

ورد في كتاب شذرات الذهب: (وفيها: قتل خالد بن الوليد: مالك بن نويرة في رهط من قومه بني حنظلة ممن منع الزكاة، وكان مالك من دهاة العرب، وكان عرض على خالد الصلاة دون الزكاة، فقال خالد: لا نقبل واحدة دون الأخرى، فقال مالك: كذلك كان يقول صاحبك.

---

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ج٢، ص٢٢٩ ـ ٣٠٠.

قال خالد: وما نراه لك صاحباً، والله لقد هممت أن أضرب عنقك، ثم تجادلا في الكلام، فقال خالد: إني قاتلك، قال: أو كذلك أمر صاحبك، قال خالد: وهذه ثانية بعد تلك، والله لأقتلنك، فكلمه عبد الله بن عمر، وأبو قتادة في استبقائه فأبى، فقال له مالك: فابعثني إلى أبي بكر فيكون هو الذي يحكم فيّ.

فقال خالد يا ضرار قم فاضرب عنقه، فقام فضرب عنقه واشترى زوجه من الفيء، وتزوجها، فأنكر عليه والصحابة، وسأل عمر أبا بكر قتل خالد بمالك، أو حده في زواج زوجته، فقال أبو بكر: إنه تأول فأخطأ، فسأله عزله، فقال: ما كنت لأشيم سيفاً[1] سله الله عليهم أبداً)[2].

(وأقبل طلحة والزبير حتى دخلا على عثمان، ثم تقدم إليه الزبير وقال: يا عثمان! ألم يكن في وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا تحمل آل بني معيط على رقاب الناس إن وليت هذا الأمر؟ قال عثمان: بلى، قال الزبير: فلم استعملت الوليد بن عقبة على الكوفة؟ قال عثمان: استعملته كما استعمل عمر بن الخطاب عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، فلما عصى الله وفعل ما فعل عزلته واستعملت غيره على عمله.

قال: فلم استعملت معاوية على الشام؟ فقال عثمان: لرأي عمر بن الخطاب فيه، قال: فلم تشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ولست بخير منهم؟ قال عثمان: أما أنت فلست أشتمك، ومن شتمته فما كان به عجز عن شتمي، فقال مالك ولعبد الله بن مسعود هجرت قراءته وأمرت بدوس بطنه، فهو في بيته لما به وقد أقرأه رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فقال عثمان: إن الذي بلغني من ابن مسعود أكثر مما بلغت منه، وذاك أنه قال: وددت أني وعثمان برمل عالج يحث علي وأحث عليه حتى يموت الأعجز منا.

---

(١) لأشيم: لأغمد.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لشهاب الدين الحنبلي: ج١، ص٢٧، أحداث السنة الحادية عشرة.

قال: فما لك ولعمار بن ياسر أمرت بدوس بطنه حتى أصابه الفتق؟ فقال: لأنه أراد أن يغري الناس بقتلي، قال: فما لك ولأبي ذر حبيب رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، سيرته حتى مات غريبا طريدا؟ قال: لما قد علمت أنه قد أفسد علي الناس ورماني بكل عيب، قال: فما لك وللأشتر وأصحابه نفيتهم إلى الشام وفرقت بينهم وبين أهاليهم وأولادهم؟ فقال: لأن الأشتر أغرى الناس بعاملي سعيد بن العاص وأضرم الكوفة عليّ نارا.

فقال الزبير: يا عثمان! إن هذه الأحداث التي عددنا عليك هي أقل أحداثك، ولو شئت أن أرد عليك جميع ما تحتج به لفعلت، وأراك تقرأ صحيفتك من حيث تريد، وأخاف عليك يوما له ما بعده من الأيام.

قال: وتقدم إليه طلحة بن عبيد الله فقال: يا عثمان! أهلكك بنو أمية وأطمعك فينا آل أبي معيط، وعند غب الصدر يحمد الورد أو يذم، وأنا لك كما كنت لنا، فإذا لم تكن لنا كنا عليك، ثم خرجوا من عنده)[1].

(تكاتب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل البصرة، وتراسلوا، وزورت كتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة وعلى لسان طلحة (بعد ما بلغهم خبر مروان وغضب علي على عثمان بسببه) وطلحة والزبير يدعون الناس إلى قتل عثمان ونصر الدين وأنه أكبر الجهاد اليوم.

فإن كتاب الله قد بدل، وسنة رسوله قد غيرت، وأحكام الخليفتين قد بدلت، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية أصحاب رسول الله والتابعين بإحسان، إلا أقبل إلينا، وأخذ الحق لنا، وأعطاناه، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحق على المنهاج الواضح الذي فارقتم عليه نبيكم، وفارقكم عليه الخلفاء، غلبنا على

(١) كتاب الفتوح، بن أعثم الكوفي: ج٢، ص٣٩٣ ـ ٣٩٤.

حقنا واستولى على فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكان الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة، وهي اليوم ملك عضوض، من غلب على شيء أكله، أليس هذا كتابكم إلينا؟ فبكى طلحة، فقال الأشتر: لما حضرنا أقبلتم تعصرون أعينكم، والله لا نفارقه حتى نقتله، وانصرف.)[1].

(لما قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء مالك لينظر من قام مقامه فرأى أبا بكر يخطب فقال أخو تيم قالوا نعم قال فوصي رسول الله الذي أمرني بموالاته قالوا الأمر يحدث بعده الأمر قال تالله ما حدث شيء ولكنكم خنتم الله ورسوله ونظر إليه شزرا وتقدم وقال ما أرقاك هذا المنبر ووصي رسول الله جالس فأمر قنفذا وخالدا بإخراجه فدفعاه كرها فركب راحلته وقال:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا قوم ما شاني وشان ابي بكر

إذا مات بكر قام بكر مقامه ... فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

يدت وتغشاه العشار كأنما ... يجاهد حمى ويقوم على جمر

فلو قام فينا من قريش عصابة ... أقمنا ولو كان المقام على الجمر

فبعث أبو بكر خالدا بجيش لقتله فجاء فلم يجد فيهم مؤذنا فقال: ارتددتم عن الإسلام فقالوا بل ذهب المؤذن إلى امتيار فلم يسمع وصافهم الحرب وكان مالك يعد بألف فارس فخافه خالد فنظر مالك إلى امرأته وهي تنظر الحرب وتستر وجهها بذراعيها فقال إن قتلني أحد فأنت فوقعت في نفس خالد فأعطاه الأمان فاستوثق منه فطرح سلاحه وأخذه وقتله وعرس بامرأته من ليلته وطبخ على رأسه لحم جزور لوليمته، فخرج متمم أخو مالك فاستعدى أبا بكر على خالد واستعان بعمر فقال عمر لأبي بكر اقتل خالدا بمالك فقال ما كنت لأقتل صحابيا بأعرابي في رده عمياء قال عمر

---

(١) البداية، ابن كثير: ج٧، ص١٧٣.

لم يرتد بل حمله على ذلك جمال امرأته فتشاتما فقال عمر لو ملكت أمرا لقتله به فلما ولى عمر جاءه متمم وقال قد وعدتني بقتله فقال ما كنت لأغير شيئا فعله صاحب رسول الله)[١].

(بعث رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي على سرية ومعه في السرية عمار بن ياسر، قال: فخرجوا حتى أتوا قريبا من القوم الذين أرادوا أن يصبحوهم، فنزلوا في بعض الليل، قال: وجاء القوم النذير فهربوا حيث بلغهم، فأقام رجل منهم كان قد أسلم هو وأهل بيته فأمر أهله فتحملوا وقال: قفوا حتى آتيكم، ثم جاء حتى دخل على عمار، فقال يا أبا اليقظان: إني قد أسلمت وأهل بيتي فهل ذلك نافعي إن أنا أقمت؟ فأنّ قومي قد هربوا حيث سمعوا بكم.

قال فقال له عمار فأقم، فأنت آمن فانصرف الرجل هو وأهله، قال فصبح خالد القوم فوجدهم قد ذهبوا فاخذ الرجل هو وأهله، فقال له عمار: إنه لا سبيل لك على الرجل، قد أسلم، قال وما أنت وذاك؟ أتجير عليّ وأنا الأمير؟ قال: نعم أجير عليك وأنت الأمير، إن الرجل قد آمن، ولو شاء لذهب كما ذهب أصحابه، فأمرته بالمقام لاسلامه، فتنازعا في ذلك حتى تشاتما.

فلما قدما المدينة اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فذكر عمار الرجل وما صنع، فأجاز رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم أمان عمار، ونهى يومئذ أن يجيز أحد على أمير فتشاتما عند رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم، فقال خالد يا رسول الله: أيشتمني هذا العبد عندك؟ أما والله لولاك ما شتمني فقال نبي الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

---

(١) الصراط المستقيم، علي البيضاني: ج٢، ص٢٨٢.

«كف يا خالد عن عمار، فإنه من يبغض عمارا يبغضه الله عزّ وجل، ومن يلعن عمارا يلعنه الله عز وجل».

ثم قام عمار فولى واتبعه خالد بن الوليد حتى أخذ بثوبه، فلم يزل يترضاه حتى رضي عنه)[١].

٦ـ إساءة بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام إليه

(ذِكْرُ الحكمين: قال: ثم اجتمع قراء أهل العراق وقراء أهل الشام بين العسكرين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوه واجتمعوا على ما فيه أن يحيوا ما أحيا القرآن وأن يميتوا ما أمات القرآن.

قال: فرضي الفريقان جميعا بالحكمين، وجعلوا المدة فيما بين ذلك إلى سنة كاملة، فقال أهل الشام: قد رضينا بعمرو بن العاص، وقال الأشعث بن قيس والذين صاروا خوارج بعد ذلك: فإننا قد رضينا بأبي موسى الأشعري، فإنه وافد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، وصاحب مقاسم أبي بكر وعامل عمر بن الخطاب.

فقال علي رضي الله عنه:

«ولكني لا أرضى أبا موسى ولا أوليه هذا الأمر».

فقال الأشعث بن قيس وزيد بن حصن ومسعر بن فدكي وعبد الله بن الكواء: فإننا لا نرضى إلا به، لأنه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه، فقال علي رضي الله عنه:

«فإنه ليس لي برضا وقد كان فارقني وخذل الناس عني، ثم هرب حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا عبد الله بن عباس قد جعلته حكما لي».

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي: ج٢، ص٣٩٤ ـ ٣٩٥.

فقال القوم: والله لا نبالي أنت كنت أو ابن عباس، إلا أننا لا نريد رجلا هو منك وأنت منه، فقال علي رضي الله عنه:

«فأنا أجعل الأشتر حكما».

فقال الأشعث: وهل سعر الأرض علينا إلا الأشتر! فقال الأشعث: حكمه أن يضرب الناس بعضهم بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد، فقال له الأشتر: أنت إنما تقول هذا القول لأن أمير المؤمنين عزلك عن الرئاسة ولم يرك أهلا لها.

فقال الأشعث: والله ما فرحت بتلك الرئاسة ولا حزنت لذلك العزل، فقال علي رضي الله عنه:

«ويحكما! إن معاوية لم يكن ليختار لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه ونظره إلا عمرو بن العاص، وإنه لا يصلح للقرشي (إلا مثله)، وهذا عبد الله بن عباس فارموه به، فإن عمرا لا يعقد عقدة إلا حلها، ولا يبرم أمرا إلا نقضه، ولا ينقض أمرا إلا أبرمه».

فقال الأشعث ومن معه: لا والله لا يحكم فينا مضريان أبدا حتى تقوم الساعة! ولكن يكون رجل من مضر ورجل من اليمن، فقال علي رضي الله عنه:

«إني أخاف أن يخدع يمانيكم، فإن عمرو بن العاص ليس من الله في شيء».

فقال الأشعث: والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من اليمن أحب إلينا من أن يكون ما نحب وهما مضريان، فقال علي رضي الله عنه:

«وقد أبيتم إلا أبا موسى؟».

قالوا: نعم، قال عليه السلام:

«فاصنعوا ما أردتم، اللهم إني أبرأ إليك من صنيعهم!»[1].

---

(١) كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي: ج٤، ص١٩٧ ـ ١٩٩.

٧- إساءة بعض أصحاب الإمام الحسن عليه السلام إليه

(خرج الحسن بن علي حتى أتى ساباط المدائن، فأقام بها أياما، فلما أراد الرحيل قام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس! إنكم بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، والله لقد أصبحت وما أنا محتمل على أحد من هذه الأمة ضغنة في شرق ولا غرب ولما تكرهون في الجاهلية. والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون من الفرقة والخوف والتباغض والعداوة - والسلام -».

قال: فلما سمع الناس هذا الكلام من الحسن كأنه وقع بقلوبهم أنه خالع نفسه من الخلافة ومسلم الأمر لمعاوية، فغضبوا لذلك، ثم بادروا إليه من كل ناحية، فقطعوا عليه الكلام، ونهبوا عامة أثقاله، وخرقوا ثيابه، وأخذوا مطرفا كان عليه، وأخذوا أيضا جارية كانت معه، وتفرقت عنه عامة أصحابه.

فقال الحسن عليه السلام:

«لا حول ولا قوة إلا بالله».

قال: فدعا بفرسه فركب، وسار وهو مغموم لما قد نزل به من كلامه، وأقبل رجل من بني أسد يقال له سنان بن الجراح حتى وقف في مظلم ساباط المدائن، فلما مر به الحسن بادر إليه فجرحه بمعول كان معه جراحة كادت تأتي عليه.

قال: فصاح الحسن صيحة وخر عن فرسه مغشيا عليه، وابتدر الناس إلى ذلك الأسدي فقتلوه.

قال: وأفاق الحسن من غشائه وقد ضعف، فعصبوا جراحه وأقبلوا به إلى المدائن، قال: وعامل المدائن يومئذ سعد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد، قال: فأنزل الحسن في القصر الأبيض، وأرسل إلى الأطباء فنظروا إلى جراحته وقالوا:

ليس عليك بأسه يا أمير المؤمنين، قال: فأقام الحسن بالمدائن يداوى)[1].

(لما صالح الحسن معاوية لما ناله من أهل الكوفة وما نزل به أشار عمرو بن العاص على معاوية ـ وذلك بالكوفة ـ أن يأمر الحسن فيقوم فيخطب الناس، فكره ذلك معاوية، وقال: ما أريد أن يخطب بالناس، قال عمرو: لكني أريد أن يبدو عيه في الناس بأنه يتكلم في أمور لا يدْرِي ما هي، ولم يزل به حتى أطاعه؟

فخرج معاوية فخطب الناس، وأمر رجلاً أن ينادي بالحسن بن علي، فقام إليه، فقال: قم يا حسن فكلم الناس؛ فقام فتشهد في بديهته.

ثم قال:

«أما بعد أيها الناس، فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دُوَلٌ، قال الله عزّ وجل لنبيّه محمد صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم:

﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[2].

ثم قال في كلامه ذلك:

يا أهل الكوفة، لو لم تُذْهَلْ نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذُهِلت: مَقْتَكم لأبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني، واني قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا».

وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سُرَادل الحسن وَرَحْله، وطعنوا بالخنجر في جوفه، فلما تيقن ما نزل به انقاد إلى الصلح)[3].

---

(١) كتاب الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي: ج٤، ص٢٨٦ ـ ٢٨٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ١٠٩ و١١٠ و١١١.

(٣) مروج الذهب، المسعودي: ج١، ص٣٤٨.

ـ أفضلية أصحاب الحسين عليه السلام

قبل الخوض في هذا الموضوع نود أن نبيّن أن المقارنة لا تتم إلاّ بين أصحاب أهل الحق فقط دون أصحاب أهل الباطل فنقول: رغم كفاية شهادة الإمام المعصوم الحسين بن علي عليهما السلام وحجة الله في زمانه وسيد شباب أهل الجنة على أفضلية أصحابه، إلاّ أن المقارنة بين مواقف أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وبين مواقف بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعض أصحاب أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام تظهر لنا مدى صدق أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وإخلاصهم له، وعند تأملك لما أطلعت عليه من تلك المواقف لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام ومقارنة ذلك مع ما سنطلعك عليه من مواقف أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ستحكم بأفضلية أصحاب الإمام الحسين عليه السلام إذا نظرت بعين الانصاف:

ـ المعصوم يشهد

قال أبو مخنف: (وحدّثني أيضا الحارث بن حصيرة عن عبد الله بن شريك العامري عن علي بن الحسين قالا: جمع الحسين وأصحابه بعدما رجع عمر بن سعد، وذلك عند قرب المساء قال علي بن الحسين:

«فدنوت منه لأسمع وأنا مريض فسمعت أبي وهو يقول لأصحابه: أثني على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن وفقهتنا في الدين وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ولم تجعلنا من المشركين أما بعد فإني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعا خيراً ألا وإني أظن يوما من هؤلاء الأعداء غدا ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً

في حل ليس عليكم مني ذمام هذا ليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً»)[1].

ففي هذه الصورة يتجلى نكران الذات من الإمام الحسين عليه السلام إذا سمح لأصحابه بالنجاة بعد أن انطبق علمه على الواقع من جهة إصرار الجيش الأموي على قتاله، كما أنه شهد لهم بالأفضلية على غيرهم من الأصحاب الذين علم بصحبتهم سواء كانوا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أمير المؤمنين أو الإمام الحسن بل نستطيع القول إنهم أفضل من أصحاب الأنبياء عليهم السلام الذين ترددوا في نصرة الأنبياء عليهم السلام أو الذين خذلوهم أو شككوا بهم، إذ إن الإمام الحسين عليه السلام معصوم لا يقول باطلا فهذه شهادة حق لا شك فيها تؤكد أفضلية أصحابه على غيرهم.

- مواقف الأصحاب

بعد أن أذن الإمام عليه السلام لأصحابه بالنجاة واتخاذ الليل وسيلة للتخلص من المصير المر ألا وهو سفك المهج وقتل النفوس، رد الأصحاب على قول إمامهم بردود تؤكد وصف الإمام لهم بأنهم أولى وخير من غيرهم كما جاء ذلك في تاريخ الطبري.

(فلما كان الليل قال ـ عليه السلام ـ:

«هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري».

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لِمَ نفعل لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول العباس بن علي عليهما السلام ثم إنهم تكلموا

---

(١) تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير الطبري: ج٣، ص١٠٣٨.

بهذا ونحوه فقال الحسين ـ عليه السلام ـ:

«يا بني عقيل، حسبكم من القتل بمسلم اذهبوا قد أذنت لكم».

قالوا: فما يقول الناس؟ يقولون: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا لا والله لا نفعل ولكن تفديك أنفسنا، وأموالنا وأهلونا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك!

قال أبو مخنف: حدثني عبد الله بن عاصم عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال: فقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلي عنك؛ ولما نعذر إلى الله في أداء حقك أما والله حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك، قال:

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم فيك والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا! ثم أحرق حياً! ثم أذر يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك! لا أفعل ذلك! وإنما هي قتلة واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

قال: وقال زهير بن القين: والله لوددت أني قتلت، ثم نشرت، ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

قال: وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً في وجه واحد فقالوا: والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قتلنا كنا وفينا، وقضينا ما علينا)[1].

---

(١) تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير الطبري: ج٣، ص١٠٣٩.

وفضلا على هذه الردود التي تبين حقيقة رجحانهم على غيرهم من الأصحاب الذين سبقوهم هناك نقاط نقف عليها تؤكد هذا الفضل وهي كما يلي:

١ـ كان إقدام أصحاب الإمام الحسين عليه السلام نحو نصرته نتيجة الإيمان واليقين بما عليه الإمام عليه السلام دون تردد أو شك.

٢ـ كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام عند قتالهم بين يديّ صاحبهم يشعرون بوجود نسبة من النجاة أما أصحاب الإمام الحسين عليه السلام قاتلوا بين يديه رغم يقينهم بعدم النجاة.

٣ـ إن الإمام الحسين عليه السلام سرح أصحابه وجعلهم في حلٍ من بيعته إلاّ أنهم لم يتركوه ولم يخذلوه وهذا لم يحصل مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أمير المؤمنين أو الإمام الحسن عليهما السلام بل حصل العكس من ذلك، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام يحثون أصحابهم على الجهاد ولم يرخصوا لهم تركه إلاّ أننا نجد أن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم تركوه في حنين إلا عشرة أفراد كما ورد ذلك في كتب التاريخ.

جاء في تاريخ الطبري أنه (حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة فكانوا اثني عشر ألفاً، واستعمل رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميراً على من غاب عنه من الناس، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن).

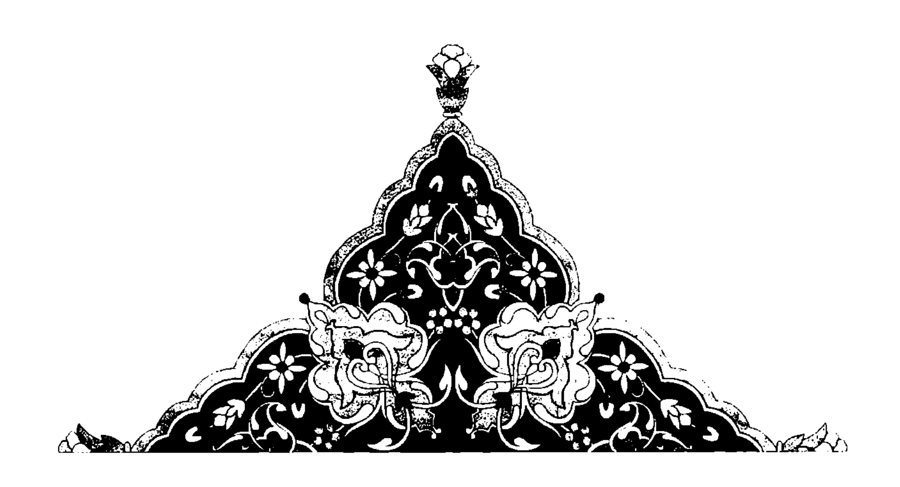
(حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه، قال: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد

من أودية تهامة أجوف حطوط إنما ننحدر فيه انحداراً، قال: وفي عَماية الصبح، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي فكمنوا لنا في شعابه، وأحنائه، ومضايقه؛ قد أجمعوا وتهيؤوا وأعدوا فو الله ما راعنا، ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدّت علينا شدة رجل واحد، وانهزم الناس أجمعون فانشمروا لا يلوي أحد على أحد؛ وانحاز رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم ذات اليمين، ثم قال:

«أين أيها الناس؟ هلم إلي أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله».

قال: فلا شيء احتملت الإبل بعضها بعضاً، فانطلق الناس إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته)[1].

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص٤٦٣ ـ ٤٦٤.



الخطبة السابعة عشرة

ومن خطبة له عليه السلام[1]

---

(١) تاريخ الطبري: ٥، ٤٢٤. ارشاد المفيد: ٢، ٩٧ ـ ٩٨. إعلام الورى: ١، ٤٥٨. مقتل الحسين ـ عليه السلام ـ للخوارزمي: ١، ٢٥٣. روضة الواعظين: ١، ١٨٥. الكامل في التاريخ: ٤، ٦١. مثير الأحزان: ٥١. الملهوف: ١٤٥. استشهاد الحسين ـ عليه السلام ـ لابن كثير: ٨٣. جواهر المطالب: ٢، ٢٨٥. البداية والنهاية: ٨، ١٧٨. جمهرة خطب العرب: ٢، ٥٢.

خطبها في كربلاء، وهي من أفصح كلامه عليه السلام، وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالهم، ويذكّرهم بمنزلته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فدعا براحلته فركبها ونادى بأعلى صوته: «يا أهلَ العراقِ» ـ وَجُلُّهُمْ يَسْمَعُونَ ـ فقال:

نص الخطبة

«أيها النّاسُ اسْمعُوا قوْلي ولا تَعْجلُون حتّى أعِظَكُمْ بما يَحِقُ لَكُمْ عَلَيَّ وحَتَّى أُعْذِرَ إليْكُمْ فَإنْ أعْطَيْتُمُوني النّصفَ كُنْتُمْ بِذلِكَ أسْعَدَ. وَإنْ لَمْ تُعطُوني النّصفَ مِنْ أنفُسِكُمْ فَأجْمِعُوا رَأيَكُمْ ثُمّ لا يَكُنْ أمْرُكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إليَّ ولا تُنْظِرُون، إنَّ وَليِّيَ اللهُ الّذِي نَزّلَ الكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلّى الصَالحين».

ثم حمدَ الله وأثنى عليه وذكرَ الله بما هو أهله، وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ملائكة الله وأنبيائه، فلم يُسمع متكلّمٌ قطُّ قبله ولا بعده أبلغ في منطقٍ منه، ثمّ قال:

«أمَّا بَعْدُ، فَانْسبُوني فَانْظُرُوا مَنْ أنا، ثُمَّ ارْجِعُوا إلَى أنْفُسِكُمْ وَعاتِبُوها، فَانْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلي وانْتِهاكُ حُرْمَتِي؟.

ألَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ، وابْنَ وَصِيِّهِ وابْنِ عَمِّهِ وَأوَّلِ المُؤْمِنِينَ المُصَدِّقِ لِرَسُولِ اللهِ بما جاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟ أوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُهَداءِ عَمَّ أبِي[1]؟

---

(١) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، من قريش: عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأحد صناديد قريش وساداتهم في الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ بمكة. وكان أعزّ قريش وأشدها شكيمة. ولما علم أن أبا جهل تعرّض للنبي ←

أَوَلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيارُ[١] فِي الجَنَّةِ بِجَناحَيْنِ عَمِّي؟

أَوَلَمْ يَبْلُغْكُمْ ما قالَ رسولُ اللهِ لي ولأخي: «هذانِ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٢]؟!.

فَإِنْ صَدَّقْتُمُوني بِما أَقُولُ وَهُوَ الحَقُّ، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمْقُتُ عليه أَهْلَهُ. وَإِنْ كَذَّبْتُمُوني فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ لَوْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذلِكَ أَخْبَرَكُمْ، سَلُوا جابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الأَنْصارِي[٣] وَأَبا سَعِيدٍ الخُدْرِي[٤] وَسَهْلَ بْنَ

←

صلى الله عليه وآله وسلم ونال منه، فقصده حمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وإن حمزة سيمنعه. وكفوا عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. وهاجر حمزة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، وحضر وقعة بدر وغيرها. وأول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لحمزة. وكان شعار حمزة في الحرب ريشة نعامة يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، وفعل الأفاعيل. وقتل يوم أحد (سنة ٣هـ) فدفنه المسلمون في المدينة، وانقرض عقبه. الإصابة: ٢، ١٠٥/١٨٣. سير أعلام النبلاء: ١، ١٧١/١٥. الأعلام: ٢، ٢٧٨.

(١) جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم: صحابي هاشمي. من شجعانهم. يقال له «جعفر الطيار» وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وكان أسن من علي بعشر سنين. وهو من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة، فقدم عليه جعفر. وهو بخيبر (سنة٧هـ) وحضر وقعة مؤتة بالبلقاء (من أرض الشام) فنزل عن فرسه وقاتل، ثم حمل الراية وتقدّم صفوف المسلمين، فقطعت يمناه، فحمل الراية باليسرى، فقطعت أيضاً، فاحتضن الراية إلى صدره، وصبر، حتى وقع شهيداً (سنة ٨هـ) وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الله عوّضه عن يديه جناحين في الجنّة. الإصابة: ١، ٥٩٢/١١٦٩. سير أعلام النبلاء: ١، ٢٠٦/٣٤. الأعلام: ٢، ١٢٥.

(٢) احقاق الحق: ٩، ٢٢٩.

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي، من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة. له ولأبيه صحبة. غزا تسع عشرة غزوة. وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، أدرك الإمام محمد الباقر عليه السلام وأبلغه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه مات سنة (٧٨هـ). الإصابة: ١، ٥٤٦/١٠٢٨. سير أعلام النبلاء: ٣، ١٨٩/٣٨. الأعلام: ٢، ١٠٤.

(٤) أبو سعيد الخُدري: سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد: صحابي، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة. توفي في المدينة سنة (٧٤هـ) الإصابة: ٣، ٦٥/٣٢٠٤. سير أعلام النبلاء: ٣، ١٦٨/٢٨. الأعلام: ٣، ٨٧.

سَعَد السَاعِدِي[١] وزَيْدَ بْنَ أرْقَم[٢] وَأنَس بْنَ مالِك[٣]، يُخْبِرُوكُمْ أنَّهُمْ سَمِعُوا هذِهِ المَقالَةَ مِنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم لِي وَلأخِي، أمَا فِي هذا حاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟!».

فقال له شمر بن ذي الجوشن[٤]: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول، فقال له حبيب بن مُظَهَّر[٥]:

والله إنّي لأراكَ تَعْبُدُ الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهدُ أنّك صادقٌ ما تدري ما يقول، قد طبعَ اللهُ على قلبك.

---

(١) سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري، من بني ساعدة: صحابي، عاش نحو مائة سنة توفي سنة (٩١هـ). الإصابة: ٣، ١٦٧/ ٣٥٤٦. سير أعلام النبلاء: ٣، ٤٢٢/ ٧٢. الأعلام: ٣، ١٤٣.

(٢) زيد بن أرقم الخزرجي الأنصاري: صحابي. غزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي عليه السلام، ومات بالكوفة (سنة٦٨هـ). الإصابة: ٢، ٤٨٧/٢٨٨٠. سير أعلام النبلاء: ٣، ٢٧/١٦٥. الأعلام: ٣، ٥٦.

(٣) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة. صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخادمه. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنة ٩٣ هـ وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. الإصابة: ١، ٢٧٧/٢٧٥. سير أعلام النبلاء: ٣، ٦٢/٣٩٥. الأعلام: ٢، ٢٤.

(٤) شمر بن ذي الجوشن، (واسمه شرحبيل) ابن قرط الضبابي الكلابي، أبو السابغة: من كبار قتلة الحسين عليه السلام. كان في أول أمره من ذوي الرئاسة في «هوازن» موصوفاً بالشجاعة، وشهد يوم «صفين» مع علي عليه السلام. ثم أقام في الكوفة، إلى أن كانت الفاجعة بمقتل الحسين فكان من قتلته. وأرسله عبيد الله بن زياد مع آخرين إلى يزيد بن معاوية في الشام، يحملون رأس الشهيد، قتله أصحاب المختار في «الكلتانية» من قرى خوزستان – بين السوس والصيمرة – وألقيت جثته للكلاب (سنة ٦٦هـ). لسان الميزان: ٣، ١٥٢. الأعلام: ٣، ١٧٥.

(٥) حبيب بن مُظَهّر بن رئاب بن الأشتر بن جخوان بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قيس بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، أبو القاسم الأسدي الفقعسي. كان صحابياً رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل تابعياً، ذكره ابن الكلبي، وقال أهل السير: إنّ حبيباً نزل الكوفة، وصحب علياً في حروبه كلّها، وكان من خاصته وحملة علومه. وكان ممن كاتب الحسين عليه السلام. ولما وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء التحق حبيب بركبه واستُشهِد بين يديه (سنة ٦١هـ). إبصار العين: ١٠٠. أعيان الشيعة: ٤، ٥٥٣. الأعلام: ٢، ١٦٦.

ثمّ قال لهم الحسين عليه السلام:

«فَإنْ كُنْتُمْ في شَكٍّ مِنْ هذا، أفَتَشُكُّونَ أنِّي ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشر والمغرب ابْنُ بِنْتِ نَبيٍّ غَيْري فِيكُمْ وَلا في غَيْرِكُمْ. وَيْحَكُمْ أتَطْلُبوني بِقَتْلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ، أوْ مالٍ لَكُمْ استهلَكْتُهُ، أوْ بِقصاصِ جِراحَةٍ؟!».

فَأخَذوا لا يكلّمونَه، فنادى:

«يا شَبَثُ بْنُ رِبْعي، يا حَجّارُ بْنُ أبْجَرِ[1]، يا قَيْسُ بْنُ الأشْعَث[2]، يا يَزيدُ بْنُ الحارِثِ[3]، ألَمْ تَكْتُبوا إليَّ أنْ أيْنَعَتْ الثِمارُ واخْضَرَّ الجَنابُ[4]، وإنّما تَقْدِمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدَةٍ؟!».

فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن أنزل على حكم بني عمّك، فإنّهم لن يُرُوْك إلاّ ما تُحبُّ. فقال له الحسين ـ عليه السلام ـ:

«لا وَاللهِ لا أُعْطِيكُمْ بِيَدي إعْطاءَ الذَّليل. ولا أفِرُّ فرارَ العبيد».

ثم نادى:

«يا عِبادَ الله، إنّي عُذْتُ بِرَبّي وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ، أعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِساب».

ثمّ إنّه أناخَ راحلته).

---

(١) شبث بن ربعي التميمي اليربوعي، أبو عبد القدوس: شيخ مضر وأهل الكوفة، في أيامه. أدرك عصر النبوة، ولحق بسجاح المتنبئة، ثم عاد إلى الإسلام، وثار على عثمان. وكان ممن قاتل الحسين عليه السلام. ثم ولي شرطة الكوفة، وخرج مع المختار الثقفي، ثم انقلب عليه، وأبلى في قتاله بلاءً حسناً. وتوفي بالكوفة (سنة ٧٠هـ). الأعلام: ٣، ١٥٤. حجار بن أبجر.... لم أعثر على ترجمته.

(٢) قيس بن الأشعث... لم أعثر على ترجمته.

(٣) يزيد بن الحارث... لم أعثر على ترجمته.

(٤) أينع الثمر: أدرك وطاب وحان قطافه. والجناب: فلان رحبُ الجناب، وخصيبُ الجناب: سخيّ.

المعنى العام

(أيُها النّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَلا تَعْجَلُونِ حَتّى أعِظَكُمْ بِما يَحِقُ لَكُمْ عَلَيَّ وحتّى أعْذر إلَيْكُمْ، فإنْ أعْطَيْتُمُوني النَّصَفَ كُنْتُمْ بِذلِكَ أسْعد، وإنْ لَمْ تُعطُوني النصَفَ مِنْ أنْفُسِكُمْ فَأجْمِعُوا رَأيَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أمْرُكُمْ غُمّةً ثُمَّ اقْضُوا إليَّ ولا تُنْظِرُونِ، إنَّ وَليِّيَ اللهُ الّذِي نَزّلَ الكِتابَ وَهُوَ يَتوَلّى الصالِحينَ).

أيها الناس أصغوا إلى حديثي ولا تسرعوا إلى قتلي حتى أرشدكم وأنصحكم بما هو واجب ثابت لكم عليّ وحتى أصير معذوراً إليكم لا حجة لكم عليّ، فإن منحتموني العدل والإنصاف فستكونوا بذلك العدل على خير وسرور، وإن لم تمنحوني هذا العدل من ذواتكم فاتفقوا على رأي واحد ثم لا يكن حالكم عليكم مبهماً مخفيا ثم أدّوا وانهوا أمركم ولا تتأخروا، إن ناصري ومتولي أمري هو الله الذي نزل القرآن وهو الذي يملك ويدبّر وضع الأخيار الذين صلحوا في طاعتهم لله تعالى.

((أمّا بَعْدُ، فانْسِبُوني فَانْظُرُوا مَنْ أنا، ثُمَّ ارْجِعُوا إلَى أنْفُسِكُمْ وَعاتِبُوها، فَانْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلي وانْتِهاكُ حُرْمَتِي؟.

ألَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وابْنَ وَصِيِّهِ وابْنِ عَمِّهِ وَأوَّلِ المؤْمِنِينَ المُصَدِّقِ لِرَسُولِ اللهِ بما جاء بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟

أوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُهَداءِ عَمَّ أبِي؟

أوَلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيارُ في الجَنّةِ بِجَناحَيْنِ عَمّي؟

أوَلَمْ يَبْلُغْكُمْ ما قال رسول الله لي ولأخي: «هذانِ سَيِّدا شَبابِ أهْلِ الجَنَّةِ»)؟!.

أما بعد ردوني إلى أصلي وتأملوا من أنا، ثم أوبوا وثوبوا إلى ذواتكم وخاطبوها وذكّروها، وتفكروا هل ينفعكم قتلي وهل يجوز لكم التجاوز على مقامي

وما حرم عليكم مني؟

أولست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد نبيكم، وابن علي بن أبي طالب الذي قام مقام النبي في قيادة الأمة وابن عمه وأول من أسلم وآمن وصدق بالرسول الذي بعثه الله تعالى بشريعة الإسلام وكتابه القرآن؟

أوليس حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيد الشهداء هو عم أبي أمير المؤمنين عليه السلام؟

أوليس جعفر بن أبي طالب الذي قطعت يداه في الحرب وأبدله الله تعالى بجناحين يطير بهما في الجنة هو عمي وشقيق أبي علي بن أبي طالب؟

ألم يصل إليكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي ولأخي:

هذان، (أي الحسنان) سيدا شباب أهل الجنة؟

(فَإنْ صَدَّقْتُمُوني بِما أقُولُ وهُوَ الحَقُّ، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُنْذُ عَلِمْتُ أنَّ اللهَ يَمْقُتُ عليه أهْلَهُ، وَإنْ كَذَّبْتُمُوني فَإنَّ فِيكُمْ مَنْ لَوْ سَألْتُمُوهُ عَنْ ذلِكَ أخْبَرَكُمْ، سَلُوا جابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الأنْصاري وَأبا سَعِيدٍ الخُدْري وسَهْلَ بْنَ سَعْد السَاعِدِي وزَيْدَ بْنَ أرْقَم وَأنَس بْنَ مالِك، يُخْبِرُوكُمْ أنَّهُمْ سَمِعُوا هذِهِ المَقالَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لي وَلأخِي، أمَا في هذا حاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟!).

فإن اعترفتم وتيقنتم قولي وهو الواقع الثابت الذي لا كذب فيه، والله ما قصدت أن أخبر بخلاف ما هو واقع وصحيح منذ أن عرفت أن الله تعالى يكره الكذب وأهله، وإن أنكرتم قولي ولم تصدقوني فإن في أمتكم من لو سألتموه عما حدثتكم به لأخبركم بصدق قولي وصحته، ومن هؤلاء جابر بن

عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، فهؤلاء ممن سمع مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي ولأخي وسيخبرونكم ويزيدونكم بما قال في حقنا، ألا يكفي هذا في ردعكم عن قتلي أو يكون حاجباً ومانعا من إراقة دمي؟

(فَإِنْ كُنْتُمْ في شَكٍّ مِنْ هذا، أَفَتَشُكُّونَ أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْري فِيكُمْ وَلا في غَيْرِكُمْ، وَيْحَكُمْ أَتَطْلُبُوني بِقَتْلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ، أَوْ مالٍ لَكُمْ اسْتَهلَكْتُهُ، أَوْ بِقِصاصِ جِراحَةٍ؟!).

فإن كنتم في ريب من قولي ولا تصدقوني في ذلك، أترتابون في أني ابن فاطمة الزهراء بنت نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فوالله ما على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيري فيكم ولا في غيركم من الأمم، ويل لكم أتريدوني لتقتصوا مني في قتل منكم قتلته أو أهلكته، أو مالٍ لكم أنفقته وأنفدته، أو تطلبوني بجناية جرح أوقعتها على أحد منكم؟

(يا شَبَثُ بْنُ رِبْعي، يا حَجّارُ بْنُ أَبْجَرِ، يا قَيْسُ بْنُ الأَشْعَث، يا يَزيدُ بْنُ الحارِثِ، أَلَمْ تَكْتُبوا إِلَيَّ أَنْ أَيْنَعَتْ الثِمارُ واخْضَرَّ الجَنابُ، وَإنَّما تَقْدِمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدَةٍ؟!).

ألم تراسلوني وتخبروني بأنه حان وقت قطاف الثمار، وصارت الأرض أو الناحية التي نحن فيها شديدة الخضرة ـ كناية عن تهيئة الأمور وتمامها ـ وإذا جئت ستجيء على أنصار وأعوان حاضرة ومستعدة.

«لا وَاللهِ لا أُعْطِيكُمْ بَيَدي إعْطاءَ الذَّليلِ، ولا أَفِرُّ فِرارَ العبيد».

يقسم الإمام عليه السلام إنه لا ينقاد إليهم كما ينقاد الخاضع والخانع، ولا يهرب منهم كما يهرب المملوك من سيده.

﴿يا عِبادَ الله، إنّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أنْ تَرْجُمُونِ، أعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِساب﴾.

يا من هم ملك لله تعالى إني أعتصم بالله وألجأ إليه في أن ترموني بالحجارة، وأعتصم بالله تعالى من كل جاحد قاهر لا يعترف بيوم القيامة.

ـ في الإنصاف سعادة

«فَإنْ أعْطَيْتُمُوني النَّصَفَ كُنْتُمْ بِذلِكَ أسْعَدَ... الخ».

أنصف الشيء: عدل، أنصف فلانا: عامله بالعدل، أعطى له حقه[1].

الإنصاف: هو أن تعدل مع الآخرين ولا تبخسهم حقهم وإن كان من نفسك وما يؤيد ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«العَدْلُ الإنْصافُ»[2].

حثت الأحاديث الشريفة على ضرورة التحلي بهذه الفضيلة التي لا يتصف بها إلاّ أهل الإيمان والصلاح، ولا يتزين بها إلاّ الأشراف من الناس فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الإنْصافُ شيمَةُ الأشْرافِ»[3].

فللإنصاف آثار رائعة نلمس من خلالها السعادة التي يعيشها المنصف وهذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في الأحاديث الآتية:

١ـ الإنصاف يوجب المثوبة العظيمة كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) المعجم الوسيط: ص٩٢٦.

(٢) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٢٦٧، ح٦١. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٤٢٧، ح١١٩٩١.

(٣) غرر الحكم: ٥٧٠. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٠، ح٢٠١٩٩.

«إنَّ أعْظَمَ المَثوبَةِ مَثوبَةُ الإنْصافِ»[1].

٢ــ إذا حرص المرء على إدامة العلاقة مع الناس بالمودة والمحبة فليتصف بالإنصاف وهذا ما أكده قوله عليه السلام:

«الإنْصافُ يَسْتَديمُ المَحَبَّةَ»[2].

٣ـ الإنصاف يوجب الوحدة والأخوّة ويمنع التنازع والخصومة كما ورد في قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«الإنْصافُ يَرْفَعُ الخِلافَ، وَيُوجِبُ الائتِلافَ»[3].

٤ــ الإنصاف وسيلة للتلاقي والاستمرارية في العلاقات كما في قوله عليه السلام:

«بالنَّصفَةِ يَكْثُرُ المُواصِلونَ»[4].

٥ـ الإنصاف يوجب توسيع الرقعة الاجتماعية للفرد إذ جاء عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«المُنْصِفُ كَثيرُ الأوْلياءِ والأوِدّاءِ»[5].

٦ــ الإنصاف يورث الاستقرار والطمأنينة وعدم التعب كما ورد عنه عليه السلام:

«الإنْصافُ راحَةٌ»[6].

---

(١) غرر الحكم: ٣٣٨٧. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٠، ح٢٠١٩٤.

(٢) غرر الحكم: ١٠٧٦. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٠، ح٢٠١٩٦.

(٣) غرر الحكم: ١٧٠٢. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٠، ح٢٠١٩٨.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة: ٢٢٤. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٠، ح٢٠٢٠٥.

(٥) غرر الحكم: ٢١١٦. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٠، ح٢٠٢٠٦.

(٦) غرر الحكم: ١٦. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٠، ح٢٠٢٠٠.

٧ـ الإنصاف يخلع على المنصف الجمال المعنوي، قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«تاجُ الرَّجُلِ عَفافُهُ. وَزَينُهُ إنصافُهُ»[1].

٨ـ الإنصاف يدل على سخاء وجود صاحبه، حيث قال عليه السلام:

«المُنْصِفُ كَريمٌ، الظّالِمُ لَئيمٌ»[2].

٩ـ الإنصاف يدفع عنك السوء والضرر، بل قد يدفع عن غيرك ممن أنت معهم، كما جاء في قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في وصّيته لابن مسعود:

«يا بنَ مَسْعودٍ، أنْصِفِ النّاسَ مِنْ نَفْسِكَ. وانْصَحِ الأُمَّةَ وارْحَمْهُمْ، فَإذا كُنْتَ كَذلِكَ وَغَضِبَ اللهُ عَلى أهْلِ بَلدَةٍ أنْتَ فيها وأرادَ أنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِمُ العَذابَ نَظَرَ إلَيْكَ فَرَحِمَهُمْ بِكَ، يَقُولُ اللهُ تَعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[3]»[4].

١٠ـ من أراد العزة والابتعاد عن الذلة فليكن منصفا كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألاَ إنَّهُ مَنْ يُنْصِفِ النّاسَ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إلاّ عِزّاً»[5].

وبعد التأمل في الآثار الرائعة التي يورثها الإنصاف نجد أن المنصف يعيش السعادة الحقيقية ولكي يتضح العنوان (في الإنصاف سعادة) نجري هذا التأليف بين أحاديث أهل البيت عليهم السلام وكما يلي:

---

(١) غرر الحكم: ٤٤٩٥. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٠، ح٢٠٢٠١.

(٢) غرر الحكم: ٥٤. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٠، ح٢٠٢٠٧.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٧.

(٤) مكارم الأخلاق: ج٢، ص٣٦٠، ح٢٦٦٠. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٢، ح٢٠٢٢٦.

(٥) الكافي: ج٢، ص١٤٤، ح٤. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٢، ح٢٠٢٢٨.

١ـ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أن للمنصف محبة ومودة في قلوب الناس بدليل قوله عليه السلام:

«المنصف كثير الأولياء والأودّاء».

والمنصف الذي يتخذ الإنصاف صفة يتعامل بها مع الناس ينال محبتهم وتواصلهم وهذا مضمون قوله عليه السلام:

«الإنصاف يديم المحبة».

وقوله عليه السلام:

«بالنصفة يكثر المواصلون».

فلا شك في أن من اتصف بالإنصاف ينال ثناء الناس ومدحهم وإلاّ كيف يتواصلون معه وكيف يكنّون له المودّة دون أن يكون لهم في قلوبهم منزلة؟

٢ـ ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«عُنْوانُ صَحيفَةِ السَّعيدِ حُسْنُ الثَّناءِ عَلَيْهِ»[1].

وبضم هذا الحديث مع الأحاديث أعلاه يتضح أن المنصف هو من نال ثناء الناس وحبهم، وأن من نال ثناء الناس وحبهم فهو السعيد، فصار المنصف سعيداً.

٣ـ قلنا في عنوان البحث (في الإنصاف سعادة) وحيث إن الإنصاف هو الالتزام بالحق قولاً ومنهجا فهذا يؤدي بدوره إلى السعادة، إذن في الإنصاف سعادة ومما يؤكد ذلك أيضا قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«في لُزومِ الحَقِّ تَكونُ السَّعادَةُ»[2].

وبهذا المقدار نكتفي لبيان عنوان البحث.

---

(١) كشف الغمة: ج٣، ص١٣٧. ميزان الحكمة: ج٤، ص١٧٣٧، ح٨٥٣٧.

(٢) غرر الحكم: ٦٤٨٩. ميزان الحكمة: ج٤، ص١٧٣٨، ح٨٥٤٥.

ـ نصائح في الإنصاف

١ـ ليكن الإنصاف خلقاً تتعامل به مع عامة الناس ولكن لابد من إكرام المؤمن بما هو أفضل من الإنصاف وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«عامِلْ سائِرِ النّاسِ بِالانْصافِ، وَعامِلِ الْمُؤْمِنينَ بِالإيثارِ»[١].

٢ـ إذا حرصت على إدامة الأخوّة بينك وبين غيرك من أخوانك فلا تبخل عليهم بالإنصاف ولكن من دون أن تطالبهم به كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لَيْسَ مِنَ الانْصافِ مُطالَبَةُ الإخْوانِ بِالإنْصافِ»[٢].

٣ـ لكي تكون أفضل من غيرك لابد أن تمتاز عليه بشيء، فلذا أنت مطالب بإنصاف من لم ينصفك بل من ظلمك وهو ما صرح به أمير المؤمنين عليه السلام في هذين الحديثين:

«الْمُؤْمِنُ يُنْصِفُ مَنْ لا يُنْصِفُهُ»[٣].

وعنه عليه السلام قال:

«أعْدَلُ النّاسِ مَنْ أنْصَفَ مَنْ ظَلَمَهُ»[٤].

٤ـ الانتصار على النفس وسيلة من وسائل التزكية والسلوك إلى الله تعالى فلذا ورد في الأحاديث التالية:

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

---

(١) غرر الحكم: ٦٣٤٢. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣١، ح٢٠٢١٠.

(٢) أمالي الطوسي: ص٢٨٠، ح٥٣٧. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣١، ح٢٠٢١٤.

(٣) غرر الحكم: ١٤١٠. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣١، ح٢٠٢١٥.

(٤) غرر الحكم: ٣١٨٦. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣١، ح٢٠٢١٦.

«إنَّ أفْضَلَ الإيمانِ إنْصافُ الرَّجُلِ مِنْ نَفْسِهِ»[1].

وعنه عليه السلام قال:

«أنْصَفُ النّاسِ منْ أنْصفَ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ حاكِمٍ عَلَيْهِ»[2].

وعنه عليه السلام أيضا:

«إنَّكَ إنْ أنْصَفْتَ مِنْ نَفْسِكَ أزْلَفَكَ اللهُ»[3].

ـ بحث عقائدي

هل يكذب الإمام سهواً أو نسياناً؟

بعد أن عرّف الإمام نفسه للذين أعمى الله تعالى أبصارهم وبصائرهم، لكي يلقي عليهم الحجة انتقل إلى فقرة أخرى فقال:

«فَإنْ صَدَّقْتُمُوني بِما أقُولُ وهُوَ الحَقُّ، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُنْذُ عَلِمْتُ أنَّ اللهَ يمْقُتُ عليه أهْلَهُ... ».

قبل التعرض إلى معرفة هذه الرذيلة وآثارها السيئة نريد أن نقف على أمر مهم وهو كالآتي:

قال الإمام الحسين عليه السلام فقرة تستوقف المشككين وغير العارفين بمقام الإمام عليه السلام ألا وهي:

« وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُنْذُ عَلِمْتُ أنَّ اللهَ يَمْقُتُ عليه أهْلَهُ... ».

فينتج منها تساؤل وهو:

---

(١) غرر الحكم: ٣٤٣٩. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٢، ح٢٠٢٢٠.

(٢) غرر الحكم: ٣٣٤٥. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٢، ح٢٠٢٢١.

(٣) غرر الحكم: ٣٨٠٣. ميزان الحكمة: ج١٠، ص٤٣٣٢، ح٢٠٢٢٤.

س: هل يفهم من قوله عليه السلام أنه لم يتعمد الكذب فقط، لكن يحتمل صدور الكذب منه سهواً أو نسياناً؟

سؤال: قوله عليه السلام (منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله) هل أن الكذب صدر عن الإمام قبل علمه بأن الله تعالى يمقت الكاذبين؟

وسنجيب عن هذه الأسئلة بما يلي:

الجواب الأول:

١ـ إن عصمة الإمام التي ثبتت في محلها تمنعه من الوقوع في الكذب عمداً وسهواً ونسياناً وإلاّ انتقض الغرض من الإمامة.

٢ـ يفهم من قوله (ما تعمدت) الآتي:

ألف: ربما يكون إشارة إلى أن قول الكذب عمداً يعد ذنباً وما صدر من كذب نسياناً أو اشتباهاً لا يعد كذلك، فلذا أراد الإمام أن يوصل رسالة للمخاطبين أنه معصوم من الذنب عمداً فهو أولى بالخلافة والنصرة من الفاسقين العاصين.

باء: لعله عليه السلام أراد بقوله (ما تعمدت) مداراة عقول المخاطبين الذين يرون الإمام إنساناً كعامة الناس يصيب يُخطئ، وهذا تجسيد لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[1].

جيم: لعله أراد بقوله (ما تعمدت كذبا...) إستغناءه عن الكذب؛ إذ لا يحتاج إلى الكذب إلاّ من آثر رضا نفسه على رضا ربه وانقاد وراء مصالحه، وهو لم ولن يكون هكذا أبدا.

(١) الكافي للكليني: ج١، ص٢٣، ح١٥.

دال: لعله عليه السلام أراد أن يقول إن الكذب يصدر عمداً أو نسياناً أو سهواً، ولا يؤاخذ العبد بالكذب الذي صدر عنه سهواً أو نسياناً، فلذا أراد أن يشير إلى أن تعمد الكذب من دون النسيان أو السهو، هو ما يمقته الله تعالى وأما ما صدر سهواً أو نسياناً فلا مقت على أهله ليتضح للناس يسر الدين الإسلامي وخلوه من الحرج.

هاء: ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وما نقله الإمام الحسين عليه السلام من حديث عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقه وحق أخيه ليس كذبا، ولذا على الأمة أن ترتب الأثر على مضمون هذا الحديث وهو حفظ دم الحسين عليه السلام كونه أحد السيدين لأهل الجنة.

وفي خاتمة الجواب لا يسعنا إلا أن نقول إن الإمام المعصوم عليه السلام أدرى بمراده وأعلم بما يقول، وما قولنا المتقدم إلا مقدار ما فهمناه من قوله عليه السلام.

الجواب الثاني: في مقام الجواب على السؤال الثاني الذي تقدم يكون على شكل نقاط نتسلسله وهو كما يلي:

١ـ إن الإمام الحسين عليه السلام من أهل البيت عليهم السلام الذين شملتهم آية التطهير.

٢ـ يلزم من هذا أن يكون الإمام معصوماً عن الوقوع في الحرام بتسديد من الله تعالى دون أن يكون مجبراً على العصمة، وما استحق الإمام هذا التسديد الإلهي إلا لعلم الله تعالى بأنه سيختار الورع عن المعصية كما أشار الإمام الباقر عليه السلام إلى ذلك بقوله:

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج١، ص٢١٢.

«إذا عَلِمَ اللهُ تَعالى حُسْنَ نِيَّةٍ مِنْ أحَدٍ اكْتَنفَهُ بِالعِصْمَةِ»[1].

٣ـ إتيان الطاعة وترك المعصية لابد أن يكون مسبوقاً بعلم، لأن لا طاعة إلا بمعرفة فيلزم من هذا أن الإمام علم بقباحة الكذب منذ أن اختاره الله تعالى لأمور عباده وهذا ما يؤكده الإمام الرضا عليه السلام بقوله:

«إنَّ العَبْدَ إذا اخْتارَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لأمورِ عِبادِهِ شَرَحَ صَدْرَهُ لِذلِكَ، وَأوْدَعَ قَلْبَهُ يَنابِيعَ الحِكْمَةِ، وَألْهَمَهُ العِلْمَ إلهاماً، فَلَمْ يَعْيَ بَعْدَهُ بِجَوابٍ وَلا يَحيرُ فيهِ عَنِ الصَّوابِ»[2].

فيظهر من حديث الإمام الرضا عليه السلام أن الإمام أُلهِم العلم بالفضائل والرذائل منذ اختيار الله تعالى له ليكون إماماً، وهذا قبل وجوده الدنيوي كما سيأتي في النقطة اللاحقة.

٤ـ اختار الله تعالى أهل البيت عليهم السلام قبل عالم الدنيا، وعلى هذا فالإمام عالم بقباحة الكذب، وعارف بأن الله تعالى يمقت الكاذبين قبل عالم الدنيا والدليل على ذلك ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الأحاديث التالية:

جاء في كتاب المحتضر للحسن بن سليمان: من كتاب السيد حسن بن كبش مما أخذه من المقتضب، ووجد في المقتضب أيضاً مسنداً عن سلمان الفارسي رحمه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا سلمان خلقني الله من صفوة نوره فدعاني فأطعته وخلق من نوري علياً فدعاه (إلى طاعته) فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليّ فاطمة فدعاها فأطاعته، وخلق منّي ومن عليّ و(من) فاطمة[3] الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه فسمّانا

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٨٨، ح٤١. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٤٥، ح١٣٠٧٨.

(٢) الكافي: ج١، ص٢٠٢، ح١. ميزان الحكمة: ج١، ص١٧٧، ح٩٤٨.

(٣) ورد في كتاب مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ص٦٤، باب: في معرفة الأئمة، «من نوري ونور علي وفاطمة».

الله (عَزَّ وَجَلَّ) بخمسة أسماء من أسمائه، فالله المحمود وأنا محمّد والله العليّ[1] وهذا علي، والله فاطر وهذه فاطمة والله الإحسان[2] وهذا الحسن والله المحسن[3] وهذا الحسين عليهم السلام. ثمّ خلق [منا] ومن نور الحسين عليه السلام تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله [عزّ وجلّ] سماءً مبنيّة، أو أرضاً مدحيّة، أو هواءً أو ماءً أو ملكاً، أو بشراً، وكنّا بعلمه أنوارا نسبّحه ونسمع له ونطيع»[4].

وورد في كتاب كنز الفوائد عن ابن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا بن مسعود إنّ الله تعالى خلقني وخلق عليّا والحسن والحسين عليهم السلام من نور قدسه، فلمّا أراد أن ينشئ خلقه[5] فتق نوري وخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجلّ من السماوات والأرض، وفتق نور عليّ وخلق منه العرش والكرسيّ وعليّ والله أجلّ من العرش والكرسيّ، وفتق نور الحسن عليه السلام وخلق منه الحور العين والملائكة والحسن والله أجلّ من الحور العين والملائكة، وفتق نور الحسين عليه السلام وخلق منه اللوح والقلم والحسين والله أجلّ من اللوح والقلم»[6].

---

(١) ورد في كتاب المحتضر لحسن بن سليمان الحلي: ص٢٦٧، باب: النص على الأئمة الإثني عشر، «الأعلى».

(٢) ورد في كتاب دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري (الشيعي): ص٤٤٨، باب: معرفة وجود القائم عليه السلام، «والله ذو الإحسان».

(٣) ورد في بحار الأنوار للمجلسي: ج١٥، ص١٠، باب ١، «والله المحسن».

(٤) عوالم العلوم والمعارف والأحوال، الشيخ عبد الله البحراني: ج١٧، ص٥ ــ ٦. ح١. بحار الأنوار: ج٥٣، ص١٤٢، ح١٦٢.

(٥) في المصدر: ينتئ الصنعة.

(٦) عوالم العلوم والمعارف والأحوال، الشيخ عبد الله البحراني: ج١٧، ص٦، ح٢. بحار الأنوار: ج٣٦، ص٧٣.

ـ الكذب وآثاره

الكذب: في اللغة هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع[(١)].

الكذب عند علماء الأخلاق، هو خلق نفساني رذيل من رذائل التي توافق مجال الكذب.

إن الكذب قد يحصل في أمور منها:

ألف: الكذب في القول: وهو الأخبار عن الأشياء بما لا يوافق الواقع.

باء: الكذب في النية: وهو أن يكون الباعث على العمل شيء آخر مع الله تعالى.

جيم: الكذب في الظاهر: وهو أن يكون ظاهره لا يوافق باطنه.

دال: الكذب في الدين: وهو أن يكون راجيا ولكن لا يعمل عمل الراجين، أو خائفا ولا يعمل عمل الخائفين.

فالكذب أقبح الذنوب وأخبثها فلذا ورد عن الإمام العسكري عليه السلام:

«جُعِلَتِ الخَبائِثُ في بَيْتٍ وَجُعِلَ مِفْتاحُهُ الكَذِبَ»[(٢)].

ولا شك في وضاعة صاحبه وخسة قدره، وإلاّ لما حذر منه أمير المؤمنين بقوله:

«تَحَفَّظُوا مِنَ الكَذِبِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أدْنَى الأخْلاقِ قَدْراً، وهو نَوْعٌ مِنْ الفُحْشِ وَضَرْبٌ مِنَ الدَّنَاءَةِ»[(٣)].

وقد أكدت الآيات الكريمة على أن الكذب والافتراء من أخلاق الكافرين والمنافقين كما في قوله تعالى:

---

(١) المعجم الوسيط: ص٧٨٠.

(٢) الدرّة الباهرة: ص٤٣. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٢، ح١٧٤١٠.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٦٤، ح١٥٧. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٠، ح١٧٣٩٣.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[2].

وما ذكره علماء الأخلاق هو أن الكذب يوقع المخاطب في الجهل ويلحق به الضرر وهذا مما حرمه الله تعالى[3].

ـ آثار الكذب

لا شك في أن لكل رذيلة آثاراً ونتائجاً قبيحة يجب الحذر منها، وهذا ما جاء في لسان الأحاديث والروايات الشريفة وهي كما يلي:

١ـ الكذب يوجب الابتعاد عن حالة الإيمان وهو ما أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام:

«إنَّ الكِذْبَ هُوَ خرابُ الإيمانِ»[4].

٢ـ الكذب يُزيل جمال الإنسان ويجعل وجهه كالحاً كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كَثْرَةُ الكَذِبِ تَذْهَبُ بِالبَهاءِ»[5].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٨.

(٣) جامع السعادات: ج٢، ص٣٢٤.

(٤) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٤٧، ح٨. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤١، ح١٧٤٠٦.

(٥) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٥٩، ح٢٢. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤١، ح١٧٤٠٧.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ الكِذْبَ يُسَوِّدُ الوَجْهَ»[1].

٣ـ الكذب يوجب الدخول في النار وهو ما صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سأله رجل عن عملِ الجَنَّةِ قال:

«الصِّدْقُ، إذا صَدَقَ العَبْدُ بَرَّ، وإذا بَرَّ آمَنَ، وإذا آمَنَ دَخَلَ الجَنَّةَ.

قالَ يا رَسُولَ اللهِ، وما عَمَلُ النّارِ؟ قالَ:

الكِذْبُ، إذا كَذَبَ العَبْدُ فَجَرَ، وإذا فَجَرَ كَفَرَ، وإذا كَفَرَ، يَعْني دَخَلَ النّارَ»[2].

٤ـ الكذب يورث الحسرة والندم فلذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّة لابنهِ الحسن عليه السلام:

«عاقِبَةُ الكَذِبِ النَّدَمُ»[3].

٥ـ الكذب طريق إلى النفاق وهو ما أكده الإمام علي عليه السلام بقوله:

«الكِذْبُ يُؤَدّي إلى النِّفاقِ»[4].

٦ـ الكذب يجعل صاحبه من الأموات وهو ما حذر منه الإمام علي عليه السلام:

«الكَذّابُ وَالمَيِّتُ سَواءٌ، فَإنَّ فَضيلَةَ الحَيِّ عَلى المَيِّتِ الثِّقَةُ بِهِ، فَإذا لَمْ يُوثَقْ بِكَلامِهِ بَطَلَتْ حَياتُهُ»[5].

---

(١) الترغيب والترهيب: ج٣، ص٥٩٦، ح٢٨. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٦، ح١٧٤٤١.

(٢) الترغيب والترهيب: ج٣، ص٥٩٢، ح١٣. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤١، ح١٧٤٠٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٧، ص٢١١، ح١. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٦، ح١٧٤٤٦.

(٤) غرر الحكم: ١١٨١. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٦، ح١٧٤٤٩.

(٥) غرر الحكم: ٢١٠٤. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٧، ح١٧٤٥٧.

٧ـ الكذب يوجب الجرأة على الكبائر وهو ما نبه عليه الإمام زين العابدين عليه السلام ولده بقوله:

«اتَّقُوا الكَذِبَ الصَّغيرَ مِنْهُ وَالكَبيرَ في كُلِّ جِدٍّ وَهَزْلٍ، فإنَّ الرَّجُلَ إذا كَذِبَ في الصَّغيرِ اجْتَرأَ على الكَبيرِ»[1].

٨ـ الكذب يؤدي إلى عدم التوفيق كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

«إنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ الكِذْبَةَ فَيُحْرَمُ بِها صَلاةَ اللَّيْلِ»[2].

٩ ـ الكذب يؤدي إلى نقصان البركة والرزق وهو ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الكِذْبُ يُنقِصُ الرِّزْقَ»[3].

١٠ ـ الكذب يؤدي إلى عدم الثقة به من قبل الناس كما ورد ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام:

«مَنْ عُرِفَ بِالكِذْبِ قَلَّتِ الثِّقَةُ بِهِ، مَنْ تَجَنَّبَ الكِذْبَ صُدِّقَتْ أقْوالُهُ»[4].

ـ نصائح

النصيحة الأولى

قد يختلج في ذهن المؤمن أن الكذب في المزاح هو كذب أبيض لخلوّه من الضرر، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام حذروا من هذا الاشتباه لكي لا يقع المؤمن في هذه المعصية.

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٣٥، ح٢. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٣، ح١٧٤١٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٦٠، ح٢٩. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٧، ح١٧٤٦٢.

(٣) الترغيب والترهيب: ج٣، ص٥٩٦، ح٢٩. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٧، ح١٧٤٦٣.

(٤) غرر الحكم: ٨٨٨٨، ٩١٨١. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٧، ح١٧٤٥٤.

ولذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إِنَّ الكِذْبَ لاَ يَصْلَحُ مِنْهُ جِدٌّ وَلاَ هَزْلٌ، وَلاَ أَنْ يَعِدَ الرَّجُلُ ابْنَهُ ثُمَّ لاَ يُنْجِزَ لَهُ، إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الكِذْبَ يَهْدِي إِلَى الفُجورِ، وَإِنَّ الفُجورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»(١).

وأكد أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بقوله:

«لاَ يَصْلَحُ مِنَ الكِذْبِ جِدٌّ وَلاَ هَزْلٌ، وَلاَ أَنْ يَعِدَ أَحَدُكُمْ صَبِيَّهُ ثُمَّ لاَ يَفِيَ لَهُ، إِنَّ الكِذْبَ يَهْدِي إِلَى الفُجورِ، وَالفُجورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ»(٢).

النصيحة الثانية

إن علاقة الأب بابنه علاقة رحم ودم وعِشرة ومودّة ورحمة، فهذه العلاقة تجعل الأب يتعامل مع ولده معاملة خالية من التعقيد أو الرسميات فيقع في بعض المحذورات جراء ذلك، فيرى نفسه معفيا عن التجاوزات أو التقصيرات إزاء ولده فلا يُسأل عما يفعل مع ولده ولا يرى حرجا في ذلك كأن يعد الرجل ولده ولا يفي بوعده مثلاً:

أن أئمة الخلق؛ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام يرفضون هذا الشعور ويذمون هذا التقصير ويحذرون منه كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتقدم:

«إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، ولا أن يعد الرجل ابنه ثم لا ينجز له...».

فإن هذا الفعل فضلا عن كونه عدم وفاء بالموعد يعد كذبا لا يليق بالمؤمن لاسيما أمام ولده وأهل بيته.

---

(١) كنز العمال: ٨٢١٧. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٢ ـ ٣٥٤٣، ح١٧٤١٥.

(٢) أمالي الصدوق: ص٣٤٢، ح٩. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٣، ح١٧٤١٦.

النصيحة الثالثة

عندما يعيش الإنسان في مجتمعه يحتاج إلى طريقة مثلى في التعامل مع أفراد المجتمع لكي يكون فاضلاً مهذبا في مجتمعه فيتكلم عندما يحتاج إلى الكلام ويفعل عندما يحتاج إلى الفعل، إلاّ أن عليه أن يجتنب الكذب في القول والفعل لينال احترام المجتمع وتوقيره، وهذا أمر لا يختلف فيه عاقلان إلاّ أن بعض الناس يقع في اشتباه آخر وهو أن يقول قولاً يخالف ما في سريرته دون اضطرار لذلك من تقية أو نحوها، فعلى سبيل المثال:

ألف: عندما يُكرم المرء بشيء يشتهيه، يرد: إنني لا أشتهي ذلك تأدباً أو لعدم رغبة في مجاملة الآخر أو لغاية أخرى فيقع في الكذب دون حاجة لذلك وهذا مما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد ذلك في بحار الأنوار، (عن أسماء بنتِ عُمَيْس:

كُنْتُ صاحِبَةَ عائِشَةَ الَّتي هَيَّأتُها وَأدْخَلْتُها على رَسولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَعي نِسْوَةٌ، فَوَ اللهِ ما وَجَدْنا عِنْدَهُ قُوتاً إلاّ قَدَحاً مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ ثُمَّ ناوَلَهُ عائِشَةَ ـ قالَتْ: ـ فاسْتَحْيَيَتِ الجارِيَةُ، فَقُلْتُ: لاَ تَرُدّينَ يَدَ رَسُولِ اللهِ، خُذي مِنْهُ، ـ قالَتْ: ـ فَأخَذَتْهُ عَلى حَياءٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، ثُمَّ قالَ:

«ناوِلي صَواحِبَكِ».

فَقُلْنَ: لاَ نَشْتَهيهِ، فقالَ:

«لاَ تَجْمَعْنَ جُوعاً وَكِذْباً».

ـ قالَتْ: ـ فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، إنْ قالَتْ إحدانا لِشَيءٍ، تَشْتَهيهِ: لاَ نَشْتَهيهِ، أيُعَدُّ ذلِكَ كِذْباً؟ قال:

«إنَّ الكِذْبَ لَيُكْتَبُ حَتّى يُكْتَبَ الكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً»)[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٥٨، ح٢٠. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٣، ح١٧٤١٩.

باء: عندما يتعامل الأبوان مع ولدهما الصغير بغير الصدق ظنا منهما أن هذه التعامل جائز مع الصغار فهذا كذب صريح وهو ما تبينه لنا هذه الرواية:

ورد في الترغيب والترهيب (عن عبد الله بن عامرٍ:

دَعَتْني أمّي يوماً وَرَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قاعِدٌ في بَيْتِنا، فَقالَتْ: ها تَعالَ أُعْطِكَ، فَقالَ لَها رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَا أرَدْتِ أنْ تُعطِيَهُ؟».

قالت: أرَدْتُ أنْ أعطِيَهُ تَمْراً:

فَقالَ لَها رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«أما إنَّكِ لَوْلَمْ تُعْطِهِ شَيْئاً كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ»[١].

فيظهر مما تقدم أن ما نعتقده أمراً بسيطا وكذبا صغيرا لا إشكال فيه، هو اعتقاد خاطئ ووهم كبير وهذا ما يؤكده قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لّما سألتهُ أسماء بنت عُميس: إن قالَت إحدانا لِشيءٍ تَشْتَهيهِ: لاَ أشْتَهيهِ يُعَدُّ كِذْباً، قال:

«إنَّ الكِذْبَ لَيُكْتَبُ حَتّى يُكْتَبَ الكُذَيْبَةُ كُذَيْبَةً»[٢].

النصيحة الرابعة

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تنهى عن القول والفعل الكاذب، وتشير إلى عاقبة الكذب كما في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٣].

وقوله تعالى:

---

(١) الترغيب والترهيب: ج٣، ص٥٩٨، ح٣٤. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٣ ـ ٣٥٤٤، ح١٧٤٢١.

(٢) الترغيب والترهيب: ج٣، ص٥٩٧، ح٣٢. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٣، ح١٧٤٢٠.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٢١.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾[1].

وقوله تعالى:

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

وهناك آيات كثيرة في ذلك، كما أن هناك الكثير من الروايات التي تحذر من السقوط في هذه الرذيلة المقيتة كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كَبُرَتْ خِيانَةً أنْ تُحَدِّثَ أخاكَ حَديثاً هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وَأنْتَ بِهِ كاذِبٌ»[3].

وقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أعْظَمُ الخَطايا عِنْدَ اللهِ اللِّسانُ الكَذوبُ»[4].

ومن الأسباب التي توقع الإنسان في الكذب هو أن يتحدث بكل ما يسمع وهذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كَفى بِالمَرْءِ مِنَ الكِذْبِ أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ»[5].

وقول أمير المؤمنين عليه السلام من كتابٍ له إلى الحارثِ الهمداني:

«وَلاَ تُحَدِّثِ النّاسَ بِكُلِّ ما سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفى بِذلِكَ كَذِباً»[6].

فيظهر مما تقدم أن العاقل لا ينقل كل ما سمعه لغيره لكي لا يقع في الكذب.

---

(١) سورة الليل، الآية: ٩.

(٢) سورة المرسلات، الآية: ١٥.

(٣) تنبيه الخواطر: ج١، ص١١٤. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٣٨، ح١٧٣٧٣.

(٤) كنز العمال: ٨٢٠٣. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٣٨، ح١٧٣٧٧.

(٥) كنز العمال: ٨٢٠٨، ٨٢٠٩. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٤، ح١٧٤٢٢.

(٦) نهج البلاغة: الكتاب ٦٩. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٨، ص٤١. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٤، ح١٧٤٢٤.

النصيحة الخامسة

إن كذبت مرة أو عدداً من المرات فلا يسعك إلا أن تستغفر وتترك ما أنت فيه من المعصية لكي لا تكتب عند الله من الكاذبين وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«ما يَزالُ العَبْدُ يَكْذِبُ حَتّى يَكْتُبَهُ اللهُ كَذّاباً»(١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما يَزالُ العَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرّى الكَذِبَ حَتّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذّاباً»(٢).

وقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما يَزالُ أحَدُكُمْ يَكْذِبُ حَتّى لاَ يَبْقى في قَلْبِهِ مَوْضِعُ إبْرَةِ صِدْقٍ، فَيُسَمّى عِنْدَ اللهِ كَذّاباً»(٣).

النصيحة السادسة

لابد للمرء من مخالطة الناس ومعاشرتهم إلاّ من حذّر منه أهل البيت عليهم السلام وهم البخيل والأحمق والفاجر والكذاب، ولأن الكذاب هو محل حديثنا نورد هذا التحذير الذي ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لاَ تَسْتَعِنْ بِكَذّابٍ... فَإنَّ الكَذّابَ يُقَرِّبُ لَكَ البَعيدَ، وَيُبَعِّدُ لَكَ القَريبَ»(٤).

ولكي تجمع النصائح كلها وتعيش حلاوة الفضيلة وتنال خير الدنيا والآخرة ما عليك إلا أن تترك الكذب مع الله تعالى ومع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ومع نفسك ومع الناس أجمعين.

(١) الكافي: ج٢، ص٣٣٨، ح٢. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٥، ح١٧٤٣٣.

(٢) تنبيه الخواطر: ج١، ص١١٤. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٥، ح١٧٤٣٤.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٢٥٩، ح٢٤. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٥، ح١٧٤٣٢.

(٤) بحار الأنوار: ٧٨، ص٢٣٠، ح١٣. ميزان الحكمة: ج٨، ص٣٥٤٧، ح١٧٤٥٩.

ـ إباء الإمام الحسين عليه السلام

أبى ـ إباءً وإباءة، أبى الشيء: رفضه، لم يرضه، كرهه، الإباء: الرفض، النفر، عزة النفس والأنفة[1]. الإباء: هو الامتناع عن الوقوع في أمر يذل النفس، أو قبول أمر يأتي منه صغر النفس وذلها.

فعلوّ النفس وسموها لا يتحقق إلاّ بعد اتصاف النفس بصفات فاضلة كالزهد في الدنيا والصبر على البلوى والسخاء والجود والشجاعة والغيرة على الدين والعِرْض، كما أن للصفات الفاضلة الأخرى دخلاً كبيراً في عزة النفس ورفعتها.

وعند التأمل في شخصية الإمام الحسين عليه السلام ومقامها وصفاتها لا نرضى له إلاّ أن يكون سيداً في كل صفة فاضلة، ولا نتخيّل أن نراه على خلاف ذلك، فلابد أن يكون الإمام الحسين عليه السلام أبيّاً عزيزاً سامياً عاليا من جهة كونه أحد المطهرين الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، ومن جهة أخرى كونه سيد شباب أهل الجنة، ومن جهة ثالثة فإنه إمام مفروض الطاعة:

«الحسن والحسين إمامان قاما أوقعدا».

ولابد للإمام أن يكون قدوة لغيره في كل فضيلة وخلق رفيع. ولكي نقف على حقيقة الإباء لابد من معرفة الصفات التي تعد منشأ لهذه الصفة النبيلة وهي كما يلي:

العزّة

هذه الفضيلة هي ضد رذيلة الذل فلذا جاء في كتب اللغة: عزَّ عزاً: قوِي وبري من الذل، والعِزّة: القوة والغلبة، الحميّة والأنفة[2].

فالعزة من صفات المؤمنين فضلا عن الأنبياء والأولياء عليهم السلام فلابد من

---

(١) المنجد الأبجدي: ص٤.

(٢) المعجم الوسيط: ص٥٩٨.

الاتصاف بها، ولا شك في اتصاف المعصوم عليه السلام بهذه الصفة؛ لأنها من كمالاته التي تتصف بها شخصيته كونه أفضل أهل زمانه هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يجوز للمؤمن فضلا عن المعصوم أن يذل نفسه مهما بلغت الأسباب والدواعي وهذا ما نلمسه في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنَّ اللهَ فَوَّضَ إلى المُؤمِنِ أُمورَهُ كُلَّها، وَلَمْ يُفَوِّضْ إليْهِ أنْ يَكونَ ذَليلاً، أما تَسْمَعُ اللهَ تَعالى يَقولُ:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فَالمُؤْمِنُ يَكونُ عَزيزاً وَلا يَكونُ ذَليلاً، إنَّ المُؤْمِنَ أعَزُّ مِنَ الجَبَلِ؛ لأنَّ الجَبَلَ يُسْتَقَلُّ مِنْهُ بِالمَعاوِلِ، وَالمُؤْمِنُ لا يُسْتَقَلُّ مِنْ دينِهِ بِشَيْءٍ»[2].

وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

وترجم الإمام الحسين عليه السلام هذه الآية في دعاء عرفة بقوله:

«يا مَنْ خَصَّ نَفْسَهُ بِالسُّمُوِّ وَالرِّفْعَةِ، وَأوْلِياؤُهُ بِعِزِّهِ يَعْتَزّونَ، يا مَنْ جَعَلَتْ لَهُ المُلوكُ نيرَ المَذَلَّةِ عَلى أعْناقِهِمْ فَهُمْ مِنْ سَطَواتِهِ خائِفونَ»[4].

فيتضح سبب صلابة الإمام الحسين عليه السلام وكبر نفسه وإبائها، فلذا تجسدت العزّة في شخصه المقدس يوم عاشوراء، ولكي تقف على عزة الإمام الحسين عليه السلام نحيلك إلى ما تقدم في بيان صفة العزة في الخطبة الخامسة عشرة ونكتفي بذلك.

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) التهذيب: ج٦، ص١٧٩، ح٣٦٧. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٧، ح١٢٨٢٣.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٤) بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٢٠. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٥٩٦، ح١٢٨٢٠.

الشجاعة

من الصفات التي أسهمت في نشوء صفة الإباء هي الشجاعة وهي من الفضائل التي يتحلى بها المعصوم، فلا شك في أن شجاعة الإمام الحسين عليه السلام لا يرتقي إليها أحد في زمانه كونه أفضل أهل زمانه في كل فضيلة ولكي نقف على معرفة العلاقة بين صفة الشجاعة وصفة الإباء لابد من معرفة هذه الفضيلة بشيء من التفصيل:

الشجاعة في اللغة: هي قوة القلب والشدة عند البأس، والشجاع: الجريء المقدام.

الشجاعة في الاصطلاح:

هي ملكة فضيلة تقع بين التهور والجبن، فهي سلوك يسلكه الإنسان من غير الإقدام على المهلكات بما ينافي العقل والشرع، وخالي من الخنوع والرضوخ للظالمين، فهي بين الإفراط والتفريط.

فالشجاعة صفة وصفها أهلها الذين اتصفوا بها خير اتصاف كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«الشجاعة عز حاضر».

وأشار الإمام الحسن عليه السلام إلى أنها مقاتلة الأبطال والثبات عند لقائهم في قوله عليه السلام:

«مُواقَفَةُ الأقْرانِ، والصَّبْرُ عِنْدَ الطِّعانِ»[1].

وبيّن الإمام علي عليه السلام أن الشجاعة لها علاقة كبيرة بالإباء من خلال قوله عليه السلام:

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص١٠٤، ح٢. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٨٧٦، ح٩١٥٩.

«جُبِلَتِ الشَّجاعةُ عَلى ثَلاثِ طَبائِعَ، لِكُلٍّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَضيلَةٌ لَيْسَتْ لِلأُخْرى: السَّخاءُ بِالنَّفْسِ، والأَنَفَةُ مِنَ الذُّلِّ، وطَلَبُ الذِّكْرِ، فَإِنْ تَكامَلَتْ فِي الشُّجاعِ كانَ البَطَلَ الَّذي لا يُقامُ لِسَبيلِهِ، وَالمَوْسومَ بِالإِقْدامِ في عَصْرِهِ، وَإِنْ تَفاضَلَتْ فيهِ بَعْضُها عَلى بَعْضٍ كانَتْ شَجاعَتُهُ في ذلِكَ الَّذي تَفاضَلَتْ فيهِ أَكْثَرَ وَأَشَدَّ إِقْداماً»[1].

فشجاعة الرجل تقاس على أساس حميته وإبائه وهذا ما يصرح به أشجع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«شَجاعَةُ الرَّجُلِ على قَدْرِ هِمَّتِهِ، وَغَيْرَتُهُ عَلى قَدْرِ حَمِيَّتِهِ»[2].

وعنه عليه السلام قال:

«عَلى قَدْرِ الحَمِيَّةِ تَكونُ الشَّجاعَةُ»[3].

فلا يشك عاقل في شجاعة الإمام الحسين عليه السلام الذي ورث هذه الصفة من جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كونه بضعة منه كما في قوله:

«حسين مني وأنا من حسين».

وأبيه المرتضى عليه السلام حتى شهد بذلك أعداؤه بقوله (أن روح أبيه بين جنبيه) (المقتل).

ـ الغيرة والحمية

تقدم أن الإمام الحسين عليه السلام إمام معصوم يتصف بكل الفضائل والكمالات ومما اتصف به الإمام عليه السلام الغيرة والحمية التي هي من ملازمات

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٢٣٦، ح٦٦. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٨٧٦ ـ ١٨٧٧، ح٩١٦٠.

(٢) غرر الحكم: ٥٧٦٣. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٨٧٧، ح٩١٦٢.

(٣) غرر الحكم: ٦١٨٠. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٨٧٧، ح٩١٦٣.

الشجاعة وأسبابها، وثبت أن الإمام الحسين عليه السلام شجاعٌ مقدامٌ فهو ـ لا شك ـ ذو غيرة وحمية وما تقدم ذكره من قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«على قدر الحمية تكون الشجاعة».

يشير إلى هذه الملازمة بين الحمية والشجاعة، كما أن قوله عليه السلام:

«شجاعة الرجل على قدر همته، وغيرته على قدر حميته».

يشير إلى العلاقة بين الغيرة والحمية، وحيث إن الإمام الحسين عليه السلام سيد المؤمنين فهو ـ لا شك ـ يتصف بالغيرة والحمية وهذا ما يؤكده قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ الغَيْرَةَ مِنَ الإيمانِ»[1].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كانَ إبْراهيمُ أبي غَيوراً وَأنا أغْيَرُ مِنْهُ، وَأرْغَمَ اللهُ أنْفَ مَنْ لاَ يَغارُ مِنْ المُؤْمِنينَ»[2].

بل إن الإمام الحسين عليه السلام غيرة تجسدت في رجل وهذا ما أشارت إليه بعض نصوص المقاتل[3].

فلذا نجد أن الإمام الحسين عليه السلام محبوب عند الله تعالى؛ لاتصافه بالغيرة والفضائل الأخرى لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ اللهَ تَعالى يُحِبُّ مِنْ عِبادِهِ الغَيورَ»[4].

---

(١) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج٣، ص٤٤٤، ح٤٥٤١. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣١٠٧، ح١٥٥٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ج١٠٣، ص٢٤٨، ح٣٣. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣١٠٧، ح١٥٥٥٤.

(٣) أبو مخنف: ص١٤٣ ـ ١٤٤. مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٤) كنز العمال: ٧٠٧٠. ميزان الحكمة: ج٧، ص٣١٠٧، ح١٥٥٦٠.

الكمالات الأخرى

لقد تعرضنا إلى ذكر الصفات الرئيسة التي تُسهم في وجود الإباء والأنفة ألا وهي العزة والشجاعة والغيرة والحمية، ولكي نقف على دور الصفات الأخرى في ظهور تلك الصفات الرئيسة التي اتصف بها الإمام الحسين عليه السلام نقول:

١ ـ إن الإمام الحسين عليه السلام يتصف بالإنصاف والعدل لعصمته فهو ـ لا شك ـ متصف بالعزة لما للإنصاف من رابطة بينه وبين العزة، وهذا ما يؤكده قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ألاَ إنَّهُ مَنْ يُنْصِفُ النّاسَ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إلاّ عِزّاً»[١].

٢ ـ إن العمل بالحق يؤدي إلى عزة العامل به وهذا ما يؤكده الإمام العسكري عليه السلام بقوله:

«ما تَرَكَ الحَقَّ عزيزٌ إلاّ ذَلَّ، وَلاَ أخَذَ بِهِ ذَليلٌ إلاّ عَزَّ»[٢].

٣ـ التوكل من موجبات العزة كما يشير إلى ذلك الإمام الباقر عليه السلام بقوله:

«الغَناءُ وَالعِزُّ يَجولاَنِ في قَلْبِ المُؤمِنِ. فَإذا وَصَلا إلى مَكانٍ فيهِ التَّوَكُّلُ أوْطَناهُ»[٣].

٤ـ الصفح والصلة مما يورث العزة كما جاء ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام:

«ثَلاثٌ لاَ يَزيدُ اللهُ بِهِنَّ المَرءَ المُسْلِمَ إلاّ عِزّاً: الصَّفْحُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، واعْطاءُ مَنْ حَرَمَهُ، وَالصِّلَةُ لِمَنْ قَطَعَهُ»[٤].

---

(١) الكافي: ج٢، ص١٤٤، ح٤. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠١، ح١٢٨٥٨.

(٢) بحار الأنوار: ٧٨، ص٣٧٤، ح٢٤. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠١، ح١٢٨٥٩.

(٣) كشف الغمّة: ج٢، ص٣٥٩. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٢، ح١٢٨٦٢.

(٤) الكافي: ج٢، ص١٠٩، ح١٠. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٢، ح١٢٨٦٤.

٥ـ القناعة وترك الطمع تؤدي إلى العزة وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«القَناعَةُ تُؤَدّي إلَى العِزِّ»(١).

٦ـ كظم الغيظ يوجب العزة في الدنيا والآخرة كما صرح به الإمام الصادق عليه السلام:

«ما مِنْ عَبْدٍ كَظَمَ غَيْظاً إلاّ زادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِزّاً في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ»(٢).

٧ـ الصبر على النوائب يتوج صاحبه تاج العزة كما في قول الإمام الباقر عليه السلام:

«مَنْ صَبَرَ عَلى مُصيبَةٍ زادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِزّاً عَلى عِزِّهِ وَأدْخَلَهُ جَنَّتَهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَأهْلِ بَيْتِهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»(٣).

٨ـ الزهد في الدنيا يزيّن صاحبه بالعز وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ سَلا عَنْ مَواهِبِ الدُّنْيا عَزَّ»(٤).

فالإمام الحسين عليه السلام ـ لا شك ـ يتحلى بهذه الفضائل وغيرها، فلذا نجده عزيزا منيعا أبيا أنفا لا يعطي بيده إعطاء الذليل ولا يفر فرار العبيد.

٩ـ ومما يوجد الشجاعة في الرجل صفة السخاء وهذا ما صرح به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«أشْجَعَ النّاسِ أسْخاهُمْ»(٥).

---

(١) غرر الحكم: ١١٢٣. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٢، ح١٢٨٧١.

(٢) الكافي: ج٢، ص١١٠، ح٥. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٢، ح١٢٨٦٦.

(٣) بحار الأنوار: ج٨٢، ص١٢٨، ح٣. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٢، ح١٢٨٦٧.

(٤) غرر الحكم: ٩١٨٤. ميزان الحكمة: ج٦، ص٢٦٠٢، ح١٢٨٧٠.

(٥) غرر الحكم: ٢٨٩٩. ميزان الحكمة: ج٥، ص١٨٧٧، ح٩١٦٤.

فالإمام الحسين عليه السلام هو عين السخاء والجود وهذا ما تعرضت له كتب السيرة، فهو ـ لا شك ـ يتصف بالشجاعة لسخائه وجوده، ولا بأس من ذكر صور جود الإمام الحسين عليه السلام وسخائه.

١٠ ـ وتقدم أن للإيمان دوراً كبيراً في اتصاف الرجل بالغيرة والحمية كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الغيرة من الإيمان».

وكما تعلم عزيزي القارئ لا يعدل بإيمان الإمام الحسين عليه السلام إيمان أحد وهذا مما لا يختلف فيه اثنان إلاّ من نصب العداء لأهل البيت عليهم السلام.

فنخلص مما تقدم أن الصفات التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام أبيّا وذا أنفة ومنعة هي العزة والشجاعة والغيرة والحمية، وما اتصف الإمام الحسين عليه السلام بهذه الصفات إلا لاتصافه بالإنصاف والعدل، والعمل بالحق والتوكل على الله تعالى حق التوكل، وتحلّيه بالصفح والعفو والقناعة والزهد وكظم الغيظ والصبر وبغيرها من الفضائل التي يجمعها الإيمان بالله ورسوله وكتبه وملائكته.

كما أن السخاء الذي يرتبط مع الشجاعة له دور كبير في إبائه وأنفته.

فهرس المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. نهج البلاغة ـ خطب ورسائل وحكم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ـ الطبعة الأولى ـ دار الذخائر، قم ـ سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٣. مصباح الشريعة ـ المنسوب للإمام الصادق عليه السلام ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٤. مفاتيح الجنان ـ الشيخ عباس القمي رحمه الله ـ منشورات الرضا، بيروت.

٥. إبصار العين في أنصار الحسين ـ محمد بن الشيخ طاهر السماوي ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة البلاغ/ دار سلوني، بيروت ـ سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٦. الإحتجاج ـ الشيخ ابو منصور أحمد بن علي الطبرسي ـ الطبعة السادسة ـ دار الأسوة، قم ـ سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧. الأخبار الطوال ـ أحمد بن داود الدينوري ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٨. الاختصاص ـ أبو عبد الله محمد بن محمد المفيد ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٩. الأخلاق ـ السيد عبد الله شبر ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٠. الأخلاق والآداب الإسلامية ـ عبد الله الهاشمي ـ دار القاري.

١١. إرشاد القلوب ـ الشيخ أبي محمد الحسن بن محمد الديلمي الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٢. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ـ الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن نعمان ـ الطبعة الأولى ـ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم ـ سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٣. أسباب النزول ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ـ الطبعة الأولى ـ المكتبة العصرية، بيروت ـ سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٤. أسد الغابة ـ عز الدين بن بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٥. أصول الكافي ـ الشيخ الكليني رحمه الله ـ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني ـ دار التعارف، بيروت ـ سنة١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١٦. الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة السادسة عشرة ـ دار العلم للملايين، بيروت ـ سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٧. أعلام الدين في صفات المؤمنين ـ الحسن بن أبي الحسن الديلمي ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم ـ سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٨. أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ـ دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٩. إقبال الأعمال ـ أبو القاسم بن جعفر بن محمد ابن طاووس ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٠. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد ـ الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ـ الطبعة الثانية ـ دار الأضواء، بيروت ـ سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢١. الإلهيات ـ محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، بقلم الشيخ حسن محمد مكي العاملي ـ الطبعة الخامسة ـ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٢. الأمالي ـ أبي جعفر محمد بن علي الصدوق ـ الطبعة الأولى ـ مكز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ـ سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٢م.

٢٣. الأمالي ـ أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الملقب بالشيخ المفيد ـ الطبعة الثانية ـ دار المفيد، بيروت ـ سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٤. الأمالي ـ الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ـ الطبعة الأولى ـ دار الثقافة، قم ـ سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٥. الإمامة والسياسة ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ مؤسسة الحلبي.

٢٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ـ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ـ الطبعة الأولى ـ الأميرة، بيروت ـ سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٧. أنصار الحسين عليه السلام الثورة والثوار ـ السيد محمد علي الحلو ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة السبطين العالمية، قم ـ سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٨. بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي رحمه الله ـ الطبعة الثانية المصححة ـ مؤسسة الوفاء، بيروت ـ سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٩. بداية الحكمة ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ـ الطبعة الواحدة والعشرون ـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٠. بداية المعرفة ـ الشيخ حسن مكي العاملي ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتاب العربي، قم ـ سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣١. البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ بيت الأفكار الدولية، بيروت ـ سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤.

٣٢. البستان معجم لغوي مطول ـ الشيخ عبد الله البستاني ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة لبنان، بيروت ـ سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ محمد بن أحمد الذهبي ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٤. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس - الشيخ حسين بن محمد الدياربكري - دار صادر، بيروت.

٣٥. تاريخ الطبري - أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - الطبعة الأولى - دار مكتبة الهلال - سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٦. تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - الطبعة الأولى - دار إحياء التراث العربي، بيروت - سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٧. تحف العقول عن آل الرسول - الحسن بن علي بن شعبة الحراني - الطبعة السابعة - مؤسسة الأعلمي، بيروت - سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٨. الترغيب والترهيب زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - الطبعة الثالثة - دار الكتب العلمية، بيروت - سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٣٩. تسلية الفؤاد في بيان الموت والمعاد - السيد عبد الله شبر - الطبعة الخامسة - مؤسسة الوفاء، بيروت - سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٤٠. التعريفات - أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني - الطبعة الأولى - دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

٤١. تفسير الطبري - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - الطبعة الأولى - دار إحياء التراث العربي، بيروت - سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٢. تفسير العياشي - أبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي - الطبعة الأولى - مؤسسة الأعلمي، بيروت - سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٤٣. تفسير مجمع البيان - الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - الطبعة الأولى - مؤسسة الأعلمي، بيروت - سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٤٤. تفسير نور الثقلين - المحدث الجليل العلامة الخبير الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي - الطبعة الرابعة - مؤسسة إسماعيليان، قم - سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٤٥. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر - أبي الحسين ورام بن أبي فراس المالكي الأشتري - مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٤٦. تهذيب الأحكام - أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي - دار التعارف، بيروت - سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٤٧. تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني - الطبعة الأولى - دار صادر، بيروت - سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٤م.

٤٨. التوحيد - الشيخ الصدوق رحمه الله - تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني - الطبعة الثامنة - مؤسسة النشر الإسلامي، قم - سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٤٩. ثواب الأعمال - الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق - الطبعة الرابعة - مؤسسة الأعلمي، بيروت - سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٥٠. جامع أحاديث الشيعة - آية الله السيد البروجردي - المطبعة العلمية، قم - سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٨٧م.

٥١. جامع أحاديث أهل البيت عليهم السلام - الشيخ هادي النجفي - الطبعة الأولى - دار إحياء التراث العربي، بيروت - سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٥٢. جامع الأخبار، أو معارج اليقين في أصول الدين - الشيخ محمد بن محمد السبزواري - من أعلام القرن السابع الهجري - الطبعة الأولى - مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم - سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٥٣. جامع الأصول في أحاديث الرسول - المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري - دار الفكر، بيروت - سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٤. جامع الخلاف والوفاق بين الإمامية وبين أئمة الحجاز والعراق - علي بن محمد بن محمد القمي السبزواري - الطبعة الأولى - سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥٥. جامع السعادات - محمد مهدي النراقي - الطبعة السابعة - مؤسسة الأعلمي، بيروت - سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٥٦. الجامع الصغير ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر، بيروت ـ سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٥٧. الجامع الكبير ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ.

٥٨. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ـ المحقق يوسف البحراني ـ الطبعة الثالثة ـ دار الأضواء، بيروت ـ سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٥٩. حق اليقين ـ السيد عبد الله شبر ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٦٠. حياة الإمام الحسن عليه السلام ـ فاطمة محمود مقلد ـ الطبعة الأولى ـ دار الهادي، بيروت ـ سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦١. الخصال ـ الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ـ منشورات جماعة المدرسين، الحوزة العلمية، قم ـ سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٩٢م.

٦٢. الدر المنثور في التفسير المأثور ـ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ـ دار الفكر، بيروت ـ سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦٣. الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة ـ محمد جمال الدين مكي العاملي ـ الطبعة الأولى ـ دار الأعراف، بيروت ـ سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٦٤. دعائم الإسلام ـ النعمان بن محمد التميمي المغربي ـ الطبعة الأولى ـ دار الأضواء، بيروت ـ سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٦٥. الدعوات ـ قطب الدين الراوندي ـ الطبعة الأولى ـ مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم ـ سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٦٦. دلائل الإمامة ـ محمد بن جرير بن رستم الطبري ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٦٧. روضة الواعظين ـ محمد بن الفتال النيسابوري ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة دليل ما، قم ـ سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٦٨. الرياض النضرة ـ أحمد بن عبد الله المحب الطبري ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦٩. سفينة البحار ـ الشيخ عباس القمي ـ الطبعة الثالثة ـ دار الأسوة، إيران ـ سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧٠. السنة ـ ابو بكر أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم ـ الطبعة الثالثة ـ دار الصميعي، الرياض ـ سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧١. سنن ابن ماجه ـ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٧٢. سنن الترمذي ـ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر، بيروت ـ سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧٣. السنن الكبرى ـ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ـ الطبعة الثالثة ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٧٤. سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين الذهبي ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧٥. السيرة الحلبي ـ أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي الشافعي ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٧٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٧٧. شرح إحقاق الحق ـ آية الله العظمى السيد المرعشي ـ منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم.

٧٨. شرح أصول الكافي ـ مولى محمد صالح المازندراني ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠.

٧٩. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ـ أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٨٠. شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد المعتزلي ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء الكتب العربية ـ سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

٨١. الشفا بتعريف حقوق المصطفى وبذيله مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفا ـ أبو الفضل عياض اليحصبي ـ الطبعة الأولى ـ المكتبة العصرية، بيروت ـ سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٨٢. الصحاح / تاج اللغة وصحاح العربية ـ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٨٣. صحيح البخاري ـ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ دار الفكر ـ سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨٤. صحيح الترمذي ـ الترمذي ـ دار الفكر، بيروت.

٨٥. الصحيفة السجادية ـ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ـ الطبعة الأولى ـ منشورات دليل ما، قم ـ سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٨٦. صراط النجاة في أجوبة الاستفتاءات ـ آية الله العظمى الشيخ الميرزا جواد التبريزي ـ الطبعة الأولى ـ دار الصديقة الشهيدة، قم ـ سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٨٧. الطبقات الكبرى ـ ابن سعد ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٨٨. العدل الإلهي ـ الشيخ مرتضى المطهري ـ الطبعة الأولى ـ دار الفقه، إيران ـ سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٨٩. العقائد الحقة ـ السيد علي الحسيني الصدر ـ الطبعة الأولى ـ دار العلوم، بيروت ـ سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٩٠. علل الشرائع ـ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٩١. عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال ـ عبد الله البحراني الاصفهاني ـ الطبعة الأولى ـ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم ـ سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٩٢. عوالي اللآلي ـ محمد بن علي بن إبراهيم الأحسائي المعروف بابن أبي جمهور ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة سيد الشهداء، قم ـ سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ أبي جعف محمد بن علي القمي الصدوق ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٩٤. الغارات أو الاستنفار والغارات ـ ابي اسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتاب الإسلامي، بيروت ـ سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٩٥. غرر الحكم ـ مجموعة من كلمات وحكم الإمام علي عليه السلام ـ عبد الواحد الآمدي التميمي ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩٦. فضائل الخمسة ـ السيد مرتضى الحسيني اليزدي الفيروز آبادي ـ الطبعة السابعة ـ مكتبة الفيروز آبادي، قم ـ سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٩٧. الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ـ الشيخ محمد جميل حمود ـ الطبعة الأولى ـ دار الفقه ـ سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٩٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ـ محمد عبد الرؤوف المناوي ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٩٩. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ـ سعدي أبو حبيب ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر، دمشق ـ سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٠٠. القاموس المحيط ـ الشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة النوري، دمشق ـ سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

١٠١. قصص الأنبياء ـ قطب الدين الراوندي ـ الطبعة الأولى ـ دار الانتصار، قم ـ سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

١٠٢. كامل الزيارات ـ أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة النشر الإسلامي.

١٠٣. كتاب الفتوح ـ أبي محمد احمد بن أعثم الكوفي ـ الطبعة الأولى ـ دار الأضواء، بيروت ـ سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١٠٤. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون اقاويل في وجوه التأويل ـ محمود بن عمر الزمخشري ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٠٥. كشف الغمة ـ علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي ـ الطبعة الأولى ـ دار الأضواء، بيروت ـ سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٠٦. كفاية الأثر ـ القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي ـ الطبعة الأولى ـ دليل ما، قم ـ سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٠٧. كنز العمال ـ علي بن حسام الدين المتقي الهندي ـ مؤسسة الرسالة، بيروت ـ سنة ١٩٨٩م.

١٠٨. كنز الفوائد ـ محمد بن علي بن عثمان الكراجكي ـ دار الأضواء، بيروت ـ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

١٠٩. لسان العرب ـ ابن منظور الإفريقي المصري ـ نشر أدب الحوزة، قم ـ سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

١١٠. لسان الميزان شهاب الدين بن حجر العسقلاني ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١١١. مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث ـ الشيخ مكارم الشيرازي ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة فقاهت، قم ـ سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١١٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١١٣. المحاسن ـ الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي ـ المطبعة الحيدرية، النجف ـ سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٣م.

١١٤. المحتضر في تحقيق معاينة المحتضر للنبي والأئمة عليهم السلام ـ أبو محمد الحسن بن سليمان الحلي العاملي ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة العلامة المجلسي، قم ـ سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١١٥. المحجة البيضاء ـ محمد بن مرتضى المولى محسن الكاشاني ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

١١٦. مروج الذهب ومعدن الجوهر ـ ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١١٧. مستدرك الوسائل ـ الميرزا حسين النوري الطبرسي ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام، بيروت ـ سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧.

١١٨. المستدرك على الصحيحين ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١١٩. المسند ـ أحمد بن محمد بن حنبل ـ مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

١٢٠. مسند عبد بن حميد أبي محمد عبد بن حميد الكشي ـ الطبعة الأولى ـ شركة دار النيل، استنبول ـ سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٢١. مشكاة الأنوار ـ ثقة الإسلام أبي الفضل علي الطبرسي ـ الطبعة الأولى ـ دار الحديث ـ سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٢٢. مشكل الآثار ـ أبو جعفر الطحاوي ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الرسالة ـ سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٢٣. مصابيح الأنوار ـ السيد عبد الله شبر .

١٢٤. مصباح المتهجد أبي جعفر محمد الطوسي ـ مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٢٥. المصنف في الأحاديث والآثار ـ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر، بيروت ـ سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٢٦. معاني الأخبار ـ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق ـ المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٠م.

١٢٧. معاوية أمام محكمة الجزاء ـ الشيخ مهدي القرشي ـ الطبعة الأولى ـ دار المحجة البيضاء، بيروت ـ سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٢٨. المعجم الكبير ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ الطبعة الأولى ـ دار العربية للطباعة، بغداد ـ سنة ١٣١٩هـ/ ١٨٩٨م.

١٢٩. المعجم الوسيط ـ أحمد مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الصادق عليه السلام للطباعة والنشر ـ سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٣٠. مقتل الحسين عليه السلام ـ السيد عبد الرزاق المقرّم ـ الطبعة الرابعة ـ دار الأضواء، بيروت ـ سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٣١. مقتل الحسين عليه السلام ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء ـ أبو مخنف ـ المكتبة الحيدرية، قم.

١٣٢. مكارم الأخلاق ـ الشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي ـ الطبعة السادسة ـ منشورات الشريف الرضي ـ سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٣٣. الملل والنحل ـ أبي الفتح الشهرستاني ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت ـ سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

١٣٤. من لا يحضره الفقيه ـ الشيخ أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي ـ الطبعة الثانية ـ دار التعارف، بيروت ـ سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٣٥. منازل الآخرة ـ الشيخ عباس القمي ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة البلاغ، بيروت ـ سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٣٦. مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهر آشوب ـ الطبعة الأولى ـ مركز الأبحاث العقائدية، قم ـ سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٣٧. المنجد الأبجدي ـ دار المشرق، بيروت ـ سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م.

١٣٨. المنطق ـ الشيخ محمد رضا المظفر ـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم.

١٣٩. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ـ العلامة الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٤٠. منية المريد في أدب المفيد والمستفيد ـ الشيخ زين الدين بن علي العاملي ـ الطبعة الخامسة ـ مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٤١. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ ـ محمد الريشهري ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٤٢. موسوعة العقائد الإسلامية ـ محمد الريشهري ـ دار الحديث، قم ـ سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

١٤٣. ميزان الحكمة ـ محمد الريشهري ـ الطبعة الأولى ـ دار إحياء تراث العربي، بيروت ـ سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤٤. الميزان في تفسير القرآن ـ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ـ الطبعة الأولى المحققة ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

١٤٥. نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام - أحمد حسين يعقوب - الطبعة الأولى - الدار الإسلامية، بيروت - سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٤٦. نهج البلاغة ـ شرح محمد عبده ـ الطبعة التاسعة ـ دار البلاغة ـ سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

١٤٧. نهج السعادة - الشيخ محمد باقر المحمودي - الطبعة الأولى - مطبعة النعمان، النجف - سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٤.

١٤٨. النهضة الحسينية - السيد محمد حسن ترحيني العاملي - الطبعة الأولى - دار الهادي، بيروت - سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٤٩. النوادر - ضياء الدين أبي الرضا فضل الله الحسيني الراوندي - الطبعة الأولى - مؤسسة دار الحديث الثقافية، قم.

١٥٠. نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار - مؤمن بن حسين مؤمن الشبلنجي - الطبعة الأولى - ذوي القربى، قم - سنة ١٤٢٦هـ/ .

١٥١. وسائل الشيعة - الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي - الطبعة الثانية - مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٥٢. وقعة صفين - نصر بن مزاحم المنقري - الطبعة الثالثة - مكتبة السيد المرعشي النجفي - سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٥٣. ينابيع المودة لذوي القربى - الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي - دار الأسوة، قم - سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

فهرس الآيات

سورة الأنعام

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

السورة / الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

سورة المعارج

سورة الجن

سورة المدثر

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النازعات

لم نورد فهرست الأحاديث الشريفة حرصاً على اختصار النفقات واكتفينا بوجودها في الهامش.

المحتويات

الخطبة الثامنة

خطبها في مكّة لمّا عزم على الخروج إلى العراق

الخطبة التاسعة

خطبها عند مسيره إلى كربلاء وفيها يذمّ الدنيا ويحذر منها

الخطبة العاشرة

الخطبة الحادية عشرة

وفيها يصف فضائل أهل البيت، ويذكر حقّهم، ويذمّ بني أميّة

الخطبة الثانية عشرة

وفيها يذمّ الدنيا ويحذّر منها

الخطبة الثالثة عشرة

وفيها يذمّ بني أميّة، ثمّ ينبّه على حقه

الخطبة الرابعة عشرة

وفيها يُذكّر الناس بما كتبوا إليه

الخطبة الخامسة عشرة

وفيها يُقرّع أهل الكوفة

الخطبة السادسة عشرة

الخطبة السابعة عشرة

ومن خطبة له عليه السلام

اصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	إبكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبدالله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني

١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ج١	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٢	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ج٢	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) - ج٣	الشيخ باقر شريف القرشي
٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمدجواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء - بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام - الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو

٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف - ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمدعلي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبدالكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمدعلي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة — ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني